

بنور فاطمة اهتدیت

بسم الله الرحمن الرحيم

بنور فاطمة اهتدية

الكتاب السوداني

السيد عبدالمنعم حسن

دار الخليج العربي للطباعة و النشر

لبنان / بيروت / الحمراء

ص . ب ٦١١٣ / ١١٣

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الخليج العربي للطباعة و النشر

لبنان / بيروت / الحمراء

ص . ب ٦١١٣ / ١١٣

الاهداء

إلى بضعة المصطفى وقرة عينه...

إلى التي ترعرعت في بيت الوحي وتركت في حضن أعظم
الأنبياء...

إلى الصديقة الطاهرة المطهرة المعصومة..
وصاحبة المواقف الفاصلة..

إلى المظلومة المقهورة المهمشة حقها..
إلى الشمعة التي أخذتني إلى حيث الهدایة..
وفتحت لي آفاق نور الولاية..

سيدي ومولتي فاطمة الزهراء (ع) ..

والى حفيدها الأمل المرتجل وكاشف الدجى.

العدل المنتظر المهدي الحجة بن الحسن عجل الله فرجه
الشريف الإمام الثاني عشر والخاتم الذي يملأ الأرض عدلا
وقسما..

راجيا القبول

المقدمة

فجأة أحسست ببرودة تلفح وجهي وبرعدة تنتاب أوصالي في يوم حار من أيام فصل الصيف الذي يتميز به السودان، ورغم درجة الحرارة العالية في ذلك اليوم إلا أنني شعرت بأنها تدنت إلى ما دون الصفر.

برهة مرت ثم شعرت بدفع الحقيقة... وبنور ينكشف أمامي وبهالة قدسية تلفني، وإذا بالحجب التي أثقلت كاهلي قد انزاحت، ولمع برق الحقيقة أمام ناظري، وإذا بي أبدأ أول خطواتي في الاتجاه الصحيح.

كانت أصعب لحظات العمر هي وقت اكتشاف عمق المأساة التي كنا نعيشها، والتي كانت تتاجا طبيعيا للجهل المركب الذي كان يغشى عقولنا... خصوصا وأن هذه المأساة كانت متمرة في اعتقادنا وديننا.

أن يجد الإنسان نفسه مخطئا في تقدير أمور حياته اليومية مثل لون الدراسة التي يجب أن يدرسها أو الوسيلة التي يجب أن يتنقل بها.. فليس في ذلك كثير أسى وتندم... لكن أن يخطئ الطريق إلى الله سبحانه وتعالى... أن يسلك طريقا غير الذي وصفه الله تعالى إلى الجنة، فهذا خطير بل جنون وتهور.

ذلك ما وجدت عليه - وللأسف - السواد الأعظم من المسلمين أثناء تجربتي هذه والتي لا أدعى أنها الأولى أو الأخيرة ولا حتى المتميزة... وهذا ما توصلت إليه بعد بحثي وتقسيبي بين ثانياً تراينا الديني وتاريخنا الإسلامي. أسجل هذه التجربة شهادة للتاريخ دون بحث عن منفعة شخصية أثارها سوى رضا الله تعالى، وحتى أساهم بمجهودي المتواضع لهذا في إحقاق الحق، وحتى يسجل كحلقة جديدة من حلقات انتصار مذهب الحق "مذهب أهل البيت (ع)" ومن سلك منهجهم وتمسك بهداهم وهم "الشيعة".

وليس المقصود من هذا البحث النيل من شخص معين أو إثارة الفتنة، أو البحث عن التفرقة بين المسلمين كما يحلو لبعض الجهلة أن يسمونها، إنما هو نقاش عقائدي القصد منه الكشف عن الحقائق ولفت الانتباه إلى الواقع المؤساوي الذي تعيشه الأمة من مرارة الذل والهوان بعد انحرافها عن الصراط المستقيم ونبذها كتاب الله تعالى وسنة رسوله... كما إنها خطوة لتوحيد الأمة تحت راية الحق والالتفاف حول محور الدين الحقيقى الأصيل المتمثل في نهج أهل البيت (ع).

وما أنا إلا عبد فقير من عباد الله انكشفت أمامه الحقائق وشعر بمرارة الخداع وذل التجهيل الذي مورس عليه باعتباره أحد أفراد الأمة الإسلامية، عشت وترعررت في بيئه سنية يتبعدها بمذهب الإمام مالك - تلك غالبية أهل السودان - كانت أكبر همومي تمثل في الزواج لكي أنجب أبناء أغذتهم بما ورثه من آبائي من تدين وأربיהם على خلاف ما يجري في البلاد الإسلامية الآن من تكريس لسلبيات الحضارة المادية الزائفة في نفوس أبنائنا.

كنت أحلم أن يكونوا أبناء من خدام شرع الله ودينه - ذلك الدين الذي درسناه في مناهجنا الدراسية - وكما ألقينا عليه آباءنا في مجتمعنا دون أن نبحث هل هو ما أمرنا الله به أم أن هنالك أبناء وهنثبت خفيت علينا.

أما السودان فهو بلد تأصلت فيه الروح الدينية فامتاز بالفطرية في أخلاق شعبه وكافة جوانب الحياة فيه وبقوة الواقع الديني، بالإضافة إلى حبه الواضح لأهل البيت (ع) ويفظح ذلك في ثقافته، وستتطرق إلى ذلك أثناء بحثنا.

دخل الإسلام السودان عبر الطرق الصوفية - هذه الحقيقة التي أنكرها الوهابيون حقداً وحسداً - وأعتقد أن للدولة الفاطمية في مصر اليد الطولى في انتشار الإسلام في السودان، خصوصاً وأن الطرق الصوفية تقوم أساساً على محبة أهل بيته (ع) والولاء لهم، ولقد انعكس ذلك على ثقافة وتدين الشعب

السوداني. والذي أصبح الآن علماً يشار إليه وأملاً للمسلمين باعتباره بوابة المسلمين على إفريقيا.

في هذا المجتمع عشت... وعلى طبائع أهله وخلقهم الرفيع تربيت، مسقط رأسني قرية في شرق السودان اسمها مسمار، هناك ولدت وكانت سنوات عمرى الأولى في تلك القرية التي تحضنها الصحراء المترامية الأطراف. نشأت وسط أسرة متواضعة.. انتقلت إلى هذه القرية من قرية أخرى في شمال السودان وتحديداً منطقة الرباط التي تتالف من مجموعة من القرى المتاثرة حول نهر النيل. قريتنا الأصلية تسمى "الكربة".

وقرية مسمار هي في الأساس محطة لقطار السكة الحديد الذي يأتي من العاصمة الخرطوم متوجهاً إلى الشرق حيث مدينة بورسودان أهم ميناء في السودان... وبالرغم من أن سكان صحراء شرق السودان أغلبهم من قبائل البحار والهدندة إلا أن "مسمار" كانت مأهولة بالشماليين وتحديداً من الرباط الذين انتقلوا من منطقتهم إلى الشرق بسبب أو بآخر... ووالدي كان أحد أولئك.

ترعرعت في هذه القرية وأنا صغير يحوطني أبي برعاية واهتمام وكان عندي المثل الأعلى.. لقد كان إمام المسجد وشيخ القرية.. له مكانة خاصة عند سكانها كانت تعطيني الاحساس بالأمن والسعادة خصوصاً عند ما أذهب معه إلى مسجد القرية المتواضع للصلوة اليومية وصلوة الجمعة. أو صلاة العيد التي تكون عادة خارج القرية، كانت سعادتي لا تحددها حدود وأنا أرى أبي يجهز نفسه للصلوة في أيام العيد.. عندما يلبس جلبابه الأبيض وعباءته (والعباءة في السودان لا يلبسها إلا وجهاً للبلد). ثم يتعطر بعطره الخاص الذي غالباً ما ينالني منه نصيب ثم نخرج من المنزل وفي الخارج ينتظرنـا جمـع غـير من أهـالي القرـية فـنمـضـي

إلى حيث موقع الصلاة في موكب خاشع يرتفع فيه صوت التهليل والتكبير. وعند الوصول إلى الموقع يأخذ أبي مكانه كإمام للجامعة ويصلّي بهم صلاة العيد وبعد التسليم يلتف حوله المصلون للاستماع للخطبة و كنت أحرص أن أكون أقرب الناس إليه حتى إذا انتهت الخطبة أسرع الجميع نحوه يتسابقون للتهنئة بالعيد. ويلغ إحساسني بالنشوة حده ربما لأنني أحظى ببعض الاهتمام وأنا ألاصح أبي في هذه اللحظات وبجواري أخي الصغير.

حفرت في ذاكرتي مثل هذه اللحظات. ربما لأنني كنت أرى في تقديس والدي تقديساً لشخصي... ربما ولكن ظلت صورة والدي واهتمام الناس به في ذهني دونما أن أحاول إخراجها عبر التحدث مع الآخرين.

ولم أعرف سر تقديس الآخرين لوالدي إلا بعدما بدأت أفهم الحقائق شيئاً فشيئاً. والدي من نسل العباس عم الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ويقال لمجموعة من ينتسب إليه "عباسة" باعتبار أن العباس عم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وكانت له عند الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حظوة، ويروون أن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال "الفضل كله لي ولعمي العباس" وعند العباسة كان والدي وإخوانه هم الخلفاء المتصدرون للقضايا والأمور الدينية. إضافة إلى شيء آخر كان يتمتع به الوالد جعل له تلك المكانة في أفراد الناس وهو ارتباطه بالطريقة الختمية التي تعتبر من الطوائف الصوفية الكبرى في السودان وكان والدي من المقربين والمساعدين لمرشد هذه الطائفة في منطقتنا وهو من الأشراف الذين ينتسبون إلى الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). وأبناء الشرق عموماً كبقية أهل السودان من المحبين لأهل بيته النبوة. وكل من يتقرب إلى الرسول بجهة من الجهات يحترمه ويعظمه تعظيماً للرسول الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لذلك تجدهم كثيراً ما ينخرطون في الطرق الصوفية التي تعتمد

كثيراً على الإخلاص في المودة لأهل البيت كما يرون.

اجتمعت لوالي هذه الأشياء مع قوة شخصيته، وتدينه، والتزامه. فكنت أحس بهيته وأنا بعد صبي ربما لا أميز جيداً لكن شخصيته وكينونته نقشت على قلبي وتركت أثراً بالغاً على، حتى أني كنت أقلده في كل شيء. لقد كان يعطي أوراقاً كتبت عليها أدعية وآيات قرآنية للعلاج تسمى (محایة) لشرب مائتها أو التبغ بها فصرت أفعل مثله وأمسك الورقة والقلم وأكتب عليها أحلافاً غير مفهومة وأعطيها لأخوانني إذا اشتكى أحدهم مرضًا.

دخلت المدرسة وكان ترتيبي الأول دوماً وطيلة بقائي في هذه القرية وكانت تكتمل فرحتي عندما أرى أثر السعادة في وجه والدي فأسرع إليهما كل مرة بالبشرى. وأبي يشجعني للمحافظة على هذا المستوى دون الوصول إلى الغرور مع تحذيره الدائم من حسد الآخرين والإصابة بالعين.

كنت قد بلغت التاسعة من عمري حين مرض والدي مرضًا شديداً نقل على أثره إلى مدينة بورتسودان للعلاج هناك تصحبه أمي.

حينها شعرت بفراغ كبير.. لقد فقدت شيئاً عظيماً داخل قلبي. كما افتقدت بيتنا، فوهج نوره وجوده كان يملأ البيت كأي رب أسرة يفيض بعاطفته على أهله وأولاده فيكسوهم بحنانه... بات إخوتي وأهل القرية جميعاً، يتربّون العودة.. يعدون الليلات والأيام.

وبعد فترة ترقب وانتظار.. جاءنا الخبر يحمله عمي شقيق أبي.. لقد انطفأ ذلك السراج المضي وانقلب بيتنا إلى بيت حزن يضج بالبكاء والنحيب وتواتفت جموع المعزين من أهل القرية بسرعة غريبة وتجمهروا أمام البيت. كنت مذهولاً وكلما اقترب منا شخص يزداد نحيباً ويضموني وأخي الصغير إليه.. لم نبق كثيراً في مسماً بعد وفاة الوالد وانتقلنا إلى منطقتنا الأصلية

"الكربة" وهنا أتممت دراستي الابتدائية، ثم انتقلنا إلى مدينة بورتسودان لظروف الدراسة والمعيشة فإخوتي بعضهم يعمل وبعضهم يدرس في المدارس فكان لا بد من الانتقال إلى مدينة توافر فيها مقومات هذه الأمور.

بدأت في بورتسودان مرحلة جديدة من حياتي بين صخب المدينة وأجوائها التي تختلف تماماً عن القرية. درست المتوسطة والثانوية ولم يكن لي هم في هذه الفترة سوى إنتهاء الدراسة الجامعية والتخرج والانطلاق في الحياة حتى أستطيع مساعدة إخوتي في إعالة الأسرة.

مضت السنوات سراعاً وأصبحت على اعتاب التخرج من الثانوية. امتحنت للشهادة فأحرزت نتيجة تؤهلني لدخول جامعة القاهرة بالخرطوم التي أصبحت فيما بعد جامعة النيلين. واخترت كلية الحقوق. كان اهتمامي الاجتماعي يفوق اهتمامي الأكاديمي ووجدت نفسي في هذا الجانب حيث تعرفت على الكثيرين واستفدت من التجارب.

بعد ذلك أصبحت رئيساً للاتحاد العام للطلاب السودانيين بالولاية الشمالية و كنت سعيداً بذلك لعلي أخدم الطلاب وأقدم شيئاً يكون ذخراً لي في آخر تي خصوصاً وأن أغلب الناس باتوا يعيشون في غفلة والساعة تقترب ولا ندري متى يدركنا الموت حينها لن تنفعنا تقوى آبائنا إلا بمقدار ما استفدنا مما قدموه لنا من نصح وإرشاد وتربيمة قوية.

استقر بي المقام في العاصمة "الخرطوم" لأبدأ الدراسة الجامعية... وفي أحد أحياها حيث اخترت أن أسكن مع أقربائي كان يسكن أحد أبناء عمومتي وحيداً يكافح في الحياة بين الدراسة والعمل.. كان متديناً يعيش حياة سعيدة رغم أنه لا يملك شيئاً من الوسائل المادية للسعادة وربما يختصر طعامه في اليوم بوجبة واحدة.

كنا نزوره باستمرار - لاعجابنا الكبير به وبخلقه وزهده - ونجلس معه ونحاوره كثير من قضايا الدين والموت والآخرة، كان ينبوعا من العلم، وحديثه معنا كان يخلق فينا رحمة إيمانية ودفعه معنوية مضاعفة وذلك لمواجهة الحياة والزهد في الدنيا... كنا نعجب من تدينه الذي ينبع من إخلاص قلما تجده عند أحد خصوصا في هذا الزمن الذي غلت عليه المادية وأصبح الدين لعنة على ألسنة الناس يحوطونه ما درت معايشهم فإذا محسوا بالبلاء قل الديانون.. إحساسنا ونحن نتحدث إليه أننا نقف مع أحد أولئك الذين جاهدوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بدر وأحد وحنين... تخرج الكلمة من قلبه فتشعر بها في أعماق وجданنا، كان كثير الصوم.. دائم العبادة لله تعالى.. أحيانا نبيت معه ليالي كاملة فنراه بالليل قائما قانتا يدعوا الله ويتلوي كتابه وفي الصباح يدعو الله بكلمات لم نسمع بها من قبل، كلمات ينادي بها ربنا عز وجل هي بلا شك ليست لبشر عادي، لأبد أنها من قول الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" ولكن عجبا لم نسمع بها من قبل، ولم نقرأها ضمن مناهجنا الدراسية ولا في كتبنا الإسلامية... فتضطر إلى سؤاله ما هذا الذي تقرؤه؟! فيجيينا بأنه دعاء الصباح لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فنوجم مبهوتين.

كثيرا ما كان يشير الحديث عن أهمية التدين والدين والبحث عن سبل النجاة قبل أن يأتي الأجل المحظوم وهذا الحديث كان يثير فينا إحساسا بالمسؤولية يؤرقنا فكنا نتحاشى فتح الحوار معه من الأساس. إلى أن جاء يوم ابتدأنا معه حوارا صريحا - بعد أن لاحت لنا في الأفق أشياء استغربناها - حول هذا الدين الذي يتبعه إلى الله تعالى، وأول معلومة ثبتت لدينا أنه جعفري إمامي اثنا عشرى "شيعي"! وانطلقتنا معه في حوارات قوية باعتبارنا متمسكين بمذهب أهل السنة والجماعة أولاً أقل (ذلك ما عليه آباؤنا ونحن على آثارهم سائرون) وكان

النقاش يمتد لساعات طويلة وكانت حجته قوية بينة مدعمة بالأدلة والبراهين العقلية والنقلية، ولم يعتمد في طول حواره معنا على كتاب أو مصدر شيعي مما يعملون به بل كان يرشدنا إلى مصادر أهل السنة والجماعة لنجد صدق ادعائه، ورغم أن حديثه وأدلته وبعض الكتب التيقرأها كانت تحدث فيما هزة داخلية إلا أنها كانت نكابراً ولا نظهر له من ذلك شيئاً... وعندما نجتمع بعيداً عنه

كنا نأسف لحاله ونصفه بأنه مسكين - رغم تدينه المخلص - بدأ

أول خطواته نحو هاوية الجنون لكونه شيعي... إلى أنه أثبت لنا بعد حوار دام سنتين تقريباً بأننا كنا من المجانين الغافلين وأقام علينا الدليل والحججة بصحبة ما هو عليه، فما كان منا في النهاية إلا التسلیم بعد البحث والتنقیب وانکشاف الحقائق.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوكَ فِيمَا شَجَرُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرْجاً مَا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

الفصل الأول

لماذا هذا الكتاب

ذهبت في يوم من الأيام إلى أحد أصدقائي لزيارتة فأخذنا الحديث إلى حيث الشيعة والتشيع، فتجاذبنا أطراف الحديث حول هذا الموضوع... وفي أثناء تداولنا للموضوع دخل علينا شاب في مقتبل العمر... ألقى علينا تحية الإسلام ثم جلس وبدأ يستمع ونحن نواصل الحوار، انتبهت إليه وقد بدت عليه علامات الحيرة، ثم تدخل في النقاش بقوله: - يبدو أن بعض الفرق الضالة أثرت عليك يا أخي! وأخذ يتفنن في المهنة التي يجيدها وأمثاله من توزيع أصناف الكفر والضلال والزنادقة على كل الطوائف الإسلامية عدا الوهابية، كنت منذ دخوله قد علمت أنه وهابي وذلك من ثوبه الذي كاد أن يصل إلى ركبته من القصر... قبل أن يتم كلامه ارتفع أذان المغرب توقفنا عن النقاش حتى نصلي ثم نعود بعد الصلاة.

بعد الصلاة بادرني قائلاً: - من أي الفرق أنت؟! يبدو أنك من جماعة الشيعة!.

قلت: تهمة لا أنكرها وشرف لا أدعيه.

فما كان منه إلا أن أرعد وأزبد وثارت ثائرته.

قلت له - وقد تجمع بعض أقارب صديقي حولنا - إذا كان لديك إشكال تفضل بطرحه بأدب ولنجعله مناظرة مصغرة أو حوارا - وهو سلاحهم الذي يهددون به الآخرين أغترارا منهم بقوة مقدرتهم على الاحتجاج -.

وافق المغورو، فقلت له: - من أين نبدأ؟ ما رأيك أن نبدأ بالتوحيد الذي

تمشدقون به وبسبب فهمكم الخاطئ له تضعون كل الناس في جبهة المشركين؟ فوافق أيضاً وبدأ الحوار والجميع يستمع.

قلت: - ما تقولون في الله خالق الكون وصفاته.

قال: - نحن نقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا تجوز عبادة غيره.

قلت: - وهل يختلف اثنان من المسلمين في ذلك؟.

قال: - الجميع يقول بذلك ولكن تطبيقهم خلاف قولهم إذ أنهم في الواقع مشركون لأنهم يتولون بالأموات ويخضعون لغير الله ويشركون به في طلب الحاجات، والخضوع لغير الله وغيرها من الأشياء التي ذكرتها تعني عبادة غيره تعالى.

قلت: حسنا طالما الجميع يقول بأن الله واحد أحد فرد صمد ولا يجوز عبادة غيره بأي حال من الأحوال فهذا جيد ويخرج الجميع من دائرة الشرك، إلا إذا ثبت لدينا بالدليل القاطع أنهم يعبدون غير الله أو يشرون بعبادته أحدها حينها يكونون مشركين.

أما ما يفعلونه من أفعال مثل التوسل وتعظيم الأولياء واحترامهم فهذا ليس من الشرك في شيء، لأن العبادة تعني الخضوع والتذلل لمن نعتقد أنه إله مستقل في فعله لا يحتاج إلى غيره، أما مجرد الخضوع والتذلل والاحترام فلا يعتبر عبادة وقد أمرنا به القرآن كالذلل للوالدين والمؤمنين، بل إن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، بناء على ذلك لا يكون احترام الأولياء وزيارة قبورهم والتوسل بهم وتعظيمهم شركا بالله لأنهم لا يرون أن هؤلاء آلهة مستقلون عن الله، بل هم عباد أكرمهم الله بفضله، فعطاؤهم من الله وليس لهم قدرة ذاتية مستقلة.

قال: - ولماذا يسألون الله مباشرة؟ هل هناك مانع وهو القائل

﴿أدعوني أستجب لكم﴾؟

قلت: - أيضا قال تعالى ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾^١ ثم إنك عندما تمرض لماذا تذهب إلى الدكتور؟ ألم يقل الله تعالى في كتابه ﴿وإذا مرضت فهو

^١ سورة يوسف: آية ٣.

يشفين》 ﴿ أليس من أسمائه الشافي؟ .﴾

قال: - هذه ضرورة في الحياة.

قلت: - أيضاً تلك سنة وسبب به تبتغي الحاجات.... والتفت إلى الحاضرين وقلت: - هل تجدون في كلامي هذا خطأ، فأقرروا بما قلت وزاد أحدهم وكان صوفياً: - هذه الأشياء موجودة من زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسار عليها الصحابة والتابعون وكل المسلمين إلى أن جاء ابن تيمية وتلميذه محمد بن عبد الوهاب بدعهم الجديدة هذه.

قال الوهابي: - إنكم تتحدثون بلا علم، والوقت ضيق الآن فلنأخذ من الموضوع شيئاً نتناقش حوله وفي وقت آخر أكون مستعداً لتناول أكثر من ذلك.

قلت: - عندي سؤال آخر حول التوحيد ماذا تقولون في صفات الله؟

قال: - نحن لا نقول إنما نصفه بما وصف به نفسه في القرآن.

قلت: - وبماذا وصف نفسه؟ هل قال بأنه جسم يتحرك أو أن له يداً وساقاً وعينان؟.

قال: - نحن نقول بما جاء في القرآن لقد قال تعالى: ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ وكثير من الآيات الأخرى التي تصف الله لنا فنقول إن الله يداً بلا كيف.

قلت: - إن قولك هذا يستلزم التجسيم والله ليس بجسم وهو ليس كمخلوقاته، ثم ما هو الفرق بينكم وبين مشركي مكة أولئك نحتوا أصنامهم بأيديهم وعبدوها وأنتم نحتم أصناماً بعقولكم وظلت في أذهانكم تعبدونا لقد جعلتم الله يداً وساقاً وعينين ومساحة يتحرك فيها ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ ﴾

^١ سورة طه: آية / ٩٩ .

وقاراً﴿ و بكلمة إن الآيات التي ذكرتها مجازية و ترمز لمعانٍ أخرى.

قال: - نحن لا نؤمن بالمجازات والتأويلات في القرآن.

قلت: - ما رأيك في من يكون في الدنيا أعمى هل يبعث كذلك أعمى؟

قال: - لا! .

قلت: - كيف وقد قال تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أُعْمَى نَحْرَشَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُعْمَى﴾ و أنتم تقولون لا مجاز في القرآن. ثم إنه بناء على كلامك إن يد الله ستهلك و ساقه وكل شيء مما زعمتموه - والعياذ بالله - عدا وجهه ألم يقول البارئ جل وعلا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ﴾ و ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِيَقْيَ وَجْهُ رَبِّكُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ .

قال: - هذه الأشياء لا ربط بينها وبين ما نقوله.

قلت: - كلام الله وحدة واحدة لا تتجزأ، وإذا استدللت به على صحة قولكم، يحق لي أن أنطلق منه لتفنيد هذا القول، وأنتم تستدللون على مجئ الله مع الملائكة صفا يوم القيمة كما فهمتم من القرآن.

قال: - ذلك ما قاله الله تعالى في القرآن.

قلت: - المشكلة تكمن في فهمك للقرآن، إن في القرآن آيات محكمات وأخر متشابهات فلا تتبع المتشابهات فترى، وإلا أين كان الله حتى يأتي؟

قال: - هذه أمور لا يجب أن تسأل عنها.

قلت: - دعك من هذا ألا تقولون أن الله ينزل في الثالث الأخير من الليل ليستجيب الدعاء.

قال: - نعم ذلك ما جاءنا عبر الصحابة والتابعين من أحاديث.

قلت: - إذا أين هو الله الآن؟!!

قال: فوق السموات.

قلت: وكيف يعلم بنا ونحن في الأرض.

قال: بعلمه.

قلت: إذا الذات الإلهية شيء وعلمه شيء آخر.

قال: لا أفهم ماذا تقصدا!

قلت إنك قلت إن الله في السماء وبعلمه يعلم بنا ونحن في الأرض، إذا الله شيء وعلمه شيء آخر.

سكت متثيراً..

وأصلت حديسي: أو تدربي ماذا يعني ذلك إنه يعني الشرك الذي تصفون به الآخرين، لأن الفصل بين الذات الإلهية والعلم واحد من اثنين إما أن العلم صفة حادثة فأصبح الله عالما بعد أن كان جاهلا وإما أنها صفة قديمة وهي ليست الذات كما تدعون فيعني الشرك لأنكم جعلتم مع الله قديما، أو يأخذنا قولكم هذا إلى أن الله مركب، والتركيب علامة النقص والله غني كامل سبحانه وتعالى عما يصفه الجاهلون.

عندما وصلت إلى هذا الموضوع من الكلام قال أحد الحاضرين: إذا كانوا يقولون بذلك فالله ورسوله منهم براء، ثم التفت إلى قائلاً: ما تقول أنت حول هذا الموضوع ومن أين لك بذلك.

بينت لهم أن ما أقوله هو كلام أهل البيت (ع) وهو كلام واضح تقبله الفطرة ولا يرفضه صاحب العقل السليم ويؤكده عليه القرآن، وأتيتهم ببعض خطب الأئمة حول التوحيد منها خطبة الإمام علي (ع) يقول: "أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكما الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادتها كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله فقد

قرنه ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده ومن قال "فيم فقد ضمنه ومن قال "علام" فقد أخلى منه..." ثم شرحت لهم مقصود الخطبة. قال بعض الحاضرين: والله إنه كلام بليغ سلس ومحكم. ثم اتفقت كلمتهم حول هذا الشاب المسكين أنه مخطئ في اعتقاده ويجب عليه مراجعة حساباته حتى لا يذهب إلى نار جهنم.

ثم دار النقاش حول الرسالة والرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي يدعون أنهم أولى الناس به وقد ثبت لي أنهم أبعد ما يكون عننبي الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن معرفته فكيف يكونون أولى الناس به؟ وبالحوار انقطعت حجته وأصبح محل تهكم الآخرين، وقبل أن نختتم الحوار سألهنحاولا استفزازي: شيخنا ما رأيكم في الصحابة الذين نعتبرهم نحن من أولياء الله الصالحين؟ فقلت له: ياشيخ... أول الدين معرفته، وأنت لم تعرف الله فكيف تعرف أولياءه؟! وتوعادنا لمواصلة الحوار يوما آخر، وفي ذلك اليوم جاء بوجه آخر ويبدو أنه أخذ جرعة قوية من مشايشه - وابتداً هذه المرة بالشتم والسب أمام جمع من الحاضرين، وطالبهم بعدم الجلوس معه، ولا أبالغ إذا قلت أنه ظل ما يقارب الساعتين يسب ويشتم ويصرخ ويلوح بيده مهدداً ومتوعداً بقتلي جهاداً في سبيل الله، ولا أدرى من أين تعلم الجهاد وهو عملياً محروم عندهم خصوصاً ضد الطواغيت، ولعله لم يكن ملتفتاً إلى أن دم الحسين (ع) ما زال يغلي في عروق الشيعة... مع ذلك - ويعلم الله - فإني لم أرد عليه لأنني على بصيرة من ديني وتعلمت من سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف أنه صبر على أذى كفار قريش، وكيف أمروا صبيانهم بمالحقته وإيذائه وطلبوه من الناس ألا يستمعوا إليه وهكذا التاريخ يعيد نفسه.

لأجل ذلك عزيزي القارئ أقدم كتابي هذا إنه الحق يصرخ لنصرته، لقد رأيت في عيون الذين حضروا حواري هذا التلهف لمعرفة الحقيقة، وما زلت أراها في عيون كل الأحرار الذين يدفعون ثمن التضليل الإعلامي وتزيف الحقائق. وعندما يشعر الإنسان قبل ذلك بلذة الانتصار على النفس الأمارة بالسوء ويبصر نور الحق شعلة براقة أمام ناظريه... يتمنى أن يشاركه الآخرون هذا النور فيبين لهم طريق ذلك...

وهذا الكتاب ما هو إلا إثارة لدفائن العقول وتحفيز الآخرين للبحث عن الحقيقة التي كادت أن تضيع بين مطرقة افتقاء آثار الآباء، والأجداد وسندان سياسة التجهيل التي مارسها العلماء في حق الأبراء مثل هذا الشاب الذي أجريت معه الحوار، إن هنالك الكثير ما يزال على فطرته يريد الحق ولكن يلتبس عليه الأمر فيتمسك بما اعتقاده من باطل وأصبح جزء من كيانه يدافع عنه بتعصب مانعا الحقيقة أن تتسلب إلى عقله.

لقد من الله علي بالهدایة بفضله وأدخلني برحمته إلى حيث نور الحق، وشكرا لهذه النعمة يجب علي أن أبلغ للناس ما توصلت إليه.

لذلك أسطر هذه المباحث وأكتب هذا الكتاب إنه شعلة حق أخذتها من فاطمة الزهراء (ع) وأقدمها لكل طالب حق، ولكل باحث عن الحقيقة.

ومن الأشياء التي ملأتني حماسا أكثر للكتابة ما أراه وأسمع به يوميا من هجوم شرس يشنه أعداء الإسلام على الأمة، ومحاولاتهم المستمرة لتشويه صورة الدين الإسلامي النقية البيضاء التي أنزلت من قبل الله تعالى للبشرية وذلك بإثارة الفتنة بين الطوائف الإسلامية ودعم الطفيليات الشيطانية التي غرسـت في جسد الأمة على حين غفلة، فكانت وبالا عليها. وستري عزيزي القارئ ذلك واضحا إذا تعرفت على سر الافتراقـات التي يروـجونها ضد أنصار الحق (الشيعة).

وحتى تضييع هوية المسلمين كما يريد أعداؤهم كان لا بد من وجود بعض أدعية الدين في أواسطنا، يتحدثون به وهم أبعد الناس عنه، ويحملون المعاد لهم الأمة من الداخل ومن أبرز هؤلاء ما يسمون بالوهابية "قرن الشيطان الذي خرج من نجد كما تقول الأحاديث الشريفة" بثقافتهم التي تقوم على تكفير الجميع إلا أذيا لهم، والمتابع لسياستهم في تعاطيها مع واقع الأمة يدرك أنها ما كانت إلا لضرب الإسلام وتجريده من روحه وخصوصياته، لقد رأيناهم في السودان وهم يحرمون العمل السياسي في فترة زمنية معينة، ويلخصون كل شريعة السماء في حدود لا تتجاوز إطالة اللحية واللبس القصير... وما أشبه، مع وضع كل أعمال المسلمين في قائمة الشرك كان هذا هو مشروعهم الحضاري للأمة... ولكن عندما رفعت الشعارات الإسلامية كمنهج للحكم، وأصبحت هنالك جماعة إسلامية تتبنى العمل السياسي كضرورة دينية ملحة التفتتا، فإذا بنا نرى المنابر السياسية المعارضة تنصب في مساجد الوهابية بالسودان والعمل الذي كان حراماً أصبح واجباً، بينما كنا في فترة سابقة نرى حانات الخمر أكثر من أفران الخبز دون أن تحرك الوهابية ساكناً، ولكن قوى الاستكبار تعرف كيف تحرك خيوطها التي جعلتها متشابكة داخل الأمة.

ونراهم اليوم تركوا كل شيء وصاروا يلفقون التهم والافتراءات على شيعة أهل البيت (ع) ويسيخرون كل إمكانياتهم ضد الشيعة.... يكذبون عليهم... يؤولون كلامهم يخفون حقيقتهم، ولا أدرى أين هم من القرآن الحكيم الذي نراهم يقلّقون به دائماً وهم أبعد الناس عنه لأنّهم لم يتذروا آياته. كما لم يسعوا إلى إنزال الفكر القرآني إلى أرض الواقع فها هو القرآن يصدق ﴿إِذْ أَعْلَمُ بِكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَمَا تَرَوْنَ مِنْ حُسْنَةٍ وَجَادَلُهُمْ بِمَا تَيَّبَّسَ﴾ هـ. سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم وبالتالي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهددين هـ.

ويقول تعالى ﴿قُلْ هَاتُوا بِرَهْانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . فأين هم من هذا الأدب الرفيع، ولا نجد لهم هما وهم يمارسون الدعوة سوى التكفير والتشهير والكذب والافتراء، وال الحديث حول الوهابية يطول ولنا معهم وقفه في مجال آخر إن شاء الله.

لهذه الأسباب وغيرها ارتأيت أن أكتب هذا الكتاب لأساهم في دفع الشبهات التي علقت في أذهان البعض ضد التشيع باعتباره الإسلام الصافي الذي به فقط تكون النجاة أمام الله سبحانه وتعالى ، وهو بحث للجميع لم أبحث فيه عن التكلف وتركيب المصطلحات التي يصعب على فئة من الناس فهمها وليس القصد منه استعراض العضلات بقدر ما هو مشعل نور لمن أراد الاستبصار والوصول إلى الحقيقة وإخراج العقل من سجن الأوهام إلى حيث حلاوة الإيمان ولذته.

الفصل الثاني

البحث في التاريخ ضرورة

البحث في التاريخ ضرورة

ونحن ندخل في خضم هذا البحث لا بد من سبر أغوار التاريخ والتعرف على مجريات الحوادث فيه... لكن هنالك بعض الفئات التي تعتقد أنها بلغت مرحلة من التقوى والورع تشير شبهة تبلورها في شكل أسئلة تبرر التقاус في البحث عن الحقيقة! وهي... لماذا نبحث في شيء مضى وما هي الفائدة من إثارة مواضيع من زمان غابر؟ وأين هي الخلافة التي اختلف فيها علي (ع) مع أبي بكر؟! وأسئلة أخرى تصب في هذا الاتجاه توحّي بأحد أمرير إما انحراف فكري عند أصحابها، أو غبار وجهل يلفه.. وحتى تنقشع حجب الشبهات عن البعض سأتحدث في محورين: الأول التاريخ في القرآن، والثاني تأثير التاريخ على حاضرنا ومستقبلنا كامة إسلامية الواجب عليها بناء حضارة تقارع الحضارة المادية المهيمنة.

أولاً: - التاريخ في القرآن:

المتأمل في القرآن الحكيم يجد أنه كثيراً ما يتحدث عن قصص الماضين... وبلا شك هذا ليس لغواً زائداً ولا هو كما يدعى البعض لسلية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط، بل هو بيان لثبات السنن الإلهية فيما يخص الصراع بين الحق والباطل، ولو كانت هذه القصص خاصة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط لما كان منها فائدة تذكر بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

والله تعالى يقول ﴿نَحْنُ نَقْصٌ عَلَيْكَ أَحْسَنُ الْقَصَصِ﴾^١ ويقول ﴿كَذَلِكَ نَقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَا ذَكْرًا﴾^٢

^١ سورة الأعراف: آية ١٧٦.

^٢ سورة يوسف: آية ١١١.

ويقول ﴿فَاقْصُصِ الْقَصْصَ لِعَلَمِهِ يَتَفَكَّرُونَ﴾^١ ويقول عز وجل ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصْصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾^٢

وغيرها من الآيات الواضحة التي تلقت انتباها للتفكير والتدبر في التاريخ، وهذه النتيجة لا تحتاج إلى تفكير بل هي من البديهيات المسلمة ولكن البعض يرفضها بحجة أنها إثارة للفتن وكأنما القرآن هو المثير للفتنة ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالَهَا﴾^٣.

وإنني على يقين بأنه لو كان هنالك كتاب منزل من السماء بعد القرآن لقص علينا ما جرى بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على أهل بيته من ظلم واضطهاد وتنحية عن مراتبهم التي رتبهم فيها الله عز وجل، ولكن شاء الله بحكمته وإرادته أن يكون محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الأنبياء والمرسلين والقرآن هو الدستور الحاكم إلى أن يirth الله الأرض ومن عليها. وبما أن الأمة تفرقت شيئاً وطائف وجوب البحث في قضايا التاريخ عن جذر هذه الانحرافات الموجودة في الأمة، وفي نهاية هذا الفصل سنذكر أمثلة من الانحرافات التي حدثت في الأمم السابقة والتي يمكن أن نجد لها مصداقاً في واقع الأمة الإسلامية.

ثانياً: - التاريخ ضرورة للحاضر.

تفصل بيننا وبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حقبة زمنية طويلة تحتاج فيها للتاريخ شئنا أم أبيانا فهو ضروري لفهم شريعة السماء، وكل ما نتعدد به وصل إلينا عبر التاريخ، القرآن والسنة والحديث والسيرة والفقه وغيرها فكيف

^١ سورة محمد: آية / ٢٤.

^٢ سورة يونس: آية / ٣٢.

^٣ سورة البقرة: آية / ٢٥٣.

يتسنى لنا طي هذه المسافة الزمنية التي تجاوزت الأربعة عشرة قرنا إذا لم نبحث التاريخ... بلا شك إن العقلاء لا يقررون إهمال التاريخ وطيه وإغفال العبر والدروس التي يمكن استخلاصها منه.

ونحن أمة تهوى نفسها للانطلاق فلا بد لنا من النظر إلى التاريخ بعقل مستبصر ب بصائر الوحي... لا تقبله بعلاقه على أساس أنه مقدس فنقدسه بأجمعه تقديساً أعمى ولا نرفضه كلياً، لأن تقديس التاريخ يقودنا إلى تكريس سلبيات السابقين لأننا نقدسهم فنتأسى بهم كما فعلت السلفية وهي نظرية لكنها في الواقع تصبح منهاجاً للعمل ينعكس على سلوكنا.

كيف يمكننا أن نقدس معاوية مع تقديسنا لعلي (ع) وهل يعقل أن نجعل الحسين بن علي ويزيد في كفة واحدة؟ إن التقديس الأعمى للتاريخ يجعلنا لا نفرق بين الظالم والمظلوم، بين القاتل والمقتول ولا بين الطاغية والمجاهد. وبما أننا عرضة للخطأ ونحن نسعى لحمل أمانة السماء يجب علينا أن نتلافى المزالق التي وقع فيها السالفون، ولا يمكن لنا أن نتلافاها إلا بتشخيصها وهذا يتطلب وضعها تحت مجهر البحث والتنقيب...

ولأن تقديسنا ليزيد يعني إعطاءنا الشرعية له وبالتالي لكل طاغية في كل زمان، لا بد لنا من رفض يزيد ليس لأنه ابن معاوية إنما لأن حرافه عن الجادة فوجب علينا أن نفترق عنه وننزع قناع العظمة الذي ألبسه له من قدسه. كما لا يمكننا إلغاء كل التاريخ أو الانتقاء منه بأهوائنا وشهواتنا ورغباتنا لأننا بإلغائه نلغي سنن القرآن والسنة بل كل الإسلام.

إذا أعزى القارئ القارئ يجب علينا أن نتبصر بأحداث التاريخ ونقف على المنعطفات التي مرت عليها الأمة وأن نحدد من يصلح لنا قدوة من غيره حتى نستفيد لحاضرنا فنتقدم لمستقبل مشرق، وبلا شك أمة لا تفرق بين معاوية

وعلي (ع) ولا بين الحسين (ع) ويزيد أمة لن تقدم بل هذا أحد أهم الأسباب لتناقضنا الراهن.

وفيما أنا بصدده لا استغناء عن التاريخ الذي له المدخلية الأولى في فهم الانحراف الذي حدث في الأمة فتنبت الطريق وبعدت عن الصواب... أما أولئك الذين ينادون بعدم البحث في التاريخ بحججة إثارة الفتنة وعدم جدواهية ذلك يخافون من اكتشاف الواقع وفضح مأساة الأمة التي اختارتها بكامل إرادتها وهي تبتعد عن نهج الحق.

ولا يهمنا ونحن نبحث عن الحقيقة في صفحات التاريخ أن تساقط الشخصيات ويتعري البعض من هالته القدسية المصطنعة حوله، لأنه لا ترجيح للشخصيات في ميزان الحق إلا لمن أخلص له والتزم به وحاجتي إن شاء الله مما حفظه لنا التاريخ.

ثالثا - نماذج من اخترافات الأمم السابقة في القرآن الحكيم:

ذكر القرآن الكريم مرارا وتكرارا قصص الأنبياء والرسل السابقين لعلم الله تعالى بما سيجري في هذه الأمة كما جرى في الأمم السالفة وأكده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك بحديثه الصحيح "لتتبين سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لا ينبعوا منهم. قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن!".

وعندما تتجلو عزيزى القارئ في ربوع الآيات الكريمة وهي تقضى عليك قصص السالفين ستتجددها تتحدث في إطارين رئيسيين:

الاطار الأول: - تثبيت أن سنة الصراع بين الحق والباطل مستمرة ما دامت السماوات والأرض. وما لا يخفى على الجميع خصوصا أولئك الذين استناروا ببصائر الوحي من القرآن الحكيم أن هنالك حقا وباطلا فلا يوجد حق نسبي ولا باطل نسبي.. إما حق أو باطل وما بينهما مساحة للباطل ﴿فَمَاذَا بَعْدَ
الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنِي تَصْرِفُونَ﴾^١ خصوصا وأن الصراعات التي تدور تكون بعد تبيان الحق، وكما سترى فإن القرآن بدقته وببلغته يبين لنا هذه الحقائق. وإليك بعض الآيات الواردة في هذا الشأن:

﴿تَلَكَ الرَّسُولُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مِّنْ كُلِّ
شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ جَاءَهُم
بِالْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدَنَا بِرُوحِ الْقَدْسِ، وَلَوْ
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا
يَرِيدُ﴾^٢.

تححدث الآية الكريمة عن عدة أمور:

١ - عن الرسول والرسالات عموماً:

إن كلمة رسول ورسل عندما تأتي في سياق الآيات المباركة غالبا ما يدور حديثها حول أمر يرتبط بالرسالة، والاقتتال الذي يحدث بعد الرسل بين قومهم إنما هو انقلاب على الرسالة، وظلال كلمة الرسول في مثل هذه الآية توحى بأن ظاهر الاختلاف ليس حول شخص الرسول إنما في رسالته يقول تعالى ﴿وَمَا
مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى

^١ سورة يونس: آية ٣٢ / ٣٢.

^٢ سورة البقرة: آية ٢٥٣ / ٢٥٣.

أعقابكم)^١ وبما أن رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله) يدخل ضمن دائرة الرسل فإن الآية التي يدور الحديث حولها تشمل سيدنا محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم). خاصة وأن الآية السابقة تؤكد على صفة الرسالية وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) مرسلا كما كان غيره مرسلين ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^٢ ويقول تعالى حاكيا عن لسان حبيبه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿قُلْ مَا كُنْتَ بِدُعَا مِنَ الرَّسُولِ﴾^٣ وبتقرير أكثر فإن السنن التي كانت في السابقين لن تتوقف عند أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢ - وعن التفضيل بين الرسول: حتى لا يدعى مدع بأن الأفضلية لها دور في حماية الناس من الاختلاف بعد أفضل الأنبياء والمرسلين، وكثيرا ما أسمع من البعض أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الأنبياء وأفضلهم فكيف تختلف أمته من بعده؟.

صحيح أن نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أفضل الأنبياء وأكملهم ولكن ذلك لا يجعل أمته خارج دائرة السنن الإلهية وهذا ما أكد عليه القرآن يقول تعالى ﴿سَنَةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُلَنَا وَلَا تَجِدُ لِسْتَنَا تَحْوِيَلًا﴾^٤ ويقول ﴿فَهُلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا سَنَةُ الْأُولَئِنَ فَلَنْ تَجِدُ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدُ لِسَنَةَ اللَّهِ تَحْوِيَلًا﴾^٥.

إن حدوث الاختلاف من بعده لا ينفي أفضليته، إنه كغيره من الرسل

^١ سورة آل عمران: آية / ١٤٤.

^٢ سورة البقرة: آية / ٢٥٢.

^٣ سورة الأحقاف: آية / ٩.

^٤ سورة الإسراء: آية / ٧٧.

^٥ سورة فاطر: آية / ٤٣.

الذين جاؤوا لأقوامهم حتى يخرجوهم من الظلمات إلى النور ولكن كل قوم كذبوا رسولهم وانقلبوا على رسالته من بعده وهو (صلى الله عليه وآلها وسلم) ليس بداعا من الرسل كما أوضحتنا بل إن نبينا (صلى الله عليه وآلها وسلم)، أو ذي أكثر من غيره كما جاء عنه (صلى الله عليه وآلها وسلم)، فلماذا لا يكون الاختلاف من بعده أكبر وأخطر من الاختلاف الذي كان في أقوام الرسل السابقين.

يقول ابن كثير (وقال هاهنا تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلام الله) يعني موسى (ع) ومحمد (صلى الله عليه وآلها وسلم)^١ وبناء على قوله هذا يكون الاختلاف بعد الرسل يشمل أمّة محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم). من خلال الآية الكريمة نرى أن الاختلاف دائمًا ما يكون بعد أن تأتيهم البينات ويعرّفوا الحق ويتبينوا الأمر بواسطة الرسول، ومعنى ذلك أنه لا يجدي التمسك بشّاعرة التبرير المعروفة باسم "الاجتهد". الواقع العملي في أمّة محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) يرينا أن الاختلاف وقع فيها كالأمم السابقة وبعد أن بين لهم الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) معالم الصراط المستقيم ونصحهم وهو القائل "ما من شئ يقربكم إلى الجنة ويبعدكم عن النار إلا وأمرتكم به". يقول سيد قطب في تفسير الآية (ولم تغн وحدة جماعة الرسل في طبيعتهم ووحدة الرسالة التي جاؤوا بها كلهم لم تغّن هذه الوحدة عن اختلاف أتباع الرسل حتى ليقتتلون من خلاف) ^٢.

٣ - وأن نتيجة هذا الاختلاف: أن فريقاً تمسك بالحق فآمن وآخر فكر،

^١ تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٦٣.

^٢ في ظلال القرآن ج ١ ص ٢٨٤.

وذلك يعني أنهم ليسوا في مرتبة واحدة أو أنهم جمِيعاً على الحق. لكن لماذا يكون الاختلاف بعد البيانات؟ هذا ما تكفلت بالإجابة عليه مجموعة من الآيات التي تكررت في القرآن الكريم ليؤكِّد الله سبحانه وتعالى استمرار السنن في الأرض ويبيِّن طبيعة الإنسان الظلمانية التي تنجدب دائماً لرغباته وأهوائه وجهله.. يقول تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بِغَيْرِ بَيْنِهِمْ﴾^١، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِغَيْرِ بَيْنِهِمْ﴾^٢، ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِغَيْرِ بَيْنِهِمْ﴾^٣، ﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِغَيْرِ بَيْنِهِمْ﴾^٤.

نجد أن الآيات القرآنية تربط دائماً بين الاختلاف والبغى، و(معناه) في اللغة كما جاء في لسان العرب لابن منظور: التعدي، وبغي الرجل علينا بغي: عدل عن الحق واستطال ومعانٌ آخر تدل على سوء النية وهي كما لا يخفى مغايرة لمعنى الاجتهاد الذي أصبح صكًا يعصم كل المنحرفين عن المسألة والمحاسبة
 ٤ - كما نجد في هذه الآيات: أن الاختلاف يكون بين الذين أُوتوا الكتاب أي أنهم عالمون بالحق ويدركون جهته ولكن البغي فتأمل أيها المؤمن وتدبر، تلك آيات الله ﴿وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^٥.
 الأطار الثاني: كثيراً ما يضع الفرد منا مبنيَّ يبنيَّ عليها طريقة تفكيره

^١ سورة البقرة: آية / ٢١٣ .

^٢ سورة آل عمران: آية / ١٩ .

^٣ سورة الشورى: آية / ١٤ .

^٤ سورة الجاثية: آية / ١٧ .

^٥ سورة آل عمران: آية / ١٩ .

وتقييمه للأحداث وفي الغالب يكون نقاشنا لأي قضية من زاوية عاطفية أو بمنطق موروث مقدس لا يعطي للآخرين فرصة للحوار والنقاش، ومثال ذلك الحديث الذي يدور حول الصحابة الذين عاشوا مع الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وبقوا حتى وفاته وامتدت أعمار بعضهم إلى أمد طويل هل يمكن وضعهم في ميزان العدالة لتصنيفهم أم أنه لا يجوز لنا ذلك باعتبارهم عاشوا مع النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وأخذوا منه الدين ولا يمكن نقدـهم؟! لا أريد مناقشة نظرية عدالة الصحابة عند أهل السنة والجماعة الآن إنما ذلك متـرـوك للأبواب الآتـية التي سـنـاقـشـ فيها ما حـدـثـ منـهـمـ بعدـ وـفـاـةـ الرـسـوـلـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) أما الآن فـنـحنـ بـصـدـدـ أـخـذـ بـصـائـرـ منـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ تـفـيدـنـاـ فـيـ بـحـثـاـ هـذـاـ وـنـسـتـدـلـ بـقـصـيـلـيـتـيـنـ مـنـ الـأـمـمـ السـابـقـةـ ذـكـرـتـاـ فـيـ الـقـرـآنـ ثـمـ نـحـاـوـلـ أـنـ نـتـدـبـرـ فـيـهـمـ لـنـخـرـجـ بـقـاعـدـةـ كـلـيـةـ تـعـيـنـاـ فـيـ مـسـيرـنـاـ هـذـهـ.

القصة الأولى: بلעם بن باعوراء مع نبيه موسى (ع)
 يقول تعالى ﴿وَاتَّلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الدِّيْنِ أَتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتَيْهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينِ، وَلَوْ شَئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا لَكَنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمُثِلَّهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرْكِهِ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصُ الْقَصْصَ لِعَلَمِهِمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^١.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات " هو رجل من بنـي إسرـائيلـ يـقالـ لـهـ بلـعـمـ بـنـ باـعـورـاءـ كانـ يـعـلـمـ الـأـسـمـ الـأـكـبـرـ وـآتـاهـ اللـهـ آيـاتـهـ وـهـوـ مـنـ الـعـلـمـاءـ مـنـ أـتـابـعـ مـوـسـىـ (عـ)ـ بـعـهـ إـلـىـ مـلـكـ مـدـيـنـ يـدـعـوهـ إـلـىـ اللـهـ فـأـقـطـعـهـ وـأـعـطـاهـ، فـتـبـعـ دـيـنـهـ

^١ سورة آل عمران: آية / ١٧٥ - ١٧٦.

وترك دين موسى (ع)! ويواصل ابن كثير في سرد قصته ويقول: "إنبني عمه أتوا إلى بلעם وقالوا له إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد موسى ومن معه قال إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى دعا عليهم" موسى وأتباعه "فسلخه الله مما كان عليه" وفي قوله تعالى ﴿لَوْ شِئْنَا لِرَفْعَنَاهُ بِهَا﴾ يقول ابن كثير "أي لرفعناه من الدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي أتيناه إياها (ولكنه أخلد إلى الأرض) أي مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها وأقبل على لذاتها ونعيها وغرته كما غرت غيره من (أولي البصائر والنهي)".^١

يظهر جلياً من خلال الآيات وكلام ابن كثير حولها أن بلעם هذا بلغ درجة من الإيمان والتقوى والورع حتى أعطي آيات الله والاسم الأعظم وذلك يعني أنه عالم كبير وكان من أتباع موسى (ع) ولكنه مال إلى أهوائه وشهواته واعتبر بالدنيا فأضحي كالكلب.

هذه القصة ذات الأسلوب البليغ في السرد تعطينا بصيرة مهمة جداً نستطيع من خلالها أن نبدأ التوغل في عمق التاريخ بلا وجع، فها هو القرآن ينسف قاعدة العدالة المطلقة والقدسية لغير المعصوم، وهذه الآيات دلالتها واضحة على أن الإنسان مهما بلغ في العلم والتقوى بإمكانه في أي لحظة أن يخلد للأرض ويكره بنعم الله تعالى وهذه نقطة مهمة إذ كثيراً ما تشارق قضية عدالة الصحابة وأنهم لا يمكن أن يخونوا أمانات الله والرسول! وإذا سألتهم ما الدليل؟ قالوا: عاشوا مع النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وواجهدوا معه، ولكن القرآن الحكيم الذي فيه نبأ من كان قبلنا وفصل الذي بيننا وخبر ما بعدها بين هذا

^١ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٢٣.

الأمر، حتى ولو فرضنا محالاً أن جميع الصحابة بلغوا مرحلة من التقوى والورع فإنه يبقى هنالك إمكان بعدم التزامهم بالحق حتى آخر نفس في حياتهم...
والحال أتنا لم نسمع بأن أحد هم كان يملك الاسم الأعظم !!
يبقى الأصل القرآني " إن جميع الخلق ما عدا المعصومين معرضون للزلزلة والابتلاء ومن ثم النجاح أو الفشل فيه فالانتقال من جهة الحق إلى الباطل حتى ولو بلغوا أعلى درجة من التقوى والمقياس الحقيقى هو الاستقامة في طريق الحق والالتزام به كاملاً ".

بعد هذا لا أظن أن أحداً يحتاج أن يمد عنقه قائلاً بعدم إمكان تخلٰي بعض الصحابة عن الحق في أي لحظة من دون أن ينكر حقيقة وقاعدة قرآنية، ولكن بالإمكان السؤال عن مصداق ذلك في أمّة نبينا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والتفصيل متترك لمحله.

يقول محمد علي الصابوني في تفسير آخر هذه الآية ﴿فاقتصر القصص لعلهم يتذكرون﴾ أي أقصص على أمتك ما أوحينا إليك لعلهم يتذمرون فيها ويتغضون^۱ فهلا تدبّرنا واتعظنا.

القصة الثانية: السامری وهارون مع بنی إسرائیل
قال الله تعالى ﴿قَالُوا لَن نُرْجِعَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى، قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكُمْ إِذ رأَيْتُمُوهُمْ ضَلُّوا، أَلَا تَتَبَعُنَ أَفْعَصِيتُ أَمْرِي، قَالَ يَا بْنَ أَمْ لَا تَأْخُذْ بِلْحِيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرْقَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقِبْ قَوْلِي، قَالَ فَمَا خَطْبُكِ يَا سَامِرِي، قَالَ بَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوكُمْ فَقَبضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثْرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوْلَتُ لِي نَفْسِي﴾ (طه / ۸۳ - ۹۷).

^۱ صفة التفاسير ج ۱ ص ۴۸۲.

قبل أن نبدأ في شرح قصة السامری الذي انقلب على خليفة موسى "هارون (ع)" هنالك ملاحظة هامة نلحظها في القرآن الكريم وهي (التركيب على قصصبني إسرائيل) ترى لماذا هذا التركيز؟ لا بد من وجود حكمة تقتضي ذلك.

في الواقع هناك شبه كبير بين بنی إسرائيل وأمة محمد (صلی الله علیه وآلہ وسلم)، ولعل أبرز نقاط التشابه كما سيوضح من خلال الأحداث التاريخية ما جرى لموسى وهارون (ع) من بنی إسرائيل وما جرى لمحمد (صلی الله علیه وآلہ وسلم) وعلي (ع) من هذه الأمة وقول رسول الله (صلی الله علیه وآلہ وسلم) علی "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي" له مغزى ودللات عظيمة، وما أورده ابن قتيبة في تاريخ الإمامة والسياسة يبين لنا جانبًا من التشابه بين الأمتين ... يقول في معرض قصة طلب عمر من علي (ع) البيعة لأبي بكر "بقي عمر ومعه قوم أمم بيت فاطمة (ع) فأخرجوا عليها فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا له: بابع فقال: إن لم أفعل فمه؟ قالوا: إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك. فقال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله... إلى أن قال ابن قتيبة: فلحق علي بقبر رسول الله (صلی الله علیه وآلہ وسلم) يصيح ويكي وينادي: يا بن أم إن القوم استضعفوني وقادوا أن يقتلوني^١ وهذا ما قاله هارون لموسى (ع).

أما السامری كما ورد في التفاسير ومجمل الكتب التي أوردت قصص الأنبياء فإنه ربيب جبرائيل تعهده منذ الصغر حينما كان فرعون يقتل كل ذكر يولد في بنی إسرائيل، ويوم نزل جبرائيل (ع) حتى يأخذ موسى إلى الميقاتأخذ السامری قبضة من أثره وألقى به في جسد العجل المصنوع من الحلي فأصبح له

^١ الإمامة والسياسة تاريخ الخلفاء: ج ١ ص ١٢.

خوار. وما يهمنا من القصة أن السامری کان من أصحاب موسى (ع) وکما هو واضح بلغ مرتبة عظمي حتى قال (بصرت بما لم يبصروا به) وکان له من العلم ما لم يكن لغيره وحظي بمشاهدة جبرئيل واستطاع بكل ذلك أن يضلبني إسرائيل الذين اتبعوه باعتبار أنه ذو مكانة... فسولت له نفسه الأمارة بالسوء فكان عمله الباطل الذي أضل به القوم...

السؤال الآن، هل يمكن أن نجد في تاريخ الأمة الإسلامية وواقعها بعد وفاة الرسول (صلی الله علیه وآلہ وسلم) مصداقاً لمثل هذا الانحراف؟ مع علمنا التام بأنه لا يوجد أحد من صحابة رسول الله (صلی الله علیه وآلہ وسلم) كان يحمل برؤية جبرئيل على حقيقته ومعرفته وامتلاك بعض الأسرار الإلهية المكونة في أثره... صحيح أن جبرئيل كان يأتي للنبي (صلی الله علیه وآلہ وسلم) في صورة رجل يسأله عن أمور الدين ولكن ما كان الصحابة يعرفونه إلا بعد مغادرته وبيان الرسول (صلی الله علیه وآلہ وسلم) فأين كان السامری وأين هم الصحابة؟.

وعند البحث في جذور انحراف الأمة بعد وفاة النبي (صلی الله علیه وآلہ وسلم) سترى مدى تطابق الأحداث التاريخية مع القصص القرآنية خصوصاً قصة بنی إسرائيل.

وفي ختام هذا الفصل (أعرض عليك عزيزي القارئ سببين رئيسين يذكرهما القرآن لأنهما يمنعان الإنسان من الاهتداء إلى الحق، أو الالتزام به بعد معرفته، وهذا السببان يعترضان أي إنسان في أي مكان وأي زمان.

أولاً:

تقديس ما توارثناه عن آبائنا وأجدادنا وهي مشكلة كبيرة ذمها القرآن

باعتبارها عائقاً وحائط صد منيع يجب تجاوزه خصوصاً في مسألة الاعتقاد
والتي نسأل عنها باعتبارها تكليفاً عينياً بعيداً عن الانتماءات الأسرية
والاجتماعية وغيرها...

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قيلَ لَهُمْ أَتَبْعَوْهُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَنَا
عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^١.
﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا إِنَّا
وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ، قُلْ أَوْلُو جِئْنَكُمْ بِأَهْدِي مَا
وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾^٢.

﴿وَإِذَا قيلَ لَهُمْ أَتَبْعَوْهُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
أَوْلُو كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوْهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِير﴾^٣.
وغيرها من الآيات التي تتحدث حول هذا الموضوع.

ثانياً:

الاستكبار بعد معرفة الصواب وهذه المشكلة كانت السبب الرئيسي في
عدم اتباع الأمم لرسلهم وهي التي أخرجت إبليس من رحمة الله تعالى...
يقول تعالى: -

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَاكِ أَثِيمٍ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تَتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصْرُ مُسْتَكْبِرًا
كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبِشْرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾^٤.

^١ سورة البقرة آية / ١٧٠.

^٢ سورة الزخرف: آية / ٢٣ - ٢٥.

^٣ سورة لقمان: آية / ٢١.

^٤ سورة الجاثية: آية / ٨ - ٧.

﴿فَكُلُّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهُوِي أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرُتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ
وَفَرِيقًا قُتِلُوكُمْ﴾^١.

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾^٢.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ وَلَا
يُدْخَلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلْجُ الجَمْلَ فِي سَمَاءِ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرَمِينَ﴾^٣.
هذه بعض العوائق التي تقف حائلًا بيننا وبين معرفة الحق واتباعه...
والبحث الآتي بين طيات هذا الكتاب يحتاج لإزاحة مثل هذه الحجب وغيرها
حتى يرى الإنسان الحقيقة كرؤيته للشمس في واضحة النهار والله المستعان.

^١ سورة البقرة: آية / ٨٧.

^٢ سورة الأعراف: آية / ٣٦.

^٣ سورة الأعراف: آية / ٤٠.

ξ

الفصل الثالث

الشيعة والتشريع

الشيعة والتسيع

مجرد كلمة شيعي تعني لدى الكثير من الناس السب والشتم والضلال... هكذا علموهم... وهكذا فرضوا عليهم سياجاً من الجهل، يقولون لا تبحث عنهم... لا تقرأ لهم. وعدنا إلى عهد معاوية حيث سب علي (ع) على المنابر سنة، وتزداد المكافأة الملكية كلما أمعنت في لعن أبي الحسن وأهل بيته (ع)... كلا نحن لم نعد ولكن الصراع الأيديولوجي هو الذي امتد إلى يومنا هذا، ما زال عليناً يسب، فقط تغير العنوان فأصبح الشيعة.. أما عوام الناس فدورهم فقط تلقي الأوامر "من أخبارهم"، وهم تحت مظلة السنة والجماعة وهل هنالك من يرفض أن يكون مع السنة والجماعة... ولكن أي سنة هي وأي جماعة؟ هل هي سنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أم أنها سنة من غيره؟ بدل سنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ وحتى لانتوه توقف قليلاً لمعرفة هذه العناوين والسميات، ماذا تعني الشيعة ومن هم... وما هي السنة والجماعة وذلك في لمحات موجزة..

١ - التسيع لغة هو المشايعة أي المتابعة والمناصرة والموالاة^١ في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ مَنْ شَيَعَتْهُ لِإِبْرَاهِيمَ﴾.

واصطلاحاً يراد بهم أتباع وأنصار آل البيت (ع) وهم الذين ناصروهم في كل محنهم وسلكوا مسلكهم ووالوهم، يقول ابن خلدون "اعلم أن الشيعة لغة هم الصحابة والتابعون ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه"^٢.

تضاربت الآراء والأقوال لدى البعض حول بداية التسيع فهنالك من يرى

^١ تاج العروس ولسان العرب مادة شيع.

^٢ تاريخ ابن خلدون الفصل ٢٧ في مذهب الشيعة ص ٣٤٨.

أن الشيعة تكونوا بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) ومنمن يذهب إلى هذا ابن خلدون في تاريخه فقد قال: إن الشيعة ظهرت لما توفي الرسول وكان أهل البيت يرون أنفسهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش ولما كان جماعة من الصحابة يتشيرون لعلي ويرون استحقاقه على غيره ولما عدل به إلى سواه تأففوا من ذلك... الخ^١ و منهم أيضاً العقوبي في تاريخه وهو يقول وبعد جماعة المتخلفين عن بيعة أبي بكر هم النواة الأولى للتتشيع ومن أشهرهم سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود والعباس بن عبد المطلب^٢.

وهناك من يرى أن التتشيع نشأ أيام الخليفة الثالث عثمان ومنهم من يقول أنه تكون أيام خلافة علي (ع) ورأي آخر يقول بظهور التتشيع بعد واقعة الطف. كل هذه الأقوال لا تثبت أمام التحقيق في كتب التاريخ والحديث والتفسير، وربما يكون أقربها إلى الصواب الرأي القائل بأن التتشيع بدأ بوفاة الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) ولكن يواجه هذا الرأي بسؤال وهو كيف يمكن أن تبلور هذه الفكرة في ظرف أقل من أسبوع؟ إلا إذا كانت موجودة بالفعل ولكن الأحداث هي التي جعلتها تأخذ مكانها في الواقع الخارجي.

أما الشيعة وغيرهم من المحققين من المذاهب الأخرى فإنهم يذهبون إلى أن التتشيع ولد حينما ولدت الرسالة على عهد النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) وإنه هو الذي غرسه في النفوس عن طريق الأحاديث التي وردت على لسانه (صلى الله عليه وآلها وسلم) وكشفت عما لعلي (ع) من مكانة في موقع متعددة رواها إضافة إلى الشيعة ثقة أهل السنة، ولقد وردت كلمة شيعة على لسان

^١ المصدر السابق ج ٣ ص ٣٦٤.

^٢ تاريخ العقوبي.

الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) وإليك نماذج من النصوص التي وردت:

١ - في الدر المنشور للسيوطى ج ٨ ص ٥٨٩.

روى عن ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) فأقبل علي (ع) فقال النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم): "والذي نفسي بيده إن هذا وشيته لهم الفائزون يوم القيمة" فنزل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِيَّةُ﴾.

٢ - ابن حجر في الصواعق المحرقة الباب (١١) الفصل الأول الآية الحادية عشر: - عن ابن عباس قال: - لما أنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِيَّةُ﴾ قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) لعلي (ع) "هم أنت وشيتك تأتون يوم القيمة راضين مرضيين ويأتي عدوكم غضبا مقمحين".

٣ - القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج ٢ ص ٦١.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم): "علي وشيته هم الفائزون يوم القيمة".
ومن المصادر التي ذكرت هذه الرواية في تفسير قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾... الخ الآية:

أ - تفسير الطبرى ج ٣ / ١٤٦.

ب - روح المعاني للألوسي ج ٣.

ج - كفاية الكنجى الشافعى ص ٢٤٤ - ٢٤٦.
وغيرها من المصادر.

والشواهد التاريخية كثيرة على ذلك، فكل الحوادث التي شارك فيها علي (ع) أو الحسن والحسين (ع) تصف أصحابهم بأنهم من شيعتهم.

والشيعة الآن هم الذين يواليون أهل البيت (ع) ويأخذون منهم معالم دينهم أصولاً وفروعاً باعتبار أنهم حملة السنة، والامتداد الطبيعي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبذلك يكونون هم الذين اتبعوا سنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والتزموا بتمسكهم بأئمة أهل البيت (ع) كما أمرهم (صلى الله عليه وآله وسلم)، والخلاف بينهم وبين أهل السنة ليس خلافاً حول المسميات إنما القضية تختص بمنهج كل منهما وأيهما يمثل رسالة السماء.

أما بالنسبة لأهل السنة والجماعة فالسنة في اللغة تعني الطريقة والمنهج. واصطلاحاً تعني كل ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير ويسمى السنة مذهبهم "أهل السنة والجماعة" ويقصدون بذلك أنهم أصحاب الطريقة المحمودة ولم يعرف هذا الاسم إلا مؤخراً حيث كان يعبر عن منهج أصحاب السقيفة في مقابل المناوئين لهم وهم على وشيعته. وظلال اسم أهل السنة والجماعة توحّي بأن الشيعة هم المخالفون للسنة الشريفة ولكن سرّى من الذي اتبع سنة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) حقاً ومن الذي حرف وبدل وغيره.

التشيع والفرس:

رغم أن التشيع هو عمق الإسلام وجوهره إلا أننا نجد بعض المأجورين يحاولونربط التشيع بالفرس على نحو يحمل في طياته أنه شئ طارئ في الجسد الإسلامي اختلط بشقاوة أهل فارس قبل الإسلام... وفات هؤلاء أن التشيع كان قبل أن يدخل الإسلام إلى فارس كما سبق وأنينا أن ولادة التشيع كانت مع بزوع فجر الرسالة المحمدية، ودخل إلى بلاد فارس من العراق ولبنان وغيرها من الدول العربية. ووُجد فيها رجالاً حملوا الأمانة كما كان سلمان الفارسي (رض).

وحتى تعم الفائدة نذكر لإخواننا السنة.. أن أغلب علمائهم من فارس ومنهم البخاري والترمذى والنسائي وابن ماجة والرازى والقاضى البيضاوى وغيرهم من فطاحل أهل السنة والجماعة.

والآن الكل يدعى تمسكه بسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والفيصل هو أن نضع كلام الطائفتين في الميزان ونرى.

ظلال التشيع في السودان

بعد أن انتبهت من الغفلة وبدأ نور الحقيقة يكشف عن الواقع التفت إلى مجتمعي في السودان الذي يتميز بالبساطة والفطرية والأخلاق الدينية، فوجدت أن هنالك أشياء أخرى بدأت تظهر لي بعد استبصاري وهو أن الخلفية الثقافية التي بني عليها الشعب السوداني نمط سلوكه وطريقة تفكيره خلفية شيعية بلا أدنى شك، لاحظت ذلك في كل مفردة من مفردات الحياة العامة في الشارع السوداني بل إن معظم معتقداتهم تهتف بأن للتشيع جذورا عميقا في السودان وأذكر أن أحد الإخوة قال لي: - إن الصوفية ثمرة التشيع أو هم فرعان لأصل واحد بل الصوفية هم الشيعة في ثوب سني فقلت له: إذا السودان بلد شيعي انحرف به التيار.

وباطلاعي على التاريخ وجدت إشارات تبين هذه الحقيقة، وأعتقد أن الدولة الفاطمية التي قامت في مصر لها الأثر في ذلك، إذ أن حوض النيل الذي يربط بين مصر والسودان كان من العوامل المساعدة لانتقال التشيع إلى السودان في عهد الدولة الفاطمية وهي دولة شيعية.. وحب أهل البيت (ع) وما يرتبط بهم من عقائد بصورة مجملة من الثوابت الفكرية المشتركة بين مصر والسودان ومقامات أهل البيت (ع) في مصر وتسيير القوافل من السودان لزيارتها شاهد

على ذلك حتى قال أحد المشايخ في السودان ويدعى محمود البرعي وله قصائد كثيرة في مدح أهل البيت (ع) في إحدى قصائده " مصر المؤمنة بأهل الله " ويقصد أنها مؤمنة بأهل البيت (ع).

ولا أحد ينكر عمق المحبة لأهل البيت (ع) في مصر والسودان، وأنا لا أستطيع أن أحصر كل تلك المظاهر ذات الجذور الشيعية ولكن ما وجدناه من آثار يدل على أن الشيعة انتقلوا إلى السودان يوماً ما وكرسوا في نفوس الأجيال محبة أهل البيت (ع) دون أن يعلموا عن عمق معتقدهم وربما يكون ذلك تخوفاً بعد أن تذوق الشيعة الأمرين على طول التاريخ.

ومما نستظره من كتب التاريخ أن اعتماد الدولة الفاطمية في جيشه كان على السودانيين وكان الحرس الخاص لخلفائهم منهم، يقول ابن الأثير في تاريخه وهو يصف ما فعله صلاح الدين الأيوبي في أعون الفاطميين إن مؤتمن الخليفة - كان من السودانيين - حاول أن يقضى على صلاح الدين الأيوبي قبل أن يسيطر تماماً على البلاد وبذلك الحرج والنسل فعلم صلاح الدين بما دبر له فتربس بمؤتمن الخليفة واسمه جوهر حتى قتله ثم يقول ابن الأثير فغضب السودان الذين بمصر لقتل مؤتمن الخليفة، فحشدوا وجمعوا فزادت عدتهم على خمسين ألفاً وقصدوا حرب الأجناد .

وقع القتال " وكثر القتل في الفريقين فأرسل صلاح الدين إلى محلتهم المعروفة بالمنصورة فأحرقها على أموالهم وأولادهم وحرمهم فلما أتاهم الخبر بذلك ولوا منهزمين فركبهم السيف وأخذت عليهم أفواه السكك ... (إلى أن يقول) فأبادهم بالسيف ولم يبق منهم إلا القليل الشريد " ^١ .

^١ الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ١١، ص ٣٤٦ - ٣٤٧.

إذا لقد كان للسودانيين حظوة في عهد الفاطميين ولم يكن ما حدث لهم إلا لأنهم بنوا مشروع الدولة الفاطمية وهو الدعوة لأهل البيت (ع) ومقاومتهم لصلاح الدين الأيوبي المناوئ للشيعة أكبر دليل على ذلك " وقد كانت الثورة ضد صلاح الدين من قبل الجندي الفاطمي وأكثراهم من السودانيين " ^١.

ويبدو لي أن لغاظة صلاح الدين وتحامله على الشيعة ^٢ دور في اختفاء المظهر الشيعي المعلن، ولا أشك كما ذكرت أن التوجه في السودان كان شيعيا ولكن بمرور الزمن وتواتر التجار العرب باتجاهاتهم المختلفة والخوف من سطوة الأيوبي كل ذلك كان له الأثر في تغيير الأجيال اللاحقة. إن معرفة وصلة السودانيين بأهل البيت (ع) تتجل في عدة مظاهر منها ^٣.

(١) الولاء الديني والسياسي.

إن قطاعا كبيرا من الشعب السوداني ينتمي إلى طوائف صوفية تقود العمل السياسي والديني والتي غالبا ما يكون زعماؤها من ينتسبون إلى الرسول (صلى الله

^١ الدولة الفاطمية في مصر د. جمال الدين سرور ص ١٣٢.

^٢ يقول الدكتور محمد جمال الدين سرور في كتابه الدولة الفاطمية في مصر ص ١٣٥ لما أيقن صلاح الدين أن سلطته قد استقرت وجه اهتمامه إلى القضاء على المذهب الشيعي في مصر فأنشأ سنة ٥٦٦ مدرسة لتدريس المذهب الشافعي وأخرى لتدريس المالكي وعزل قضاة الشيعة.. " ونفس الكلام يورده ابن الأثير في تاريخه ج ١١ ص ٣٦٦.

ولصلاح الدين الأيوبي الكثير من المجازر وسفك الدماء وانتهاك حرمات شيعة أهل البيت (ع) يقول الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه الشيعة والحكامون ص ١٩٢ عن صلاح الدين الأيوبي أما سياساته مع الأسرة المالكة "الفاطميين" فقد كانت سياسة القمع والنذالة والخسنة بأبشع صورها فقد قبض على سائر من بقي من أمراء الدولة وأنزل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة، وحبس بقایا العلویین في مصر وفرق بين الرجال والنساء حتى لا يتسللوا، وأعاد يوم قتل الحسين (عاشوراء) عيادة كسنة بنى أمية والحجاج ص ١٩٢.

^٣ مقاطع من دراسة للكاتب السوداني الطيب أحمد حسن في مجلة أهل البيت (ع) العدد الأول بيروت تحت عنوان أهل البيت (ع) تراث المسلمين في السودان.

عليه وآلـه وسلم)، والارتباط العاطفي لهذا القطاع العريض بهذه الطرق على أساس أنهم ينتسبون إلى أهلـ بيتـ النبيـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)، ولا تـوجـ طـرـيقـةـ صـوـفـيـةـ فـيـ السـوـدـانـ يـجـهـلـ مـنـتـسـبـوـهـاـ أـهـلـ الـبـيـتـ (عـ)ـ بلـ وـيـكـنـونـ لـهـمـ حـبـ وـاحـتـرـامـاـ جـمـاـ وـلـلـدـلـالـةـ عـلـىـ ذـلـكـ نـشـيرـ إـلـىـ بـعـضـ مـاـ وـرـدـ فـيـ كـتـبـ الشـرـيفـ

يوسفـ الـهـنـديـ مؤـسـسـ الطـرـيقـةـ الـهـنـديـةـ كـنـمـوذـجـ حـيـ لـمـاـ أـسـلـفـنـاـ:

(اللهـمـ إـنـماـ نـحـمـدـكـ بـجـمـيعـ مـحـامـدـكـ السـيـنـيةـ وـنـسـأـلـكـ بـذـاتـكـ وـصـفـاتـكـ وـكـتـبـ الـقـدـيمـةـ وـالـأـدـيـانـ).ـ أـنـ تـصـلـيـ وـتـسـلـمـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـآلـهـ وـصـحـبـهـ فـيـ كـلـ طـرـفةـ

عـيـنـ،ـ وـعـلـىـ صـالـحـ آـبـائـهـ وـأـزـوـاجـهـ وـأـبـنـائـهـ وـالـإـخـوـانـ،ـ وـعـلـىـ إـمامـ الـأـئـمـةـ عـلـيـ

وـسـيـدـتـنـاـ فـاطـمـةـ الـلـذـيـنـ تـخـيرـتـ مـنـهـمـ الـذـرـيـةـ،ـ وـابـنـهـمـ سـيـدـيـ شـبـابـ أـهـلـ الـجـنـةـ

وـرـيـحـانـتـيـ نـبـيـ هـذـهـ الـأـمـةـ الـحـسـنـانـ،ـ وـعـلـىـ أـئـمـتـنـاـ عـلـيـ زـينـ الـعـابـدـيـنـ وـمـحـمـدـ بـاقـرـ

الـعـلـومـ الـدـيـنـيـةـ وـجـعـفـرـ الصـادـقـ وـمـوـسـىـ الـكـاظـمـ قـادـةـ الـإـنـسـ وـالـجـانـ وـعـلـىـ الرـضاـ

وـمـحـمـدـ الـجـوـادـ الـهـادـيـ الـمـهـدـيـ وـعـلـىـ الـهـادـيـ وـالـحـسـنـ الـعـسـكـرـيـ

الـخـالـصـ وـارـثـيـ أـسـرـارـ النـبـوـةـ وـعـلـومـ الـقـرـآنـ وـإـمـامـنـاـ الـمـهـدـيـ صـاحـبـ الـبـشـارـةـ

الـفـاطـمـيـةـ الـذـيـ لـاـ خـيـرـ فـيـ الـعـيـشـ وـلـاـ فـيـ الـحـيـاةـ بـعـدـ لـأـهـلـ الـإـيمـانـ (نقـلاـ عـنـ الـمـولـدـ

الـكـبـيرـ صـ ٧٢ـ الشـرـيفـ يـوـسـفـ الـهـنـديـ).ـ وـلـمـ يـكـتـفـ الـمـؤـلـفـ بـذـكـرـ أـهـلـ الـبـيـتـ (عـ)

ضـمـنـ مـؤـلـفـاتـهـ التـثـريـةـ بـلـ ضـمـنـهـمـ مـجـمـوعـةـ مـنـ قـصـائـدـهـ نـذـكـرـ قـصـيـدةـ جاءـ فـيـهاـ:

الـحـسـنـيـ وـالـإـمـامـ وـالـزـهـراءـ فـيـ الـقـتـامـ

زـينـ الـعـابـدـيـنـ تـامـ الـقـادـاتـ الـهـمـامـ

الـكـاظـمـ لـلـكـلامـ وـالـرـاضـيـ بـالـقـسـامـ

الـهـادـيـ لـلـأـنـامـ وـالـبـاقـرـ لـلـظـلـامـ

آلـ الـبـيـتـ يـاـ غـلامـ أـصـلـ الدـيـنـ وـالـنـظـامـ

فـيـ الـمـبـدـأـ وـالـخـتـامـ بـهـمـ نـيلـ الـمـرـامـ

ويقول في أخرى: -

سفن النجاة للملأ بشهادة النص الأتم

هم النهى هم البهى هم التقى أهل الشيم

هم الشفاعة في غد هم السقاية في الملم

هم الهدایة حاضرة والنور والقصد الأعم

الطيبون الطاهرون من سوء أرجاس الملم

والبيت الأخير دليل على اعتقاد الشاعر بعصمة أهل البيت (ع) عن الملم

فضلاً عن غيرها من الذنوب والكبائر.

وهنالك الكثير من شعراء الصوفية الذي تخصصوا في مدح آل البيت (ع)

وهذا أحدهم يسمى البرعي والمعروف في السودان يقول: -

هم أهل البيت الواضح سرهم

زرهم بمحبة لتناول من برهم

سيدي الحسين الثائر درهم

وعلي زين العابدين حبرهم

جعفرنا الصادق مع موسى صدرهم

أستاذنا الباقي في العلم بحرهم

في البر وبحرهم لله درهم

(٢) بعض الأسماء المنتشرة في السودان:

إن أهل البيت (ع) اختصوا بألقاب لم تكن معروفة من قبلهم وارتبطت بهم

ارتباطاً وثيقاً وتناقلها محظوظهم وأتباعهم جيلاً بعد جيل وصارت أسماء متداولة

وهي المرتضى (علي) والزهراء وبتو (فاطمة) حسن وحسين زين العابدين

(السجاد)، الباقي، الصادق، الكاظم رضا الهايدي والمهدى وهذه الأسماء نجدها

منتشرة في السودان بكثرة تلفت النظر. وربما يكون انتشار اسم المهدى نسبة

لمحمد أحمد المهدي الذي قام بثورة ضد الأتراك وطردهم من السودان وكون حكومة إسلامية وذلك باعتبار أنه المهدي المنتظر، وأيا كان سبب انتشار الاسم يبقى جذر الاعتقاد بولاية أهل البيت (ع). وكل الأسماء المذكورة نجدها في السودان أكثر من الدول العربية الأخرى مما يدلل على عمق محبة السودانيين لأهل بيته (ع).

(٣) كما أن هنالك العديد من القبائل التي تدعى انتسابها لأهل بيته (ع) ولا يعنينا البحث عن صحة مدعاهن وإنما نورد ذلك لدلالته على صدق قولنا حول عمق معرفة ومحبة الناس لأهل بيته (ع) ومن هذه القبائل العبدلاب ويدكرون أن نسبهم ينتهي إلى الإمام محمد التقى بن علي الهادي، وقبيلة الركابية التي يرجع نسبها كما يذكرون إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم وهنالك أيضاً قبيلة الجعافرة التي تنتسب إلى الإمام جعفر الصادق (ع)... وغيرها من القبائل.

(٤) الثقافة الشعبية:

إذا أراد أحد السودانيين أن يعبر عن مدى مظلوميته وبالغ الحيف الذي وقع به يقول: (أنا مظلوم ظلم الحسن والحسين) وربما لا يدرك البعض رغم ترداده لهذه المقوله من الذي ظلم الحسن؟ ومن الذي ظلم الحسين؟ وكيف ظلما إنما هو يردد جزءاً من الموروث الثقافي الشعبي في السودان، ومن ناحية أخرى لا يكاد أحد منا في صغره لم يسمع شيئاً من أبويه أو جديه عن سيف علي الكرار وشجاعة حيدر الكرار وشعر المدائح السوداني يفيض بهذه المعاني.

الفصل الرابع

بنور فاطمة اهتدية

$\sigma \wedge$

حوار في بداية الطريق

كنت قلقا جدا وأنا أحاروأ تجنب أي حوار مع ابن عمي حول هذا المذهب الجديد الذي تجسد في سلوكه أدبا وأخلاقا ومنظما مما جعلني أفكـر في أنه لا غضاضة في النقاش معه حول أصل الفكرة رغم قناعتي بأن ما يؤمن به لا يتجاوز أطر الخرافـة، أو ربما نزوة عابرة جعلته يتبنى هذه الأفكار الغربية.

قلقي كان نابعا من تخوفـي لأنـ أتأثر بفـكرـه أو ربما أجـدـ أنها تجـبرـني على الاعـترافـ بهاـ وبالـتاليـ أـخـالـفـ ماـ عـلـيـهـ النـاسـ وـمـاـ وـجـدـتـ عـلـيـهـ آـبـائـيـ وـسـأـكـونـ شـادـاـ فـيـ المـجـتمـعـ وـرـبـماـ اـتـهـمـتـ بـأـنـيـ مـارـقـ مـنـ الدـينـ كـمـاـ أـتـهـمـ.

ولـكـيـ تـجاـوزـتـ كـلـ ذـلـكـ وـقـرـرتـ أـنـ أـخـوضـ مـعـهـ حـوـارـاـ لـعـلـيـ أـجـدـ مـنـفـذـاـ أـزـعـزـ مـنـ خـلـالـهـ ثـقـةـ هـذـاـ رـجـلـ بـمـاـ يـعـنـقـهـ خـصـوصـاـ وـأـنـيـ قـرـأـتـ كـتـبـاـ لـأـبـاسـ بـهـاـ ضـدـ الشـيـعـةـ وـالـشـيـعـةـ وـمـنـهـاـ كـانـ الـمـخـزـونـ الـذـيـ مـنـ خـلـالـهـ أـنـطـلـقـ لـجـدـالـهـ فـبـدـأـتـ مـعـهـ حـوـارـ.

قلـتـ لـهـ:ـ الآـنـ أـنـتـ تـرـكـتـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ النـاسـ وـأـصـبـحـتـ شـيـعـياـ فـمـاـ هـيـ الضـمـنـاتـ التـيـ تـمـنـعـكـ مـنـ أـنـ تـغـيرـ مـذـهـبـكـ غـداـ؟ـ

قالـ:ـ الآـيـةـ الـكـرـيمـةـ تـقـولـ **﴿قـلـ هـاتـواـ بـرـهـانـكـمـ إـنـ كـنـتـ صـادـقـينـ﴾**ـ وـأـنـاـ مـنـ أـنـصـارـ الدـلـلـ أـيـنـاـ مـالـ أـمـيلـ وـقـدـ أـفـرـغـتـ وـسـعـيـ وـتـوـصـلـتـ إـلـىـ أـنـ الطـرـيقـ الـمـسـتـقـيمـ هوـ مـذـهـبـ أـهـلـ الـبـيـتـ (عـ)ـ وـالـدـلـلـ عـلـىـ صـحـتـهـ أـنـ الـأـدـلـةـ التـيـ يـسـوـقـهـاـ أـصـحـابـهـ مـاـ اـتـقـنـ عـلـيـهـ جـمـيعـ الـمـسـلـمـينـ.

قلـتـ:ـ لـكـ لـمـ يـكـتـشـفـ غـيرـكـ هـذـهـ الـحـقـيـقـةـ؟ـ

قالـ:ـ أـوـلـاـ:ـ مـنـ قـالـ لـكـ أـنـهـ لـاـ يـوـجـدـ غـيرـيـ!ـ وـثـانـيـاـ وـصـوـلـ غـيرـكـ لـلـحـقـيـقـةـ أـوـ عـدـمـهـ لـيـسـ دـلـيـلاـ عـلـىـ صـحـةـ أـوـ خـطـأـ مـاـ تـوـصـلـتـ إـلـيـهـ،ـ إـنـ الـمـسـأـلـةـ تـكـمـنـ فـيـ نـفـسـ

وَجَدَنَ الْحَقِيقَةَ وَالْحَقَّ وَمَنْ ثُمَّ اتَّبَعَهُ وَلَا شَأْنَ لِي بِغَيْرِي لَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يُضَرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (سورة المائدة / ٥).
قلت له: لو افترضنا صحة مذهب الشيعة ذلك يعني أن ٩٠٪ من المسلمين على خطأ لأن كل المسلمين يؤمنون بمذهب أهل السنة والجماعة. فأين هذا التشيع من عامة الناس؟

قال: الشيعة ليست بهذه القلة التي تتصورها، فهم يمثلون غالبية في كثير من الدول، ثم إن الكثرة والقلة ليست معياراً للحق بل القرآن كثيراً ما يذم الكثرة يقول تعالى ﴿وَلَكُنْ أَكْثُرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (سورة الزخرف: آية / ٧٨) ويقول ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثُرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: آية / ١٧) ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عَبَادِي الشَّكُورُ﴾، وبذلك لا تكون الكثرة دليلاً على أنهم على حق.

أما التشيع كمنهج سماوي فهو موجود بدليل أنني شيعي، وإذا وجه الإشكال إلى عدم انتشار التشيع فهذا يتوجه أيضاً لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في أول دعوته وحتى وفاته إذ أن الإسلام لم يكن منتشرًا ومع ذلك فهو الحق المنزل من قبل الله تعالى.

قلت متعجبًا: وهل تريدينني أن أسلم بأن آباءنا وأجدادنا الذين عرفناهم متدينين طريقهم غير الذي أمر به الله.

ابتسم قائلًا: أنا لست في مقام بيان وتقييم أحوال الماضين فالله أعلم بهم ولكن أذكرك بأن القرآن يرفض أن يكون الأساس في الاعتقاد تقليد الآباء والأجداد يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَانَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة: آية / ١٧٠).

شعرت بأن الحوار قد أخذ منحي عاماً وأن حجته بدت في هذا المجال قوية

ومدحمة بآيات قرآنية فقررت أن أناقش معه مفردات معتقده التي قرأت نقدتها من الكتب وتركتها كورقةأخيرة في النهاية لأنني على ثقة من أنه لا يستطيع الإجابة عليها، ولقد أضفت إليها رأيي الخاص، ولأغير مجرى الحديث إلى حيث أريد قلت له: حسناً ماذا تقول الشيعة؟!

هنا اعتدل في جلسته وقال: الشيعة يقولون أن هذا الدين الخاتم لا يجوز لنا أخذه إلا عن طريق أئمة أهل البيت (ع) ويعتبرون أن هذا هو عين التمسك بسننته (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وهو المطلوب من كل إنسان.

قلت ساخراً: كلنا نتبع رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ولا أحد يرى أنه خلاف ما جاء به عليه أفضل الصلاة والسلام.

قال: الأمر ليس مجرد ادعاء إنما يجب إثبات ذلك بالدليل، ونحن كشيعة نرى أن المسألة الأساسية التي ابتليت بها الأمة هي مسألة الإمامة والقيادة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) والتي اختص بها علي (ع) كوصي وخليفة ومن بعده أئمة أهل البيت (ع)، وواحدة من مستلزمات هذه الوصاية والإمامـة الخلافـة السياسية، ومن أهلـبيـتـ فقط يـصـحـ أـخـذـ الـدـيـنـ أـمـاـ مـاـ أـخـذـ مـنـ غـيرـهـ فلاـنـقـولـ أـنـهـ باـطـلـ مـطـلـقاـ وـلـكـنـهـ حقـ مـخلـوطـ بـياـطـلـ وـنـحـنـ مـأـمـوـرـونـ بـأخذـ الـحـقـ فـقـطـ دونـ غـيرـهـ.

قلت: وما جدواـيـةـ الـبـحـثـ حولـ قـضـيـةـ مـرـتـ عـلـيـهاـ قـرـونـ وـهـلـ يـفـيدـونـ إـذـاـ ماـ كانـ عـلـيـ هوـ الـخـلـيـفـةـ أـمـ أـبـوـ بـكـرـ؟ـ سـكـتـ قـلـيلـاـ ثـمـ قالـ:

عـنـدـمـاـ نـظـرـ يـاـ أـخـيـ لـكـ مـشـكـلـةـ يـجـبـ الـبـحـثـ عـنـ جـذـورـ تـلـكـ الـمـشـكـلـةـ حتـىـ نـحـلـلـهـاـ، وـمـاـ عـلـيـهـ الـمـسـلـمـونـ الـيـوـمـ مـنـ فـرـقـةـ وـشـتـاتـ وـضـيـاعـ إنـماـ هوـ نـاتـجـ عـنـ ذـلـكـ الـيـوـمـ الذـيـ حـجـبـتـ فـيـهـ الـخـلـافـةـ عـنـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ وـأـعـطـيـتـ لـغـيرـهـ بـلـاـ حـقـ،ـ وـمـنـ هـنـاكـ اـبـتـدـأـ اـفـتـرـاقـ الـأـمـةـ وـالـآنـ أـنـ أـمـامـكـ أـقـولـ لـكـ أـنـ الشـيـعـةـ عـلـىـ حـقـ وـأـنـتـ

ترى خلاف ذلك، من هنا جاءت ضرورة البحث في الماضي لنعرف أين
الأصل ومن الذي خالف...

هنا أخذتني العزة وقررت الهجوم عليه من كل جانب فانهلت عليه بالأسئلة

مقاطعاً:

- إذا أنت تشككون في الصحابة؟!

أجاب بهدوء: نحن لسنا في مقام التشكيك في أحد ما نقوله أن كل من
اتبع الحق من الصحابة أو غيرهم على رؤوسنا نقدسهم نحترمهم وكل من
خالف النهج السماوي القويم فلن نسمح لأنفسنا أخذ معلم ديننا منه.

- لا أريدك أن تناقشني في عموميات! من غير المعقول أن كل الصحابة
الذين بايعوا أبا بكر خالفوا قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)! أتدرى
ماذا يعني ذلك؟ يعني أن نشكك في كل ديننا. فكيف تجوزون لأنفسكم ذلك
وأرجو ألا تستعمل معى التقية المعروفة عندكم.

أجاب: أولاً: التقية شرعية من الكتاب والسنّة ولها مجالها، وهي ليست
واجبة في كل الأحوال إنما لها ظروفها الخاصة، وأنا لا أمثل كل الشيعة،
بإمكانك أن تطلع على كتب الشيعة فلن تجد غير كلامي هذا، أما بالنسبة
للحصابة فالامر لا يصل إلى مستوى التشكيك في الدين إلا إذا كان الدين
عندك ملخصاً في الصحابة..

قاطعته: إنهم هم الذين نقلوا لنا الدين.

قال: بحثنا الآن حول نقلهم وهذا أول الكلام وبيت القصيد أنتم تجرحون
الرجال في علم الجرح والتعديل وتبدلون عملية معرفة أحوال الرجال من القرون
المتأخرة بعد عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن الشيعة نبدأ من كان
حول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن منهم من كان منافقاً وآخر كان

لا يفقه شيئاً... وهكذا، أضف إلى ذلك من الذي قال أن الجميع قد بايع أبا بكر، ارجع لكتب التاريخ ستجد أن أول المعترضين كان علياً (ع) ومعه مجموعة من الصحابة...
قلت: لو كان الأمر كما تدعون لنصر الله علينا وخذل أبا بكر وهذا دليل على أن الله اختار للأمة أبا بكر.

قال: بقولك هذا تلغى فلسفة الابلاء التي يمتحن الله بها العباد. إن الله يبين الطريق للناس فقط ثم يدعهم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، والله لا يجبر الناس وإلا نكون من الذين يقولون بالجبر فنسقط الشواب والعقاب، ونتيجة كلامك هذا أن أي شخص يتحكم في رقابنا يجب أن نهتف له ونعتبره تأييداً من الله وهذا ما لا يعقل.

ورميتك آخر سهم في جعبتي قائلاً: إنكم تغالون في أهل البيت وتقولون أنهم معصومون، كما أنكم تبحرون زواج المتعة وتجمعون في الصلاة وتصلون للحجر والأخير رأيته يعني يعني لم أقرأه في كتاب فقط.
قال: أخي هذه فروع بإمكانني أن أناقشها معك ولكن من المنهجية أن تبحث أولاً حول الأصل الذي يتبعه الفرع أو توماتيكا، فأنت عندما تريد أن تدعو شخصاً غير مؤمن بالله إلى الإسلام لن تبدأ معه بكيفية الوضوء والصلاحة بل لا بد من إقناعه بوجود الله تعالى ثم النبي ثم تفرع على ذلك.

فأطلب منك أخي أن تبحث بتجدد وستري نور الحقيقة. انتهينا من جلسة الحوار هذه وأنا متعجب من هذه الثقة التي يملكونها، وفكرت في البحث ولكن ليس لكي أقنعني وإنما لأملك أدلة أقوى أدحض بها حججه، وبعد فترة قررت ألا أدخل معه في نقاش حتى أكون بعيداً عن المشاكل وحتى لا أتأثر بهذه الأفكار الغريبة والتي أرى شخصاً عن قرب يتبنّاها.
ثم كانت البداية التي جعلتني أنطلق في البحث.

البداية

”تسرون حسوا في ارتقاء وتمشون لأهله وولده في الخمر والضراء، ونصبر منكم على مثل حز المدى ووخز السنان في الحشى، وأنتم الآن تزعمون لا إرث لنا أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ أفلا تعلمون؟ بل قد تجلى لكم كالشمس الصافية أني ابنته، أيها المسلمين!! أغلب على إرثي. يا بن أبي قحافة! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئا فريا أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول ﴿وَرَثَ سَلِيمَانَ دَاوُودَ﴾ وقال فيما اقتضى من خبر زكريا - إذ قال ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَا يَرْثَى وَيَرْثَ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وقال ﴿وَأَوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضَهُمُ أُولَى بِعِصْمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقال ﴿إِنْ تَرَكْ خَيْرًا وَوِصْيَةً لِلَّوَادِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي أفحصكم الله بأية أخرج أبي منها؟ أم تقولون إنا أهل متين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك. نعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون.

بنور فاطمة اهتدت

كلمات كالسهم نفذت إلى أعماقي. فتحت جرحا لا أظنه يندمل بسهولة ويسير، غالبت دموعي وحاولت منها من الانحدار ما استطعت!. ولكنها انهمرت وكأنها تصر على أن تغسل عار التاريخ في قلبي، فكان التصميم للرحيل عبر محطات التاريخ للتعرف على مأساة الأمة وتلك كانت هي

البداية لتحديد هوية السير والانتقال عبر فضاء المعتقدات والتاريخ والميل مع الدليل.

كان ذلك في الدار التي يقيم فيها ابن عمي الشيعي! جئت لتحيته والتحدث معه عن أمور عامة... لحظة ثم لفت انتباهي صوت خطيب ينبع من جهاز التسجيل قائلاً "وهذه الخطبة وردت في مصادر السنة والشيعة وقد ألقتها فاطمة الزهراء لتشييت حرقها في فدك، ثم بدأ الخطيب في إلقاء الخطبة.

إلى حين استمعي لهذا الشرط لم أكن على استعداد للخوض في قضايا خلافية مذهبية. قد عرفنا أن الأخ - ابن عمي - شيعي وسألنا الله أن يهديه، وكنا نتحاشى الدخول معه في نقاش بقدر استطاعتنا. وذلك بعد الحوار الذي مر في بداية هذا الفصل. ولكن أبي الله سبحانه وتعالى إلا أن يقيم علينا حجته.

بصوت هادئ جميل بدأ الخطيب في الخطبة وتدفق شعاع كلماتها إلى أعماق وجداي، وضح لي أن مثل هذه الكلمات لا تخرج من شخص عادي حتى ولو كان عالماً مفوهاً درسآلاف السنين، بل هي في حد ذاتها معجزة. كلمات بلغة.. عبارات رصينة، حجاج دامغة وتعبير قوي.. تركت نفسى لها واستمعت إليها بكل كياني وعندما بلغت خطبتها الكلمات التي بدأت بها هذا الفصل لم أتمالك نفسى وزاد انهمار دموعي. وتعجبت من هذه الكلمات القوية الموجهة إلى خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ومما زاد في حيرتي أنها من ابنة رسول الله فماذا حدث؟ ولماذا.. وكيف؟!! ومع من كان الحق قبل كل هذا هل هذا الاختلاف حدث حقيقة؟ وفي الواقع لم أكن أعلم صدق هذه الخطبة ولكن اهتزت مشاعري حينها وقررت الخوض في غمار البحث بجدية مع أول دمعة نزلت من آمامي.. وفي هذا المنحى لا أريد أن أسمع من أحد، فقط أريد

خيط البداية أو بداية الخطأ لأنطلق، ولم تكن الخطبة مقصورة على ما ذكرته من فقرات بل هي طويلة جدا وفيها الكثير من الأمور التي تشحذ الهمة لمعرفة تفاصيل ما جرى وظروفه الموضوعية المحيطة به.

انتهى الشريط، كفكت دموعي محاولا إخفاءها حتى لا يحس بها ابن عمي، لا أدرى لماذا؟ ربما اعتزازا بالنفس، ولكن هول المفاجأة جعلني أنهمر عليه بمجموعة من الأسئلة وما أردت جوابا، إنما هي محاولة للتنفيس وكان آخر أسئلتي إذا كان ما جاء في بعض مقاطع الخطبة صحيحا فهل كل ذلك من أجل فدك قطعة الأرض؟! أجابني: عليك أولا أن تعرف من هي فاطمة ثم تبدأ البحث بنفسك حتى لا أفرض عليك قناعتي وأول مصدر تجد فيه بداية الخط صحيح البخاري، وناولني الكتاب فكانت المفاجأة التي لم أتوقعها.

ماذا بين أبي بكر وفاطمة (ع)؟

أخرج البخاري في صحيحه الجزء الخامس (ص ٨٢) في كتاب المعازي باب غزوة خيبر قال: عن عروة عن عائشة أن فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها مما أفاء عليه بالمدينة وفديك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "لا نورث من تركناه صدقه إنما يأكل آل محمد من هذا المال..." إلى أن يقول البخاري فأبي أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته ولم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) ستة أشهر فلما توفيت دفنتها زوجها علي ليلا وصلى عليها ولم يؤذن بها أبا بكر".

وأورد مسلم في صحيحه ذات الواقعة مع تغيير طفيف في الألفاظ يقول "غضبت فاطمة" بدل كلمة وجدت^١.

من هاتين الروايتين وغيرهما نستخلص الآتي:

أولاً: هذه الحادثة التي وقعت بين فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وال الخليفة الأول حقيقة لا يمكن تكذيبها ولا الإعراض عنها لأنـها مثبتـة في متن أكثر الكتب صحة واعتمـادـا عند أهلـالـسـنـةـ والـجـمـاعـةـ بلـفيـ كلـالمـصـادـرـ التـارـيـخـيـةـ والـحدـيـثـيـةـ كماـسيـأـتـيـ بيانـهـ لـاحـقاـ.

ثانياً: إنـالـحـادـثـةـ لمـتكـنـ خـلـافـاـ عـابـراـ أوـسوـءـ تـفـاهـمـ بـسيـطـ بلـ هيـ مشـكـلةـ كـبـرىـ هـذـاـ ماـ نـلـمـسـهـ منـ كـلـمـةـ "ـفـوـجـدـتـ فـاطـمـةـ عـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ"ـ أوـ بـتـعبـيرـ مـسـلمـ "ـغـضـبـتـ فـاطـمـةـ"ـ فالـغـضـبـ والـوـجـدـ معـناـهـماـ وـاحـدـ،ـ مـحـصـلـةـ أـنـ فـاطـمـةـ غـضـبـتـ غـضـبـاـ شـدـيدـاـ عـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ..ـ بـالـرـغـمـ مـنـ قـوـلـ الـخـلـيـفـةـ بـأـنـ الرـسـوـلـ (ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ قـالـ "ـلـاـ نـورـثـ"ـ وـلـكـنـ فـاطـمـةـ غـضـبـتـ.

ثالثاً: إنـغـضـبـ الزـهـراءـ كـمـاـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ قـلـيلـاـ فـيـ حدـتـهـ لـمـ يـكـنـ قـصـيراـ فـيـ مدـتـهـ بلـ استـمـرـ حتـىـ وـفـاتـهـ كـمـاـ يـقـولـ الـبـخـارـيـ نـقـلاـ عـنـ عـائـشـةـ "ـفـهـجـرـتـهـ وـلـمـ تـكـلـمـهـ حتـىـ تـوـفـيـتـ"ـ وـهـذـاـ مـعـنـيـ جـلـيـ فـيـ أـنـ حـالـةـ الغـضـبـ وـالـخـلـافـ استـمـرـ إـلـىـ وـفـاتـهـ بـلـ إـلـىـ مـاـ بـعـدـ ذـلـكـ إـذـ أـبـاـ بـكـرـ لـمـ يـصـلـ عـلـيـهـاـ وـدـفـنـتـ لـيـلـاـ سـرـاـ بـوـصـيـةـ مـنـهـاـ كـمـاـ سـنـبـينـ.

رابعاً: غـضـبـ الزـهـراءـ لـمـ يـكـنـ مـنـصـباـ فـقـطـ عـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ بـلـ شـمـلـ الـخـلـيـفـةـ الثانيـ بـدـلـيـلـ عـدـمـ ذـكـرـهـ ضـمـنـ الـمـصـلـيـنـ عـلـيـهـاـ،ـ وـسـيـتـضـحـ أـثـنـاءـ الـبـحـثـ أـنـ مـوـقـفـ

^١ صحيح مسلم كتاب الجهاد بباب قول النبي (صلى الله عليه وآلـهـ وـسـلـمـ) لاـ نـورـثـ صـ ١٥٣ـ وـكـذـلـكـ أـورـدـهـ الـبـخـارـيـ فـيـ كـتـابـ فـرـضـ الـخـمـسـ بـابـ فـرـضـ الـخـمـسـ.

أبى بكر وعمر واحد يعني موقف الزهراء منها و موقفهما منها، يقول ابن قتيبة في تاريخه "دخل أبو بكر وعمر على فاطمة فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط.. إلى أن يقول فقالت: أرأيتكما إن حدثتكم حديثا عن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) تعرفانه وتعملان به؟ قالا: نعم فقالت نشدتكم الله ألم تسمعا رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) يقول: رضا فاطمة من رضاي و سخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضها فقد أرضاني ومن أسرتها فقد أسرطني؟ ..

قالا: نعم سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قالت: فإنيأشهد الله ولائقته أنكم أسرطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) لأشكونكم إلهي، ثم قالت: والله لأدعون عليكم في كل صلاة أصليها ".^١

كل هذه الحقائق جعلت الدنيا مظلمة لدـي.. وفور توصلـي إليها قفزـ إلى ذهني ألف سؤال وسؤال.. لا أدرـي ماذا أفعل وكيف أفكـر وإلى من أـجـأ؟!! إنـها بـضـعة المصطفـى الصـديـقة فـاطـمـة، أـقـرـأـ إذا بها عـاشـتـ بعدـ أيـهاـ فيـ حـالـةـ غـضـبـ إلىـ أنـ مـاتـتـ.. كـيفـ وـلـمـاذـ!! الـطـرفـ الـآخـرـ الـذـيـ غـضـبـتـ عـلـيـ الزـهـراءـ إـنـهـ الخليـفةـ الـأـوـلـ.. الصـدـيقـ.. الـخـلـيلـ لـقـدـ كـانـ يـحـبـ رسـولـ اللهـ (صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ)ـ كـمـاـ عـلـمـوـنـاـ أـكـثـرـ مـنـ نـفـسـهـ.. فـكـيـفـ يـفـعـلـ بـالـزـهـراءـ شـيـئـاـ يـغـضـبـهـ؟ـ

كـيـفـمـاـ كـانـ التـسـاؤـلـاتـ وـمـهـمـاـ كـانـ التـبـرـيرـ هـاهـيـ فـاطـمـةـ (عـ)ـ كـمـاـ وـجـدـتـ بـيـنـ طـيـاتـ الـكـتـبـ غـاصـبـةـ عـلـىـ الـخـلـيفـتـينـ.. وـكـمـاـ سـأـيـنـ لـكـ عـزـيزـيـ القـارـئـ فـيـ الفـصـولـ الـقـادـمـةـ.. وـبـرـغـمـ كـلـ الـحـواـجـزـ قـرـرـتـ موـاـصـلـةـ الـبـحـثـ

^١ الإمامـةـ وـالـسـيـاسـةـ "ـتـارـيـخـ الـخـلـفـاءـ"ـ صـ ١٢ـ -ـ ١٣ـ .

والتنقيب على ألا أجعل بين نفسي والحقائق حجاب الخوف أو الرهبة أو التبرير ومضيت في طريق ربما كان شائكاً في بدايته ولكنني بفضل بركات الصديقة الطاهرة وصلت إلى شاطئ اليقين، ومعها - روحني فداتها - كانت البداية المفجعة والنهاية الممزوجة بحلاوة الإيمان وقمة المعرفة.

وسأبدأ معك عزيزي القارئ محطة فمحة وللنطلق من تعريف شخصية فاطمة (ع) من خلال فضائلها التي سطّرها الوحي بأحرف من نور وكلّلها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بصدق حديثه وهو الصادق المصدق فكانت كلماته حول فاطمة ذات دلالات ومعانٍ نحاول أن نستقصيها في هذه الصفحات وبلا شك لن نستوعب كل ما جاء من مناقب وفضائل عن الزهراء (ع) لكنني سأحاول سرد ما يفيدها في بحثنا هذا ومن ثم نتعرف على الحقائق المحيطة بفاطمة (ع) والتي بنورها وبركتاتها اهتدت وخرجت من ظلمات الجهل إلى رحاب نور أهل البيت (ع).

فاطمة (ع) في القرآن

كثيرة هي الآيات التي تحدثت عن قدسيّة الزهراء (ع) ومكانتها السامية ساختار هنا بعضاً منها.

الآية الأولى:

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: آية / ٣٣).

تشمل هذه الآية المباركة فيمن تشمل السيدة فاطمة الزهراء (ع) بل هي محور الآية وأساسها.. لأنها نزلت في أهل بيته، ولنا حديث مع أولئك

الذين حاولوا إدخال البعض من غير أهل البيت في نطاق الآية، وما يهمنا الآن هو أن الزهراء معنية بهذا الخطاب الإلهي.. ولقد فصلت السنة في سبب نزول الآية وفيمن جاءت.

لقد أورد مسلم في صحيحه أن الآية محل النقاش نزلت في خمسة: النبي (صلى عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) وذلك في كتاب فضائل الصحابة بباب فضائل أهل البيت وهو الحديث المعروف بحديث الكساء كما أنه اشتهر عند أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) بأهل العباءة أو الكساء وهذا من المتسالم عليه بين كل المسلمين خصوصاً في مجتمعنا السوداني. وسنزيدك من المصادر التي تؤكد أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليها وفاطمة والحسين هم المقصودون بالآية في البحوث القادمة إن شاء الله ولكن دعنا الآن نتدارس الآية، ومن خلالها نتعرف على شخصية فاطمة (ع).

إن المتأمل في كلمات الآية يتوصل إلى أن المخاطبين بهذه الآية، وفاطمة أحدهم مطهرون معصومون من كل رجس، وتقريب ذلك تصدير الآية بأقوى أدوات الحصر على الاطلاق (إنما) مما يعني أن هذا الأمر خاص بجماعة معينة محددة لا ينعداهم إلى غيرهم، ثم يأتي البحث عن الإرادة الإلهية التي ذكرت في الآية ﴿إنما يريد الله...﴾ هي إرادة المولى عز وجل ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول لك كن فكن فيكون﴾ فلا يمكن بحال تخلف إرادته تعالى.

أما الرجس في اللغة فمعناه كل ما يلوث الإنسان سواء كان لوثاً ظاهرياً أو باطرياً والذي يعبر عنه بالإثم.. والرجس في هذه الآية هو اللوث والنجاسة الباطنية لأن الابتعاد والظهور من النجاسة الظاهرة وظيفة دينية عامة لجميع المسلمين وذلك لشمول التكليف للجميع ولا خصوص لأهل البيت حتى ترد هذه الآية بحصرها وتوكيدها لنفي الرجس الظاهري عن أهل البيت. إنما جاءت لبيان

فضيلة لهم خصهم بها الله سبحانه وتعالى وأخبر عنها في كتابه العزيز.
ثم يأتي التأكيد ﴿وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ إن النظرة العميقه للآلية تجعلنا لا
نشك لحظة واحدة في عصمة أهل البيت الذين ذكروا فيها ومنهم فاطمة بنت
محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهي معصومة مطهرة من كل رجس ظاهرها
وباطنا وسيأتيك التأكيد على ذلك.

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَدِمَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْدَةُ فِي الْقُربَى﴾ (سورة
الشورى: آية / ٢٣).

لقد جعل الله سبحانه وتعالى أجر الرسالة مودة فاطمة الزهراء، فالآلية
نزلت في قربى الرسول وهم علي وفاطمة والحسن والحسين كما نقل ذلك
أعلام الحديث والتفسير مثل الحكم الحسکاني الحنفي في شواهد التنزيل ج
٢ ص ١٣٠ والحكم النيسابوري في المستدرك^١.

إنها العظمة والرفة.. لقد وزن الله تعالى الرسالة المهيمنة على كل
الرسالات بمودة القربى.. لقد استحقت فاطمة هذا الوسام الإلهي بجدارة ويكفيننا
لتتأكيد ذلك تسطيرها ضمن آيات الذكر الحكيم.. إنه رصيد يضاف لمناقب
الزهراء وفضائلها وإلى المزيد.

الآية الثالثة:

قوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَدِمَ الْمُؤْمِنُونَ نَدَعَ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا

^١ كما أورد ذلك السيوطي في إحياء الميت والزمخشري في تفسيره الكشاف. والفرح الرازي في
تفسيره والسيوطى في الدر المثور والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة والبخاري وغيرها من المصادر.

وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين》 (سورة آل عمران: آية /٦١).
 لم يختلف المسلمون أن هذه الآية أيضاً من مختصات أهل البيت فهي نزلت
 يوم مباهلة نصارى نجران وقد أمر الله تعالى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
 أن يأخذ معه علياً وفاطمة والحسن والحسين (ع). فكانت هذه الآية وذلك مما
 ذكره مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب^١.
 وهكذا مثلت فاطمة كل نساء الأمة وكانت المباهلة بمثابة تثبيت للرسالة،
 ولأهمية الحديث وعظمته في مسيرة الإسلام كان المباهل بهم مع النبي (صلى
 الله عليه وآله وسلم) هم علي وفاطمة وابنها. مع أن الآية ذكرت نساءنا
 بصيغة الجمع إلا أن التمثيل المقدس كانت فاطمة فقط دون غيرها من النساء
 ولا حتى نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتأمل عزيز القارئ وانطلق
 بعقلك لتدرك مكانة الزهراء وعظمتها وما أظنك بقادر.

آيات أخرى:

يقول تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرِبُونَ مِنْ كَأسٍ كَانَ مَزَاجُهَا كَافُورًا عِينًا يُشَرِّبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يَفْجِرُونَهَا تَفْجِيرًا يَوْمَونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرِهُ مُسْتَطِيرًا﴾ إلى قوله تعالى ﴿إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيكُمْ مُشْكُورًا﴾ (سورة الإنسان: آية / ٥ - ٢٢) هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسن
 والحسين بمناسبة قصة صيامهم ثلاثة أيام وتصدقهم في تلك الأيام الثلاثة بطعامهم
 على المسكين واليتيم والأسير بينما هم في أشد الحاجة إلى الطعام لإفطارهم..
 ولقد ذكر جمع كبير من المحدثين والمفسرين أن هذه الآيات نزلت في هؤلاء

^١ وجاء ذلك أيضاً في مستدرك الصحيحين للحاكم ومستند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٥٨.

الأربعة. منهم الزمخشري في كشافه.. والفارخر الرازي في تفسيره^١.

إن نزول هذه الآيات في علي وفاطمة والحسنين ينبع آخر لكرامتهم ومكانتهم عند الله.. إذ أن الخالق جل وعلا خاطبهم من عليائه بصيغة الأمر الذي أبرمه وفرغ منه ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم، ولقاهم نصرة وسرورا وجراهم بما صبروا جنة وحريرا...﴾ إلى آخر الآيات هذه هي حقيقة الزهراء فاطمة وتلك هي مكانتها عند الله.

يطول بنا المقام لسرد كل ما جاء عن فاطمة في القرآن ولقد جمع أحد العلماء الآيات التي نزلت في فضل فاطمة وأهل البيت فبلغت (٢٥٨) آية من الذكر الحكيم. ومع ذلك لو لم تأت إلا آية التطهير أو المباهلة لكفى بها موعظة لقوم يؤمنون فهذا قرآن عظيم في كتاب مكتون تنزيل العزيز الحميد.

فاطمة (ع) بلسان أبيها

ملاحظتان قبل الانطلاق في أحاديث الرسول عن فاطمة:

الملاحظة الأولى:

إن النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) حينما يتحدث عن فاطمة فإنه لا ينطلق من عاطفة الأبوة وهو القائل فيه البارئ عز وجل ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ وهو (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في عموم حديثه عن الأشخاص لا يعطي أحداً أكثر مما يستحقه تبعاً لعاطفته وحتى لو كان ذلك الإنسان ابنته.

^١ الكشاف ج ٤ ص ٦٧٠ ط بيروت، أسد الغابة لابن الأثير الشافعي ج ٥ ص ٥٣٠ - ٥٣١، تذكرة الخواص للسبط بين الجوزي وشواهد التنزيل للحاكم، الدر المنشور للسيوطى وغيرها من المصادر.

لأننا لو قلنا بذلك لطعنا في نبوته وكلماته القدسية التي نؤمن جميعاً بأنها حجة لا زيف فيها ولا هوى.. قال عبد الله بن عمرو بن العاص: "كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فنهتني قريش وقالوا تكتب كل شئ سمعته من رسول الله وهو بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله فأوأه بأصبعه إلى فيه وقال: "أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق".

إن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآلـه وسلم) لا ينطق إلا صدقاً وعدلاً فلنضع كلماته عن الزهراء نصب أعيننا ونحـن نقرأ عن موقفها بعد وفاته ولا نترك للشيطان سبيلاً يتسلل منه.. لأن فهمـنا لهـذه النقطـة يـمهـد لـنـا السـبيل لـفـهمـ موقفـ فـاطـمة (ع).

الملاحظة الثانية:

إنه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ركز في شخصية فاطمة على قدسيتها وخلوصها لله تعالى وقربها منه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بحيث يجعلك تأخذ الاحساس بأنها جزء منه ما يصيبـها كـأنـما أـصـابـها وـما يـصـيبـها كـأنـما أـصـابـها وأنـها تمثلـه جـسـداً وـمـوقـعاً.. تـعبـرـ عنه وـهـوـ المـعـبـرـ عنـ إـرـادـةـ اللهـ تـعـالـىـ وـذـلـكـ فيـ مجـمـلـ أحـادـيـثـهـ عنـ فـاطـمـةـ "ـمـنـ أـسـخـطـ فـاطـمـةـ فـقـدـ أـسـخـطـنـيـ"ـ "ـمـنـ أـغـضـبـ فـاطـمـةـ قـدـ أـغـضـبـنـيـ وـمـنـ أـغـضـبـنـيـ فـقـدـ أـغـضـبـ اللهـ"ـ .. وـعـلـىـ هـذـاـ المـنـوـالـ.

ولقد استوقفـيـ كثيرـاـ محـورـ كـلـامـ الرـسـولـ عنـ اـبـتـهـ وـالـذـيـ كانـ يـدورـ حولـ غـضـبـهاـ وـرـضـاـهـ وـكـانـهـ -ـ بـأـبـيـ وـأـمـيـ -ـ يـلمـحـ لـلـأـمـةـ بـمـصـيـتـهاـ وـابـلـائـهـ فـيـ مـوـقـعـهـ منـ الزـهـراءـ.. وـهـذـاـ لـاـ وـلـنـ يـخـفـيـ عـلـىـ ذـوـيـ الـأـبـابـ الـمـفـتـحـةـ وـالـقـلـوبـ الـمـفـعـمـةـ بـحـبـ النـبـيـ وـآلـهـ فـلـمـاـذـاـ يـاـ تـرـىـ كـانـ التـركـيزـ عـلـىـ هـذـاـ المـحـورـ بـالـذـاتـ؟ـ!ـ هـلـ يـعـقـلـ أـنـ يـكـونـ ذـلـكـ بـلـاـ سـبـبـ؟ـ أـلـاـ يـحـمـلـ هـذـاـ فـيـ طـيـاتـهـ دـلـالـاتـ عـمـيقـةـ وـإـشـارـاتـ وـاضـحـاتـ.

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) أبلغ العرب حين يتكلم وأكثر الناس حكمة حينما يفصح كما كان أحسنهم إنصافاً للناس.

لقد هيأ الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) الناس حتى يصدقوا الزهراء حين تنطق وهيأهم لأن يتحاشوا غضبها إذا غضبت وأخبرهم أن أذاها أذى له وهكذا مهمة الأنبياء تربية الأمم حاضراً أشاء حياتهم وتهيئتهم لاستقبال الحوادث المستقبلية بعد رحيلهم.. والنبي وهو أعظمهم خص الزهراء وهو الصادق الأمين بهالة قدسية تحرم على الآخرين هتكها.. ولم يكن ذلك لقربتها منه بل لأنها أخلصت للحق وذابت في بوقتها فكانت مقياساً ومعياراً للذين سيأتون بعد أبيها (صلى الله عليه وآلها وسلم) وتجلت حكمة الرسول في أحاديثه المختلفة للأمة التي كانت تنظر لواقع المستقبل وهي تحمل في طياتها بصائر تتضح من خلالها الرؤية، وتحكم بها على أحداث الواقع في أي زمان ومكان. والأمثلة على ذلك كثيرة، لقد تحدث النبي الأعظم (صلى الله عليه وآلها وسلم) عن علي بن أبي طالب (ع) حينما قال "علي مع القرآن والقرآن مع علي" لأن معاوية سيأتي يوماً ما ويرفع المصاحف على أنسنة الرماح طالباً التحكيم بالقرآن كما حدث في صفين حينها سترى أين جهة الحق والصدق لأن الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) ترك المعيار فعلى القرآن لا يفتقران.. كذلك عندما قال (صلى الله عليه وآلها وسلم) لعمار "تقتلن الفتنة الباغية" فإنه (صلى الله عليه وآلها وسلم) لم يترك مجالاً للاعتذار لأولئك الذين قاتلوا في صف معاوية ضد علي ومعه عمار بن ياسر وهكذا أحاديث النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) تنطلق من الحاضر لتشخص داء الأمة في المستقبل.

كل ذلك يجعلنا ننظر إلى غضب الزهراء بقدسية وإلى موقفها بتعقل. إنه

غضب من أجل الحق و موقف صدق ضد الانحراف.

إننا ننزع الزهاء من أن تغضب في سبيل شيء غير الحق إنما غضب مقدس و صرخة حق مدوية وبعد قليل سينكشف الغطاء و ترى لماذا كان هذا الغضب.

وإليك بعضاً مما قاله المصطفى في ابنته ربيبة الوردي فاطمة الزهاء (ع):

١ - "فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني".

في صحيح البخاري في باب مناقب قرابة الرسول ج ٤ ص ٢٨١ دار الحديث القاهرة^١.

٢ - "إنما فاطمة بضعة مني يؤذني ما آذاها".

رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة.

وفي رواية "فاطمة بضعة مني يقضمها ويبسطها ما يبسطها"^٢.

٣ - قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة (ع):

"إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك" رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب مناقب الصحابة ص ١٥٤ وقال عنه حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^٣.

٤ - جاء في صحيح البخاري كتاب بدء الخليقة في باب علامات النبوة ج ٤ ص ٢٥٠ بسند عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي ما تخرم مشيتها مشية

^١ ذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٨٨.

^٢ أورده ابن حجر في صواعقه أيضاً ص ١٩٠ وقد جاء هذا الحديث بصيغ مختلفة تعبر عن نفس المعنى في كثير من المصادر مثل مسندي أحمد بن حنبل وكنز العمال والإمامية والسياسة لأبن قتيبة... وغيرها.

^٣ ورواه ابن الأثير في أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢، وابن حجر في الإصابة ج ٥ ص ١٥٦.. كما جاء في ميزان الاعتال للذهبي وغيرها من المصادر.

النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فقال النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم): مرحبا
بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثا فكانت قلت لها لم
تبكين؟! ثم أسر إليها حديثا فضحت فقلت ما رأيت كاليلوم فرحا أقرب من
حزن فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله (صلى الله عليه
وآلہ وسلم) حتى قبض النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فسألتها فقالت: أسر إلى
أن جبرائيل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه
إلا حضر أجي وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي فبكيت فقال: أما ترضي أن
 تكوني سيدة نساء أهل الجنة فضحت لذلك ^١.

وأورد الترمذى فى سنته كتاب المناقب عن حذيفة قال: "أتى
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فصلىت معه المغرب فصلى حتى صلى العشاء
ثم انفلت فتبعته فسمع صوتي فقال: من هذا حذيفة؟ قلت: نعم قال: ما حاجتك
غفر الله لك ولأمك؟ ثم قال: إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة
استأذن ربه أن يسلم علي ويسرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن
والحسين سيدا شباب أهل الجنة ".^٢

وجاء في المستدرك ج ٢ ص ٢٩٤ بسنده عن عائشة قالت لفاطمة: ألا أبشرك إني سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول "سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد، وخدیجة بنت خویلد، وآسیا بنت مزاحم". وقال عنه الحاکم النیسابوری حديث صحيح الإسناد ولم

^١ وذكره أيضاً في باب مناقب قرابة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ج ٤ ص ٢٨١ كما رواه مسلم في صحيحه وأحمد بن حنبل في مسنده.

^٢ ورواه ابن حجر في الصواعق ص ١٩١ والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٥١، كتاب مناقب الصحابة وقال عنه صحيح الإسناد ولم يخرج جاه.

يخر جاه " يقصد بخاري ومسلم ".

وجاء في كنز العمال ج ٧ ص ١١١ أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.
وذكر محي الدين الطبرى حديث أفضل أربع نساء فضلهم الله في ذخائر
العقبي ص ٤٤ وأضاف وأفضلهم فاطمة.

٥ - عن عائشة أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدتها^١.

٦ - أورد السيوطي في الدر المنشور في ذيل تفسير قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بْنَهُ لِلَّيْلِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قال: وأخرج الطبراني عن عائشة قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) " لما أسرى بي إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أر في الجنة أحسن منها ولا أبيض ورقا ولا أطيب ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت إلى الأرض واقع了一 خديجة فحملت بفاطمة فإذا أنا اشتقت إلى ريح الجنة شمتت ريح فاطمة ".

وروى الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٥٦ بسنده عن سعد بن مالك قال: قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أتاني جبرئيل (ع) بسفرجلة من الجنة فأكلتها ليلة أسرى بي فعلقت خديجة بفاطمة فكنت إذا اشتقت إلى رائحة الجنة شمتت رقبة فاطمة .

٧ - عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ابنتي

^١ رواه الحاكم في مستدركه ج ٣ ص ١٦٠ وقال حديث صحيح على شرط سلم.. كما ذكره ابن عبد البر في استيعابه ج ٢ ص ٧٥١.

فاطمة حوراء آدمية لم تحضر ولم تطمت. وإنما سماها فاطمة لأن الله فطمها ومحببها عن النار، ذكره ابن حجر في صواعقه ص ١٦٠ كما أخرجه النسائي وجاء في تاريخ بغداد أيضا ج ١٢ ص ٣٣١.

٨- في صحيح الترمذى ج ٢ ص ٣١٩ عن عائشة أم المؤمنين قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمعتني ودلا وهديا برسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم). قالت: وكانت إذا دخلت على النبي قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكان النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها الحديث.

رواه أيضاً أبو داود في صحيحه ج ٣٣ في باب ما جاء في القيام. ورواه الحاكم أيضاً في مستدرك الصحاحين ج ٣ ص ١٥٤.

٩- جاء في مسنـد أـحمد بن حـنـبل ج ٥ ص ٢٧٥ كان رسول الله (صـلى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) إـذـا سـافـرـ جـعـلـ آـخـرـ عـهـدـهـ فـاطـمـةـ وـأـوـلـ مـنـ يـدـخـلـ عـلـيـهـ إـذـا قـدـمـ فـاطـمـةـ.. وـذـكـرـ ذـلـكـ الـحاـكـمـ فـيـ الـمـسـتـدـرـكـ جـ ١ـ صـ ٤٨٩ـ وـرـوـاهـ الـبـيـهـقـيـ فـيـ سـنـنـهـ.

١٠- قال رسول الله (صـلى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) لـعـلـيـ وـفـاطـمـةـ وـالـحـسـنـيـنـ: "أـنـاـ سـلـمـ لـمـنـ سـالـمـكـمـ وـحـرـبـ لـمـنـ حـارـبـكـمـ" رـوـاهـ أـحـمـدـ بنـ حـنـبلـ فـيـ مـسـنـدـهـ جـ ٢ـ صـ ٤٤٢ـ وـالـحاـكـمـ فـيـ الـمـسـتـدـرـكـ صـ ١٤٩ـ وـابـنـ الـأـثـيـرـ فـيـ أـسـدـ الـغـابـةـ جـ ٣ـ صـ ١١ـ وـجـ ٥ـ صـ ٥٢٣ـ.

١١- في الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٩٠ أن النبي (صـلى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) قال: إذا كان يوم القيمة نادى مناد من بطن العرش: "يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق" ذكره الحاكم في المستدرك

كانت جولتنا مع أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حول فاطمة قصيرة مقارنة بما ورد في حقها ولكن هذا القدر يكفي للعاقل حتى يتعرف على الزهراء (ع) التي أحاطتها العناية الإلهية من قبل ميلادها وكانت في جنة الخلد... هنالك كان المبدأ كما في رواية الإسراء والجنة هي النهاية كما علمت وما بين الانطلاق الأولى من الجنة والمنتهى فيها كانت حياة الزهراء عظيمة تنبض بكل معاني القيم النبيلة.. فهل من الممكن أن يكون هناك نشاز في متصرف الطريق؟! يقينا لا، لذلك أوصى الرسول بفاطمة كثيرا وحذر الناس من غضبها الذي يعني غضبه بل وغضب الله عز وجل كما مر وشهدت لها عائشة بأنها أصدق الناس لهجة فهي الصديقة كما أن العناية الإلهية كان لها الدور المباشر في صياغة شخصية الزهراء فصار أذها أذى الرسول الذي يعني أذى الرسالة ونزل الوحي يجلجل بالتطهير كما جاء في آية التطهير وتأكد على قدسيّة المسير وباركه رب لعمل فاطمة وأهل بيتها كانت سورة الإنسان... وحتى نزداد يقينا بارتباط الزهراء بالوحي واستقامتها كانت المباهلة ثم الزواج المبارك الذي تم في السماء قبل أن يتم في الأرض بأمره سبحانه وتعالى. ورعاية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الخاصة بفاطمة حتى إنه عند قدوتها يقبلها ويجلسها في مجلسه وكذا العكس.. ولا يخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) في سفر إلا أن يكون آخر من يودعه ابنته وأول من يسلم عليه عندما يعود.. هي سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة، إذا كل فعل تفعله هو فعل أهل الجنة وكل موقف تقهه هو موقف أهل الجنة ولو نظرت في الجنة لرأيت نعيمًا وملكاً كبيراً و يأتي المنادي غضواً بآصاركم حتى تجوز فاطمة وتستقر في مقام محمود منه انطلقت وإليه تعود. هذه المسيرة المقدسة، وهذه العظمة ألا تدفعنا للوقوف إجلالاً وإعظاماً

لشخصية قدستها السماء وبارك مسيرتها أبوها صاحب رسالة السماء؟ كل ذلك
ألا يجعلنا نتوقف قليلاً أمام مواقفها؟ يبدوا لي أننا حتى نستوعب كل ذلك
نحتاج إلى عقل سليم وقلب مفرغ من الغرور والاستكبار والهوى لقد جسدت
الزهراء تعاليم الوحي.. وسارت وفق هداه فكانت من الجنة إلى الجنة وما بين
ذلك غضبها هو غضب الله فتأمل وتفكر وتدبر.

موقف الزهراء (ع) هو "الفيصل"

في الأحداث التاريخية يلعب العقل دوراً كبيراً في استخلاص النتائج
والاعتبار بها والاستفادة منها ومن ثم الانطلاق لتحديد موقف معين تجاه تلك
الأحداث.

والتاريخ الإسلامي كتاب الثقافة الذي حفظ لنا تراثاً ضخماً، ما زالت
الأمة تعيش على معينه.. وطوال تاريخ أمتنا الإسلامية مرت أحداث عظام مثلت
منحى لهذه الحضارة التي قامت أساسها على تعاليم الوحي بشقيه القرآن والسنة.
وبما أن التاريخ ثبت لنا مجموعة من الأحداث يجب علينا نحن اليوم النظر فيها
بعينالإنصاف، كما يجب علينا التعلق لاستخلاص منها عبراً تعينا لتحديد اتجاه
السير الصحيح خصوصاً وأن الأمة وبعد وفاة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله
وسلم) شهدت اختلافاً كبيراً امتدت آثاره إلى يومنا هذا.

وقضية الزهراء (ع) ومساتها لم تكن لتنفك عن أمر الرسالة الإسلامية،
وموقف الزهراء (ع) لا يمكن أن يمر عليه العاقل المهتم بأمر الإسلام مروراً
الغافلين، بل لا بد من التوقف عنده والسؤال، هل كان موقف فاطمة (ع) يعني
 شيئاً في مسيرة تحديد هويات الاتجاهات المختلفة؟ ذلك ما سنعرفه الآن، ولكن

هناك مقدمة ضرورية قبل الإجابة على هذا السؤال وهي :

نحن في تحديداً للمواقف المتعددة يجب قبل كل شيء معرفة صاحب الموقف معرفة تامة لأن ذلك يعيننا لتشخيص وتحليل الموقف تماماً وهذا شيء طبيعي وعقلي، فمثلاً عندما يقف الرسول موقفاً معادياً لشخص آخر فإننا تلقائياً ندين الطرف الآخر الذي وقف منه الرسول موقفاً عدائياً لأننا على يقين بأن الرسول هو المقياس للفصل بين الحق والباطل وبالتالي إذا وقف في وجه شخص آخر فذلك الشخص على خطأ لا يحتاج منا إلى بيان ولكن هذا احتاج منا إلى مقدمات تجاوزناها سلفاً وهي عصمة الرسول وحجية قوله وفعله وتقريره وهذه الحجية لا تكون إلا إذا كان قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفعله وتقريره حقاً ولا يمكن أن يكون بحال من الأحوال باطلًا لأن القول بخطأ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يستلزم الطعن في القرآن الذي أمر بطاعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دون قيد أو شرط، بل ليس الطاعة فقط وعدم المخالفية إنما عدم الحرج في قضائه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً).. من هذه الخلفية نكون على اطمئنان بكل موقف يقفه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أن معرفتنا للشخصية تجعلنا نقيّم الأحداث بشكل سليم بأفضل ما يكون.

والزهراء (ع) رفضت أن تباع الخليفة.. وعارضته بأشد ما يكون وتركت آثار معارضتها إلى الآن إذ أنها أمرت بدفعها ليلاً وسراً (ولم يكشف عن مكان قبرها إلى الآن)، فما مدى تأثير هذا الموقف الذي جوبه بأشد أنواع العنف، في سير الرسالة وما مدى حجيته علينا نحن المسلمين اليوم. وإن ذلك يستدعي التعرف على شخصية الزهراء بصورة تفصيلية خصوصاً فيما يختص بالحجية ”

يعني هل فعلها حجة لها أم عليها " وذلك من الناحية التشريعية وإن قد مر عليك
فضائل الزهراء ومتناقضها.

عصمة الزهراء (ع)

المتبوع للنحوص الواردة في القرآن والسنّة الشريفة عن أهل البيت (ع) بما
فيهم الزهراء (ع) لا يجد سوى الاقرار بعصمتهم وعلو شأنهم عن الذنوب
والمعاصي، وإليك لمحات من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة التي ثبتت
عصمة أهل البيت (ع) وطهارتهم وقد مر عليك ذكر بعضها.

لقد مرت عليك عزيزى القارئ آية التطهير دلالتها على عصمة أهل البيت
المقصودين في الآية وفاطمة منهم ونورد الأدلة التالية تعزيزاً لقولنا بعصمة
فاطمة (ع):

١ - قول الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) عنها " إن الله يغضـب لغضـبـها
ويرضـى لرضاـها " ، هذا القول للرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) تلازمـه
العصمة لأنـه من المستحيلـ أنـ ينـاط غـضـبـ الزـهـراءـ بـغضـبـ اللهـ سـبـحانـهـ وهـيـ غـيرـ
مـعـصـومـةـ... لأنـ القـولـ بـعدـ عـصـمـتـهاـ يـعـنـيـ إـمـكـانـيـةـ وـقـوعـهاـ فـيـ الزـلـلـ وـالـخـطاـ
وـرـبـماـ تـغـضـبـ لـغـيرـ الـحـقـ،ـ وـالـرـسـوـلـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ فـيـ كـلـامـهـ
إـطـلاقـ بلاـ تـقيـيدـ يـعـنـيـ أـنـ الزـهـراءـ (عـ)ـ لـنـ تـغـضـبـ إـلاـ لـشـئـ يـغـضـبـ اللـهـ بـسـبـبـهـ وـمـنـ
كـانـ غـضـبـهـ يـعـنـيـ غـضـبـ اللـهـ فـهـوـ لـنـ يـفـعـلـ إـلاـ الـحـقـ وـلـنـ يـخـطـئـ أـوـ يـمـيلـ إـلـىـ
الـبـاطـلـ طـرـفـةـ عـيـنـ وـبـالـتـالـيـ يـمـثـلـ غـضـبـهـ الـحـقـ،ـ وـفـيـ الـوـاقـعـ إـنـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ يـدـلـلـ
أـنـ لـلـزـهـراءـ مـكـانـةـ عـظـيمـةـ لـاـ تـدـرـكـ بـالـعـقـولـ.

ولبيان هذه العظمة التي من تجلياتها عصمتها (ع) أكد الرسول تكراراً عليها
ك قوله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) " فـاطـمـةـ بـضـعـةـ مـنـيـ يـؤـذـيـنـيـ مـاـ آـذـاـهـاـ وـيـرـبـيـنـيـ مـاـ

ربابها^١. إن أذى الرسول يعني أذى الرسالة، أذى القيم والمبادئ، لأنه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) هو محور الحق بل هو الحق الذي يجب أن نقتبس منه، إن الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) يمثل الإرادة الإلهية وهو قطب الرحى الذي به يعرف الموحد من المشرك والكافر إذ أن الله تعالى غيب لا ندر كـه بعقولنا وأوهامـنا والارتباط به تعالى يكون عبر رسـله وأنبيائه. لذلك كان مبعث الأنبياء وتولـية الأوـصياء. ولذلك لا يكون الرسـول إلا معصـومـا حتى لا يفترق عن الحق لحظة واحدة وبالتالي تكون كل تصرفـاته حقـاً وأذـيته تعـني التـحدـي للرسـالة والإرادة الإلهـية ولـبيان هذه الحـقيقة يقول القرآنـ الكـريم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لِعْنَهُمْ أَلَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ (سورة الأحزـاب: آية ٥٧) وأـكرـرـ القـولـ إنـ الرـسـولـ (صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ)ـ عـنـدـمـاـ يـتـحـدـثـ عـنـ شـخـصـ أوـ يـدـلـىـ بـأـيـ حـدـيـثـ فـمـنـ مـنـطـلـقـ مـسـؤـلـيـتـهـ تـجـاهـ الرـسـالـةـ وـبـالـتـالـيـ يـسـتـبعـدـ أـيـ مـجـامـلـاتـ أـوـ تـقـرـيـظـ بـلـ حـقـ،ـ وـالـمـتـفـقـ عـلـيـهـ أـنـ قـوـلـ الرـسـولـ (صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ)ـ وـفـعـلـهـ وـتـقـرـيـرـهـ حـجـةـ يـعـنيـ شـرـعـ نـتـعـدـ بـهـ قـرـبـةـ إـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ.ـ وـقـدـ قـالـ عـلـيـهـ وـآلـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ فـاطـمـةـ بـضـعـفـ مـنـ يـعـنيـ هـيـ جـزـءـ لـاـ يـتـجـزـأـ مـنـ كـيـانـهـ وـرـوـحـهـ وـهـوـ كـمـاـ قـلـنـاـ مـحـورـ الـحـقـ وـالـشـرـعـ وـبـالـتـالـيـ تـكـوـنـ الزـهـراءـ (عـ)ـ أـيـضاـ كـذـلـكـ،ـ لـذـلـكـ جـعـلـ الرـسـولـ أـذـاهـ أـذـاهـ وـكـلـ شـئـ يـرـبـيـهـ يـرـبـيـهـ وـهـوـ مـعـصـومـ الـذـيـ لـاـ تـمـيلـ بـهـ الـأـهـوـاءـ وـمـنـ يـكـوـنـ جـزـءـ مـنـ يـؤـذـيـهـ مـاـ يـؤـذـيـهـ فـهـوـ أـيـضاـ مـؤـهـلـ أـنـ يـكـوـنـ مـعـصـومـاـ.ـ وـبـهـذـاـ التـقـرـيـبـ نـرـىـ عـصـمـةـ الزـهـراءـ (عـ)ـ جـلـيـةـ وـوـاضـحةـ فـقـطـ تـحـتـاجـ إـلـىـ وـجـدـانـ صـافـ سـلـيمـ وـعـقـلـ مـسـتـنـيرـ.

٢ - قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْدَةُ فِي الْقَرْبَى﴾ إن كلـ

^١ لمعرفـةـ مـصـادـرـ هـذـهـ الـأـحـادـيـثـ يـرجـىـ مـرـاجـعـةـ فـضـائلـ الزـهـراءـ فـيـ هـذـاـ الـكـتابـ.

الأنبياء السابقين لم يطلبوا أجرًا من أقوامهم إنما كان قولهم ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ
 عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾ لقد ذكر ذلك في القرآن على لسان
 الأنبياء نوح و هود و صالح ولوط و شعيب ^١. ولكن نبينا الأعظم أمره الله عز وجل
 بأن يسأل أمته المودة في القربى ولكن لا لكي يستفيد هو بل لتسفيه أمته، لأنه ليس
 بداعا من الرسل ليطالب بأجر لرسالته من دون الرسل، كما أنه ليس من
 المتتكلفين كما جاء على لسانه قوله تعالى ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنْ
 الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ^٢ ، ودليلنا على أن الفائدة من هذا الأجر الذي طلبه منا تعود علينا
 نحن قوله تعالى ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ ^٣ ،
 وبنظرة أخرى إلى آيات القرآن الحكيم نجد أن هذا الأجر المتمثل في مودة القربى
 هو السبيل إلى الله تعالى في قوله عز وجل ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِنْ شَاءَ
 أَنْ يَتَخَذُ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ^٤ ، وهو الذكرى للعالمين كما يقول تعالى ﴿قُلْ لَا
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ^٥ . إذا مودة القربى هي الذكرى
 وهي السبيل الذي يقول عنه تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكُمْ سَبِيلًا إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾
 والسبيل إلى الله لا بد أن يكون قويمًا لا عوج فيه يعني باتباعه نضمن أننا على
 الصراط المستقيم ونهايتنا الجنة بمعنى أقرب لا بد أن يكون معصوما وقد تجسد
 في القربى وهم أهل البيت (ع) كما هو المسلم به عند جميع المسلمين فيما يرتبط

^١ مراجعة الآيات ١٠٩ - ١٢٧ - ١٣٢ - ١٤٥ - ١٦٤ - ١٨٠ من سورة الشعرا.

وقد جاء في صحيح البخاري في المناقب ج ٤ ص ٢١٩ عن ابن عباس قال: إلا المودة في القربى،
 القربى قربى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

^٢ سورة ص: آية / ٨٦

^٣ صورة سباء: آية / ٤٧

^٤ سورة الفرقان: آية / ٥٧

^٥ سورة الأنعام: آية / ٩٠

بنزول الآية في أهل البيت (ع) وفاطمة عماد ذلك البيت فوجب أن تكون معصومة لأنها أحد مصاديق ذلك السبيل.

٣ - فاطمة (ع) ومريم (ع): فيما سبق من روايات وضح لنا أن فاطمة الزهراء (ع) هي سيدة نساء العالمين وهي سيدة نساء الجنة. وما إليه من أحاديث تثبت أن الزهراء (ع) أفضل النساء من الأولين والآخرين، ومن جملة النساء الكمال مريم الصديقة (ع) أم النبي عيسى (ع) لقد ارتفعت مريم سلم الكمال حتى اصطفاها الله تعالى وطهرها، بل وخطبها الوحي كما جاء في القرآن الكريم يقول تعالى (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) (سورة آل عمران: آية ٤٢) لقد طهر الله مريم واصطفاها وهذه هي العصمة بعينها، ولا يمكن بمجال أن يكون الفاضل أقل درجة من المفضول فإذا ثبتت عصمة مريم (ع) فالأولى إثبات عصمة الزهراء (ع) لأنها أعلى رتبة وأخص درجة بما عرفت عنها ومدح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لها.

لقد أوردنا ما أوردناه لإثبات عصمة الزهراء (ع) أو لا أقل بيان قدسيتها بحيث يمتنع صدور فعل قبيح منها يخالف الشرع أو يرضي طموحا شخصيا لها. ورغم قناعتي بأن الكثير من المسلمين لا يحتاجون إلى مزيد من الكلام حول طهارتها وقدسيتها إلا أنني تأكيدا للحججة على المعاندين والمغالطين أطلت الحديث عن هذا الموضوع ولأنه سيكون المعتمد الأساسي في الإجابة على سؤال عريض سيواجهنا وتجب الإجابة عليه. ألا وهو أين نقف نحن بالنسبة لموقف الزهراء من أبي بكر؟ وكيف المخرج؟ هل يجوز لنا القول بأن الزهراء (ع) مخطئة؟ أما بالنسبة للسؤال الأخير فلا يحق لنا ذلك بل إن القول به يعني الكفر بالله وبآياته وبرسوله، ويبدو لي أن الإجابة على بقية الأسئلة واضحة ولا تحتاج

إلى كبير عناء.

ولكن قبل أن أنهي الحديث عن هذا الموضوع، الذي أترك فيه المجال لأصحاب العقول المنيرة والضمائر الحية ليحددوا فيه الموقف، أخرج على حديث شغلني كثيراً وأنا أقيم موقف الزهراء (ع) من الخليفة أبي بكر وغضبها وعدم السماح له ولعمر بالصلة عليه حتى وهي ميتة، ألا وهو الحديث المشهور (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

حسناً لقد أصبح أبو بكر خليفة للمسلمين بعد انتقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى. والخليفة هو الإمام وقد جاء في الحديث أن من لم يعرفه يموت ميتة كميته الجاهلية. وفاطمة (ع) ليس فقط لم تعرف الخليفة بل عارضته وهاجمته وغضبت عليه وأمرت أن لا يصلى عليها فكيف المخرج من هذه المعضلة؟! فإذاً أن تكون فاطمة ماتت ميتة جاهلية والعياذ بالله وهذا ما لا يقول به مؤمن برسالة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنما أن تكون في موقفها على حق وبالتالي تنسف كل شرعية للخلافة القائمة آنذاك وهو ما قامت عليه الأدلة والبراهين فثبتت نقاًلاً وعقلاً كما بينا وسبعين المزيد إن شاء الله تعالى.

بماذا طالبت الزهراء (ع)؟

لقد جاء في البخاري ومسلم وغيرهما من المصادر أن الزهراء طالبت بفك ولا شك ولا ريب أنها كانت تطالب بشئ تعتبره ملكاً لها أو حقاً شرعاً خاصاً بها.

لقد طالبت فاطمة بالإضافة إلى فدك بحقوق أخرى سندكرها.. لكنها أظهرت فدك باعتبار أن ملكيتها آلت إليها بوجود الرسول (صلى الله عليه وآله

وسلم) وقبل وفاته وبالتالي لا ربط لها بقضية الميراث التي زعموا أن الرسول خارج عنها.

أما فدك فقد قال عنها ياقوت هي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة وفيها عين فواره ونخيل كثير^١ وقصتها أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث إلى أهل فدك وهو بخير منصرف منه يدعوهם إلى الإسلام فأبوا فلما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من خير قذف الله الرعب في قلوبهم فبعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يصالحونه على التصرف قبل منهم^٢.

وفي فتوح البلدان: فكان نصف فدك خالصاً لرسول الله لأنه لم يوجد المسلمين عليه بخيل ولا ركاب.

لقد كانت فدك ملكاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعلوم أن من حقه التصرف في ملكه وقد كان ذلك حينما منحها لقرة عينيه فاطمة كما جاء في شواهد التنزيل للحسكاني وميزان الاعتدال للذهباني ومجمع الزوائد للهيثمي والدر المنشور للسيوطى واللفظ للأول عن أبي سعيد الخدري: لما نزلت ﴿وَاتَّ ذَا الْقَرْبَى حَقَهُ﴾ دعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة وأعطاهما فدك^٣.

إذا فدك كانت ملكاً وحقاً لفاطمة الزهراء ولا يجوز بحال من الأحوال

^١ بمادة (فدك) من معجم البلدان.

^٢ سيرة ابن هشام ٣ / ٤٠٨ - ٤٠٩ مجازي الواقدي ص ٧٠٦ / ٧٠٧ وشرح النهج ٤ / ٧٨.

^٣ تفسير الآية ٢٦ من سورة بنى إسرائيل في شواهد التنزيل ١ / ٣٣٨ - ٣٤١، والدر المنشور ٤ / ١٧٧ - ١٧٨، وميزان الاعتدال ٢ / ٢٢٨ ومجمع الزوائد والكساف وتاريخ ابن كثير ٢ / ٣٦، تفسير الطبرى ج ١٥ ص ٧٢ ط ٢ يتابع المودة.

منعها هذا الحق وهي هي كما علمت.. فكيف يجرؤ أحد على منعها ما أعطاه لها الرسول بأي حق كان ذلك؟ لقد قالوا أن الأنبياء لا تورث - ورغم عدم ثبوت ذلك فإن فدك لم تكن من التركة حتى يحتاج عليها بهذا الحديث، ولقد تدرجت الزهراء في مطالبتها بحقوقها حتى تتضح الأمور لذى عينين غير أن بعض الأحاديث جاءت مجملة غير مفصلة تختلط فيها لدى القارئ أوراق القضية فيظن أن فدكا كانت ميراثا وكذلك سهم ذى القربي في حين أن كل ذلك غير الميراث، وحتى تتضح الرؤية دعنا نفصل بعض الشئ في هذا الأمر.

لقد طالبت فاطمة أولاً بما أعطاه لها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم ثانياً بإرث الرسول وثالثاً بسهم ذى القربي، وإليك بعض الكلام في هذه المطالبات.

أولاً: المطالبة باسترداد فدك التي لها ملكيتها.

جاء في فتوح البلدان: إن فاطمة (رض) قالت لأبي بكر الصديق (رض) أعطوني فدك فقد جعلها رسول الله لي، فسألها البينة فجاءت بأم أيمن ورباح مولى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فشهادا لها بذلك، فقال: إن هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل ومرأتين^١.

وفي رواية أخرى: "شهد لها علي بن أبي طالب فسألها شاهداً آخر فشهادت لها أم أيمن" ، وإن عشت أراك الدهر عجبًا فاطمة (ع) التي نزلت آيات القرآن تظهرها وتعصّمها تكذب وتسأل البينة. إنها سيدة نساء العالمين. الصديقة الطاهرة التي بلغت درجة من العصمة والطهارة حتى صار غضبها غضب رب ورضاها، رضاه لقد قبل المسلمين شهادة أبي بكر في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) "نحن معاشر الأنبياء لا نورث" فكيف لا يقبلون ادعاء الزهراء

^١ فتوح البلدان: ١ / ٣٤ - ٣٥

بأن فد كا ملكها؟ لقد تجلت حكمـة الرسول (صـلى الله عـلـيـه وآلـه وـسـلمـ) حينما أكـد عـلـى مـكـانـة الزـهـراء وـصـدقـها فـي الأـحـادـيـث الـمـتـقـدـمـة خـاصـة ما جـاء عـلـى لـسـان عـائـشـة بـنـت أـبـي بـكـر لـقـد قـالـت مـا رـأـيـت أـحـدـا كـان أـصـدـق لـهـجـة مـنـهـا أـي فـاطـمـة (عـ). لـقـد وـقـتـ حـائـرـا أـمـام هـذـا المـوـقـفـ! أـين أـقـفـ؟! هـل أـضـرـب بـكـلام الـوـحـي وـقـولـ الرـسـولـ (صـلى الله عـلـيـه وآلـه وـسـلمـ) عـن فـاطـمـة عـرـضـ الـحـائـطـ، وـأـؤـيدـ تـكـذـيـبـ الـقـوـمـ لـهـاـ! أـمـ مـاـذـا أـفـعـلـ؟ بـلاـ شـكـ لـنـ أـجـعـلـ كـلـامـ الرـسـولـ هـذـرـاـ وـلـنـ أـضـعـهـ وـرـاءـ ظـهـرـيـ كـمـاـ أـنـنـيـ لـنـ أـبـرـرـ مـاـ فـعـلـوـهـ حـيـنـمـاـ صـدـوـاـ الزـهـراءـ عـنـ حـقـهـاـ.. لـقـدـ اـسـتـوـلـىـ أـبـوـ بـكـرـ عـلـىـ فـدـكـ كـمـاـ اـسـتـوـلـىـ عـلـىـ غـيـرـهـاـ مـنـ الـأـمـالـاـكـ وـالـحـقـوقـ الـخـاصـةـ بـالـرـسـولـ (صـلى الله عـلـيـه وآلـه وـسـلمـ).. وـلـاـ أـرـىـ مـبـرـرـاـ وـجـيـهـاـ يـدـعـوـهـ لـمـنـعـ الـحـقـ عـنـ أـصـحـابـهـ إـلـاـ أـنـ يـكـوـنـ هـنـالـكـ أـمـرـ آـخـرـ رـبـماـ خـفـيـ عـلـيـ وـعـلـيـكـ أـيـهـاـ الـقـارـئـ العـزـيزـ لـكـنـ مـجـرـيـاتـ الـأـحـادـيـثـ سـتـبـيـنـ لـكـ مـاـ هـوـ غـامـضـ !!

ثـانـيـاـ: مـطـالـبـهـاـ بـإـرـاثـ الرـسـولـ (صـلى الله عـلـيـه وآلـه وـسـلمـ)

عـنـ أـبـيـ الطـفـيلـ بـمـسـنـدـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ وـسـنـنـ أـبـيـ دـاـوـودـ وـتـارـيـخـ الـذـهـبـيـ وـتـارـيـخـ اـبـنـ كـثـيرـ وـشـرـحـ النـهـجـ وـالـلـفـظـ لـلـأـوـلـ قـالـ: لـمـاـ قـبـضـ رـسـولـ اللهـ (صـلى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ)ـ أـرـسـلـتـ فـاطـمـةـ إـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ: أـنـتـ وـارـثـ رـسـولـ اللهـ (صـلى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ)ـ أـمـ أـهـلـهـ؟
قـالـ: فـقـالـ: "لـاـ، بـلـ أـهـلـهـ"ـ، قـالـتـ: فـأـيـنـ سـهـمـ رـسـولـ اللهـ (صـلى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ)ـ¹ـ.

وـفـيـ روـاـيـةـ عنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ فـيـ سـنـ التـرـمـذـيـ: أـنـ فـاطـمـةـ جـاءـتـ إـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ

¹ مـسـنـدـ أـحـمـدـ ١ / ٤ـ الحـدـيـثـ، وـسـنـنـ أـبـيـ دـاـوـودـ ٣ / ٥ـ كـتـابـ الـخـرـاجـ وـتـارـيـخـ اـبـنـ كـثـيرـ ٢٨٩ـ / ٥ـ وـشـرـحـ النـهـجـ ٤ / ٨١ـ وـتـارـيـخـ الـذـهـبـيـ.

وعمر (رض) تسأل ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فقلـاـ: سمعنا رسول الله يقول "إنـي لا أورث" ، قـالـتـ والله لا أـكـلمـكـمـاـ أـبـداـ، فـمـاتـ ولا تـكـلـمـهـماـ" ^١.

وغيرـهاـ منـ الروـاـيـاتـ الـكـثـيرـةـ التـيـ تـتـحـدـثـ عـنـ منـعـ أـبـيـ بـكـرـ فـاطـمـةـ مـيرـاثـهاـ منـ الرـسـولـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ أـبـيهـاـ،ـ بماـ فيـ ذـلـكـ الـحـدـيـثـ الـذـيـ بـدـأـنـاـ بـهـ هـذـاـ الـبـحـثـ.

ثالثـ:ـ المـطـالـبـ بـسـهـمـ ذـيـ القـرـبـىـ.

لـقـدـ منـعـهـاـ مـلـكـهـاـ الـخـالـصـ "ـفـدـكـ"ـ وـجـاؤـهـاـ بـحـدـيـثـ "ـالـأـنـبـيـاءـ لـاـ يـورـثـونـ"ـ الـذـيـ قـالـ فـيـهـ أـبـيـ الـحـدـيـدـ فـيـ شـرـحـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ"ـ الـمـشـهـورـ أـنـهـ لـمـ يـرـوـ حـدـيـثـ اـنـتـفـاءـ الـإـرـثـ إـلـاـ أـبـوـ بـكـرـ وـحـدـهـ"ـ وـقـالـ "ـإـنـ أـكـثـرـ الـرـوـاـيـاتـ أـنـهـ لـمـ يـرـوـ هـذـاـ الـخـبـرـ إـلـاـ أـبـوـ بـكـرـ وـحـدـهـ"ـ ذـكـرـ ذـلـكـ أـعـظـمـ الـمـحـدـثـينـ حـتـىـ أـنـ الـفـقـهـاءـ فـيـ أـصـوـلـ الـفـقـهـ أـطـبـقـواـ عـلـىـ ذـلـكـ فـيـ اـحـتـاجـاجـهـمـ بـالـخـبـرـ بـرـوـاـيـةـ الصـحـابـيـ الـوـاحـدـ،ـ وـقـالـ شـيـخـنـاـ أـبـوـ عـلـيـ:ـ لـاـ يـقـبـلـ فـيـ الـرـوـاـيـةـ إـلـاـ رـوـاـيـةـ اـثـنـيـنـ كـالـشـهـادـةـ،ـ فـخـالـفـهـ الـمـتـكـلـمـونـ وـالـفـقـهـاءـ كـلـهـمـ،ـ وـاـحـتـجـجـوـاـ بـقـبـولـ الصـحـابـةـ رـوـاـيـةـ أـبـيـ بـكـرـ وـحـدـهـ"ـ نـحـنـ مـعـاـشـ الـأـنـبـيـاءـ لـاـ نـورـثـ" ^٢.

عـنـدـمـاـ لـمـ يـجـبـوـهـاـ فـيـ كـلـ ذـلـكـ طـالـبـتـهـمـ بـسـهـمـ ذـيـ القـرـبـىـ،ـ فـقـدـ جـاءـ عـنـ أـنـسـ بـنـ مـالـكـ أـنـ فـاطـمـةـ أـتـ أـبـاـ بـكـرـ فـقـالـتـ لـقـدـ عـلـمـتـ الـذـيـ ظـلـمـتـنـاـ أـهـلـ الـبـيـتـ مـنـ الصـدـقـاتـ وـمـاـ أـفـاءـ اللـهـ عـلـيـنـاـ مـنـ الـغـنـائـمـ فـيـ الـقـرـآنـ مـنـ سـهـمـ ذـوـيـ القـرـبـىـ.ـ ثـمـ

^١ سنـنـ التـرمـذـيـ ١١١ / ٧،ـ أـبـوـابـ السـيـرـ كـمـاـ جـاءـ فـيـ تـرـكـةـ الرـسـولـ كـمـاـ جـاءـتـ بـمـسـنـدـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ عـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ أـيـضـاـجـ ١٠ / ١ـ الـحـدـيـثـ ٦٠ـ.

^٢ شـرـحـ النـهـجـ ٤ / ٨٢ - ٨٥ـ

قرأت عليه قوله تعالى ﴿واعلموا أنما غنتم من شئ فأن الله خمسه ولرسول ولذى القربي﴾ فقال لها أبو بكر بأبي أنت وأمي السمع والطاعة لكتاب الله ولحق رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) وحق قرابته وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرأين منه، ولم يبلغ علمي منه أن هذا السهم من الخامس مسلم إليكم كاملاً قالت: فلك هو ولأقربائك؟! قال: لا، بل أنفق عليكم منه وأصرف الباقي في مصالح المسلمين، قالت: ليس هذا حكم الله .^١

وفي فتوح البلدان وطبقات ابن سعد وتاريخ الإسلام للذهبي وشرح النهج
عن أم هاتي قالت: إن فاطمة بنت رسول الله أتت أبي بكر (رض) فقالت: من
يرثك إذا مات؟ قال: ولدي وأهلي، قالت: مما بالك ورثت رسول الله دوننا؟!
قال: يا بنت رسول الله ما ورث أبوك ذهبا ولا فضة، فقالت: سهمنا بخبير
وصافتنا فدلك.

ولفظ طبقات ابن سعد: فسهم الله الذي جعله لنا وصافيتنا بيده.

وفي لفظ ابن أبي الحديد وتاريخ الإسلام للذهبي:

قال: ما فعلت يا بنت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فقلت: بلى إِنَّكَ عَمِدْتَ إِلَى فَدْكٍ وَكَانَتْ صَافِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فَأَخْذَتْهَا، وَعَمِدْتَ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتَهُ عَنَا^٢.

لقد طالبت الزهراء (ع) بحقوقها كاملة فلم تحصل منها على شيء ولا
أدرى لماذا منعت وردت! إما لأنها كذبت في دعواها وحاشا لمن وعي كلام
رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) وآمن بالوحى حقاً أن يدعى عليها مثل

^١ تاريخ الإسلام للذهبي ١ / ٣٤٧، شرح النهج ٤ / ٨١.

^٢ فتوح البلدان ١ / ٣٥ وطبقات ابن سعد ٢ / ٣١٤ - ٣١٥ وشرح النهج ٤ / ٨١ وتاريخ الإسلام

للذهب ١ / ٣٤٦

هذه الفريدة وقد علمت حرص الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في الحديث عن فاطمة (ع) حتى لا تذهب المذاهب بالقوم وكيف يمكن أن تكذب وهي المطهرة بنص القرآن والمعصومة والصادقة في سيرتها كما جاء في الروايات وهي التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاهـا؟ إنـها الزهراء (ع) ميزان الحق الذي به يعرف الباطل وأي خطأ وخطـل يرتكـب من يحاـول أن يشكـك في حقـها الذي طالـبت به؟ لأنـ ذلك يعني الشـك في قول الله تعالى وقول رسولـه.

وليس هناك مجال لمـدح يدعـي أنها كانت جـاهلة بحقـوقـها وأنـها ربما لم تسمع بأنـها لن تـرث أباـها وأنـ ملكـها يمكنـ أن يتـصرف فيـه الخليـفة كيفـ يشاءـ.

إـذـأنـ من المستـحيلـ أنـ يغـفلـ رسولـ اللهـ (صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) عنـ بيانـ ذلكـ لـابـتهـ الزـهرـاءـ (عـ)، وهـيـ المعـنـيةـ بـالـأـمـرـ فـيـ الـدـرـجـةـ الـأـوـلـىـ دونـ سـائـرـ

المـسـلـمـينـ.. وزـوجـهاـ هوـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ الذـيـ قـالـ عـنـهـ الرـسـوـلـ (صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ)

"أـنـاـ مـدـيـنـةـ الـعـلـمـ وـعـلـيـ بـابـهـ" ^١، وـقـدـ أـكـدـ عـلـيـ (عـ) دـعـوـيـ

فـاطـمـةـ (عـ) حـينـماـ قـالـ أـبـوـ بـكـرـ: قـالـ رـسـوـلـ اللهـ "لـاـ نـورـثـ مـاـ تـرـكـناـهـ صـدـقـةـ" فـقـالـ

عـلـيـ: (وـوـرـثـ سـلـيـمـانـ دـاوـودـ) وـقـالـ يـرـثـيـ وـيـرـثـ مـنـ آـلـ يـعقوـبـ) قـالـ أـبـوـ بـكـرـ:

هـوـ هـكـذـاـ وـأـنـتـ وـالـلـهـ تـعـلـمـ مـثـلـ مـاـ أـعـلـمـ فـقـالـ عـلـيـ: هـذـاـ كـتـابـ اللـهـ يـنـطـقـ! فـسـكـتـواـ

وـانـصـرـفـواـ ^٢.

إـذـفـاطـمـةـ كـانـتـ تـدـرـكـ تـاماـ ماـ تـفـعـلـهـ وـعـنـ عـلـمـ كـامـلـ بـحـقـوقـهـاـ إـلـاـ لـمـاـ

اسـتـمـرـ غـضـبـهـ إـلـىـ حـينـ وـفـاتـهـاـ وـلـمـ تـرـاجـعـ بلـ اـحـتـجـتـ عـلـيـ أـبـيـ بـكـرـ بـأـنـ الـأـنـبـيـاءـ

يـورـثـونـ مـنـ الـقـرـآنـ الـحـكـيمـ فـيـ خـطـبـتـهـاـ أـمـامـ الـخـلـيـفـةـ الـأـوـلـ وـذـلـكـ بـعـدـ

^١ أـسـدـ الـغـابـةـ جـ ٤ـ صـ ٢٢ـ، مـسـتـدـرـكـ الـحـاـكـمـ وـشـواـهـدـ التـزـيلـ وـتـارـيـخـ اـبـنـ عـسـاـكـرـ وـغـيرـهـ مـنـ الـمـصـادـرـ.

^٢ طـبقـاتـ اـبـنـ سـعـدـ ٣١٥ـ /ـ ٢ـ وـكـنـزـ الـعـالـمـ ٣٦٥ـ /ـ ٥ـ كـتـابـ الـخـلـافـةـ مـعـ الـإـمـارـةـ مـنـ قـسـمـ الـأـفـعـالـ.

منعها منحتها وإرثها وحقها في الخمس .

جاء في شرح النهج وبالغات النساء لأحمد بن طاهر البغدادي: لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على منها فدك لاثت خمارها على رأسها واشتملت جلبابها، وأقبلت في لمة من حفتها ونساء قومها تطاً ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة ثم أنت آنة أجهش لها القوم بالبكاء وارتجم المجلس ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه والصلوة على رسول الله ثم قالت: أنا فاطمة بنت محمد أقول عودا على بدء، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم، ثم استرسلت في خطبتها إلى قولها:

ثم أنت الآن، ترعمون أن لا إرث لنا أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكم القوم يوقنون يا ابن أبي قحافة! أترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون.

وفي معرض خطبتها الغراء تواصل الزهراء احتجاجها بما جاء من القرآن عن ميراث الأنبياء فقالت: أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ﴾ وقال الله عز وجل في ما قص من خبر زكرياء ﴿رَبُّهُ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَا يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وقال عز ذكره ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِعِصْمٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقال ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَنْثَيْنِ﴾ وقال ﴿إِنْ تَرْكَ

خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين》 وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي أفخضكم الله بآية أخرج نبيه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) منها أم تقولون: أهل ملتين لا يتوارثان. أولست أنا وأبـي من أهل ملة واحدة أم أنتـم أعلم بخصوص القرآن من أبيـ وابنـ عمـيـ أفحـكمـ الجـاهـليـةـ^١.
تبغون... .

إن للزهراء من منازل القدس عند الله عز وجل ورسوله والمؤمنين ما يوجب الثقة التامة في صحة ما تدعـيـ والطمـأنـينةـ الكـاملـةـ بكلـ ماـ تـنـطـقـ بـهـ،ـ ولاـ تـحـتـاجـ عـلـيـهاـ السـلامـ -ـ فـيـ كـلامـهاـ إـلـىـ شـاهـدـ...ـ وـدـعـواـهاـ بـمـجـرـدـهاـ تـكـشـفـ عنـ صـحـةـ المـدـعـىـ بـهـ كـشـفـاـ تـامـاـ بـلـاـ نـقـصـانـ..ـ وـمـعـ ذـلـكـ فـقـدـ جـاءـتـ -ـ كـمـاـ ذـكـرـناـ -ـ بـشـاهـدـ لـأـظـنـ أـنـهـ يـحـتـاجـونـ إـلـىـ شـاهـدـ معـهـ وـهـوـ عـلـيـ (عـ)ـ أـخـوـ النـبـيـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ الـذـيـ لـاـ يـفـارـقـ الـحـقـ وـالـقـرـآنـ أـبـداـ.ـ وـلـكـنـ رـفـضـتـ شـهـادـتـهـ وـلـعـمـريـ إـنـ شـهـادـةـ عـلـيـ أـوـلـىـ مـنـ شـهـادـةـ خـزـيمـةـ التـيـ جـعـلـهـاـ الرـسـوـلـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ كـشـهـادـةـ عـدـلـيـنـ...ـ وـلـوـ تـنـازـلـنـاـ فـسـلـمـنـاـ أـنـ شـهـادـةـ عـلـيـ (عـ)ـ كـشـهـادـةـ رـجـلـ وـاحـدـ مـنـ عـدـوـلـ الـمـؤـمـنـيـنـ فـلـمـاـذـ لـمـ يـطـلـبـ أـبـوـ بـكـرـ مـنـ فـاطـمـةـ الـيـمـينـ فـإـنـ حـلـفـ وـإـلـاـ رـدـتـ دـعـواـهـ؟ـ لـوـ جـوـبـ الـحـكـمـ بـالـشـاهـدـ وـالـيـمـينـ كـمـاـ رـوـاهـ مـسـلـمـ فـيـ أـوـلـ كـتـابـ الـأـفـضـيـةـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ قـالـ:ـ قـضـىـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ بـيـمـينـ وـشـاهـدـ،ـ وـنـقـلـ فـيـ الـكـتـرـ عنـ الدـارـقـطـنـيـ عـنـ اـبـنـ عـمـارـ قـالـ:ـ قـضـىـ اللـهـ فـيـ الـحـقـ بـشـاهـدـيـنـ،ـ فـإـنـ جـاءـ بـشـاهـدـيـنـ أـخـذـ حـقـهـ وـإـنـ جـاءـ بـشـاهـدـ وـاحـدـ حـلـفـ مـعـهـ.

ومـاـ يـحـيرـ الـأـلـبـابـ أـنـ تـكـذـبـ فـاطـمـةـ وـتـرـدـ دـعـواـهـ وـلـاـ تـقـبـلـ شـهـادـةـ عـلـيـ كـلـ ذلكـ حـرـصـاـ مـنـهـمـ عـلـيـ مـنـعـهاـ منـحـةـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ بـعـدـ

^١ بلاغات النساء: ١٢، ١٦، ١٥، ١٧.

أن جعلوها من متروكات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يعني من حق ورثته، لكنهم جاؤوا بحديث "الأنبياء لا يورثون" واحتجت عليهم الزهراء في خطبتها بأنها تستحق ميراث رسول الله فذكرت من الأدلة القرآنية ما يروي الضمأ ويبين الحق وتلت الآيات التي ورث فيها الأنبياء وكون حكمها عاماً يشمل ابنة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم عرجت على آيات الميراث العامة والتي خوطب بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان الأولى أن تطبق عليه ثم على سائر المسلمين، يقول السيد عبد الحسين الموسوي: "إن توريث الأنبياء منصوص عليه بعموم قوله عز من قائل ﴿لِلرَّجُالِ نَصِيبٌ مَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مَا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مفروضا﴾ وقوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِذِكْرِ مِثْلِ حَظِّ الْأَنْشِئِينَ﴾ إلى آخر آيات المواريث وكلها عامة تشمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن دونه من سائر البشر فهي على حد قوله عز وجل ﴿كَتُبْ عَلَيْكُمُ الصِّيَامَ كَمَا كَتُبْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم﴾. وقوله سبحانه وتعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعْدَةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخْرَ﴾ وقوله تعالى ﴿حَرَمَتْ عَلَيْكُمُ الْمِيَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَزِير﴾ الآية. ونحو ذلك من آيات الأحكام الشرعية يشترك فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكل مكلف من البشر لا فرق بينه وبينهم، غير أن الخطاب فيها متوجه إليه ليعمل به وليلبلغه إلى من سواه، فهو من هذه الحيثية أولى في الالتزام بالحكم من غيره كذلك آيات الميراث تخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كغيره من سائر الناس عملاً بظاهر الآيات الكريمة".^١

أما كون الأنبياء السابقين قد ورثوا المال فهذا ما نجده في ظاهر الآيات التي تحدثت عن زكريا (ع) وغيره من الأنبياء كما ذكرت الزهراء في الخطبة ولعل

^١ النص والاجتهاد السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي فقرة توريث الأنبياء.

هنا لك من يدعى أن ميراث الأنبياء كان العلم دون المال ولكن ذلك خلاف الظاهر من الآيات إذ أن لفظ الميراث في اللغة والشريعة لا يطلق إلا على ما ينتقل من الموروث إلى الوراثة كالأموال ولا يستعمل في غير المال إلا على طريق المجاز والتوصع، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة وقرينة... وبالجملة لا بد من حمل الإرث في الآيات القرآنية التي تتحدث عن ميراث الأنبياء على إرث المال دون العلم وشبها حملاً للفظ يرثني على معناه الحقيقي المتبدّل إلى الذهن إذ لا فرينة على كون المراد في الآيات توريث العلم ومن يدعى ذلك عليه الإثبات وعلى فرض أن الأنبياء ورثوا العلم لأبنائهم وذويهم فهلا سمعوا العلم عن ورثه عن النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وأخذوا بكلام هؤلاء الورثة ورثة علم رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) الذين هم أعلم بأحكام الدين من غيرهم واتبعوهم أمنا من الضلال "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي".

ومما يثير التساؤل ميراث زوجات النبي في بيته التي اختص بها نساءه، عائشة كيف تسنى لها البقاء في بيت النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) مع أنه وعلى حسب مدعاهم لا يورث ولم يثبت أن النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ملكها هذا البيت في حياته كما أن أباها الخليفة الأول لم يطالبها ببينة وانتقلت إليها ملكية البيت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وأصبحت هي المتصرفة فيه حتى أن أبا بكر وعمر طلبا منها الإذن حتى يدفنا بجوار رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) كما أنها منعت من دفن من هو أكثر نصيبا منها على فرض أنه من الميراث لأنها ترث التسع من الثمن باعتبارها إحدى تسع أزواج مات النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وهن في عصمتها، وللحزوة كما هو معلوم ثمن الميراث إن كان له ولد بينما يرث الحسن (ع) عن طريق أمه فاطمة (ع) أكثر منها ومع ذلك ينقل لنا العقوبي في حادثة وفاة الحسن بن علي (ع) "ثم أخرج نعشة يعني الحسن يراد به قبر رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم)، فركب مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص فمنعوا

من ذلك حتى كادت تقع الفتنة وقيل أن عائشة ركبت بغلة شهباء، وقالت: "يتي لا آذن فيه لأحد" ^١.

والقرآن الحكيم يثبت أن هذه البيوت التي أودع فيها زوجاته هي له دون الزوجات في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بَيْوَاتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُم﴾ (سورة الأحزاب: آية / ٥٣) فنسبة البيوت إلى النبي واضحة فهو الأصل وزوجاته عرض على هذه البيوت ولا يعرض قائل بأن الله تعالى يقول أيضاً ﴿وَقَرَنَ فِي بَيْوَاتِكُنَّ وَلَا تَبْرُجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ لأن كلمة ﴿بَيْوَاتِكُنَّ﴾ هنا تشمل البيت الذي كان في زمن حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي تنتقل إليه الزوجة عادة بعد وفاة زوجها... فالزوجة إما ترجع إلى بيت أهلها أو تبقى في بيت زوجها والأخير لا يتم إلا عن أحد طريقين إما أنها تملكته في حياة زوجها أو أنها ورثته عنه والثاني غير ممكן بالنسبة لزوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند من يؤمن بحديث لا نورث أباً الأول فلم يثبت أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نحل البيوت لأزواجه، في حين أن فدكاً نحلت لفاطمة الزهراء كما جاء في تفسير آية ﴿وَأَتَ ذَا الْقَرْبَى حَقَهُ﴾ قالوا لَمَّا نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةِ دَعَا النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فاطمة وأعطها فدكاً ^٢.

إذاً كلمة (بيوتكن) لا دلالة فيها على ملكية زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لبيوته بل الآية الأولى واضحة في نسبة البيوت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي المقيدة للآية الثانية في حال حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). لقد طالبوا الصديقة الطاهرة بالبيبة ولم يطالبوا غيرها بذلك... ما السبب؟! ذلك ما ستكتشف عنه الأحداث كما سنفصل.

^١ تاريخ العقوبي ج ٢ ص ٢٢٥.

^٢ بتفسير الآية من سورة الإسراء في شواهد التنزيل ١ - ٣٣٨ - ٣٤١ بسبعة طرق، والدر المنشور ٤ / ١٧٧ و Mizan al-I'tidal ٢ / ٢ ط أولى و Kanz al-Ummal ٢ / ١٥٨ ط أولى ومنقحة، والكشف ٢ / ٤٤٦، وتاريخ ابن كثير ٣ / ٣٦.

فَدْكُ الرَّمْز

تعرفنا على الزهراء من خلال القرآن فكانت المثال الأعلى للإيمان والتقوى والورع والزهد والعصمة.. تجلت لنا أسمى معاني الإيثار في الزهراء ومع أهل البيت (ع).. يجودون بطعمتهم للمسكين واليتيم والأسير لقد مدحها الله مع أبيها وبعلها وبنتها فأذهب عنهم الرجس وطهراهم تطهيرًا ووصفهم بأنهم الموفون بالنذر الخائفون من يوم كان شره مستطيراً وهو تعالى القائل عن لسانهم ﴿إِنَّمَا نَطَعْكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلَا شَكُوراً﴾ ثم جعل سبحانه وتعالى مودتهم أجراً للرسالة والنبي الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يتحدث عن ابنته فتفيض كلماته لتعطي الزهراء (ع) حالة من القدسية يتوقف عندها كل القديسين والأولياء إجلالاً لعظمتها، فاطمة (ع) هذه الشامخة المدركة تماماً أنها ما خلقت إلا للأخرة.. إنها كانت من الصنف الذي لا يقيم لحطام الدنيا وزنا وهي التي أهدت حتى ثياب عرسها لسائلة مسكينة ليلة زفافها كما جاء في التاريخ^١ ... وهي من علمت أخي القارئ من خلال استعراض آيات الذكر الحكيم التي نزلت فيها إضافة إلى كلام أبيها وسيرتها العطرة... فاطمة الزهراء (ع) التي عرفتها هي أكبر من أن تطالب بقطعة أرض.

يا ترى لماذا كان إصرارها على المطالبة بحقوقها المادية المتمثلة في فدك وغيرها من الخمس والميراث؟! إنها لم تكن حريصة على امتلاك شيء ماله إلى الزوال في هذه الدنيا ومن المستحيل أن ندعى على الزهراء بأنها قلبت الدنيا على الخليفة الأول من أجل شيء يرتبط بالدنيا.. لا سيما أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أخبرها بقرب موتها وسرعة لحاقها به.

^١ روى ذلك الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٦ ط القاهرة.

لا بد من أن يكون هنالك شئ عظيم استهدفه الزهراء من مطالبتها بفده،
من مجمل الأحداث التي اطلعت عليها أثناء بحثي توصلت إلى مغزى مطالبة
فاطمة بفده ومن ثم اتخاذها ذلك الموقف من الخلفاء وغضبها ودفنها ليلاً وسراً.
بعيد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة حدث الاختلاف
حول الخلافة، البعض ينادي بخلافة علي (ع) وأهل البيت وآخرون يرون شرعية
ما جرى في السقيفة من تولية لأبي بكر.. إن الأحداث بعد وفاة الرسول (صلى
الله عليه وآله وسلم) أخذت بعدها آخر ولم تكن فدك فيها إلا حلقة من حلقات
الصراع بين أصحاب السقيفة وأهل البيت (ع) المعارضين لها بقيادة علي
وفاطمة (ع).. وكان بيت فاطمة هو ملتقى تلك المعارضة يقول ابن قتيبة في
تاريخه "إن أبا بكر رضي الله عنه تفقد قوماً تخلفوا عن بيته في دار علي"
وفاطمة "فأبوا أن يخرجوا فدعوا عمر بالخطب، يريده منهم أن يبايعوا بالإكراه
والقوة، وقال: والذي نفس عمر بيده. لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها. فقيل
له يا أبا حفص إن فيها فاطمة فقال: وإن.. فوافت فاطمة رضي الله عنها على
بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضرا منكم تركتم رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بيسنكم، لم
 تستأمرونا ولم تردوا لنا حقنا ".^١

لقد أطلقت فاطمة (ع) صوت المعارضة وحملت مشعل الحقيقة لتبين للجماهير التي اشتبه عليها الأمر وطالبت بفكه وأثبتت بذلك للتاريخ كله أن خلافة تقوم في أول خطوة لها بالاعتداء على أملاك رسول الله صلى ليست امتدادا له بقدر ما هي انقلاب عليه كما هو الشأن في كل الانقلابات التي تتم في العالم

١ تاريخ الخلفاء ج ١ ص ١٢

حيث تتم مصادرة أملأك السابقين وأي شخص يتجرد من العصبية المذهبية ويفهم أوليات السياسة يدرك مغزى مصادرة (فdk) وإخراج عمال فاطمة منها وبالقوة أو كما يعبر صاحب الصواعق المحرقة "انتزاع فدك من فاطمة". ولم تكن "فdk" قطعة الأرض، هي مقصد فاطمة (ع) بل الخلافة الإسلامية التي كانت حقاً لزوجها علي بن أبي طالب كما سنبين ويمكن تلخيص أسرار المطالبة بفdk في الآتي:

١ - إن فاطمة كغيرها من البشر تطالب بحقها سواء كان ذلك نحلة أو هبة من رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) أو ميراثاً أو حقوقاً شرعية كالخمس، ومن هذا الحق الطبيعي انطلقت الزهراء لتعري القوم وتكشف عن حقيقتهم، والحكمة كانت تقتضي أن تكون المبادرة من الزهراء (ع) بعد أن استولى الحاكم الجديد على جميع امتيازات الهاشميـن.. وكانت مطالبة علي بن أبي طالب وبقية الهاشميـن بحقوقهم صعبة في ظل تلك الظروف التي رفض فيها هؤلاء مبادعة الخليفة وإمساء ما جرى في السقيفة وأي محاولة منهم للتحرك كانت تعني إعطاء الطرف الآخر المبرر للتصفيـة التي كانت تلوح في الأفق من خلال كلمات جماعة السقيفة وهم يتشارون ويبحثون عن طريقة يجبرون بها الهاشميـن وعلى رأسهم علي (ع) على البيعة.

٢ - لقد رأت الزهراء في المطالبة بفdk فرصة طيبة لإـدـلاء برأيها حول الخلافة وكانت لا بد من أن تدلـي بـتصـريحاتها أمام الجماهـير فاختارت المسجد المكان المناسب حيث مـعقلـ الخـلافـةـ هـنـالـكـ وـحيـثـ كانـ أبوـهاـ يـلـقـيـ الحديثـ تـلوـ الحـديثـ عنـ فـضـلـهـاـ وـمـكـانـهـاـ عـنـ اللـهـ وـصـدـقـهـاـ وـزـهـدـهـاـ وـقـدـسـيـتهاـ،ـ ولـذـلـكـ عـرـفـتـ نـفـسـهـاـ فـيـ الـخـطـبـةـ قـائـلـةـ "ـوـاعـلـمـواـ أـنـيـ فـاطـمـةـ وـأـبـيـ مـحـمـدـ"ـ وـانـظـلـقـتـ فـيـ مـهـمـتـهـاـ الرـسـالـيـةـ لـتـظـهـرـ حـالـ وـمـآلـ الـخـلـافـةـ،ـ وـتـكـشـفـ الـحـقـائـقـ لـيـهـلـكـ مـنـ هـلـكـ عـنـ

بينة و يحيى من حي عن بينة.

٣ - كانت الخلافة المغتصبة هي محطة أنظار البتول الطاهرة (ع) فجاءت مطالبتها الحيثية بفك وغيرها من الحقوق وبعدها يفسح لها المجال لطلاب بالأمر الذي اختص به زوجها وهو ولادة أمر المسلمين.. وأصبحت فدك ترتبط بالخلافة بلا فاصل كما تحول محتواها وكثير معناها فلم ينحصر في قطعة الأرض المحدودة بل صار معناها الخلافة والبلاد الإسلامية كاملاً ..

وذلك ما وضحه حفيدها الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) حينما ألح عليه الرشيد العباسي فيأخذ فدك، قال له الإمام: ما آخذها إلا بحدودها، قال الرشيد: وما حدودها، قال (ع): الحد الأول عدن والحد الثاني سمرقند والحد الثالث إفريقية والحد الرابع سيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية فقال له الرشيد، فلم يبق لنا شيء فتحول من مجلسي - أي إنك طالبت بالرقة الإسلامية في العصر العباسي بكاملها - فقال الإمام: قد أعلمتك أنني إن حددتها لم تردها. فدك إذا هي التعبير الثاني عن الخلافة الإسلامية والزهراء (ع) جعلت فدك مقدمة للوصول إلى الخلافة.

ذكر ابن الحديدي في شرحه قال: سألت علي بن الفارقي مدرس مدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمه وقلة دعابته قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها، لجأت إليه غداً وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والمدافعة بشيء، لأنه يكون قد سجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدعى كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود^١.

^١ شرح النهج ج ١٦ ص ٢٨٤.

ومما يؤكّد دعوانا في أن الخلافة كانت في الهدف الأساسي ما جاء في الإمامة والسياسة من قول ابن قتيبة.. " وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) على دابة ليلا في مجالس الأنصار تسأّلهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله لقد مضت بيتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر، ما عدلنا به فقال علي كرم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) في بيته لم أدفعه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم " ^١ .

لقد كان لفاطمة (ع) موقف واضح من الخلافة حتى أن بيتها كان عند جماعة السقيفة هو مركز المعارضة حتى قال عمر في روايته لما جرى في السقيفة بعد أن ذكر أنها فتنه ولكن الله وقى شرها المسلمين يقول: وإن عليا والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيته فاطمة ^٢ .

تجمع الهاشميون في بيت فاطمة (ع) وأعلنوا معارضتهم لما جرى في السقيفة ومعهم بعض الأنصار الذين كانوا يهتفون: لا نبايع إلا عليا كما ينقل ابن الأثير ثم يقول " وتخلف علي وبنو هاشم والزبير وطلحة عن البيعة، وقال الزبير: لا أغمد سيفا حتى يبايع علي فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر " ^٣ .

وجاء في تاريخ اليعقوبي " أن البراء بن عازب جاء فضرب الباب علىبني هاشم وقال: يا عشربني هاشم بويغ أبو بكر فقال بعضهم: ما كان المسلمون

^١ الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢.

^٢ الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٥.

^٣ المصدر ج ٢ ص ٣٢٧.

يحدثون حدثاً نعيب عنه ونحن أولى بمحمد. فقال العباس: فعلوها ورب الكعبة^١.
وينقل أيضاً أنه قد " تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار
ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم العباس والفضل بن العباس والزبير والمقداد
وسلمان وعمار " وبلغ أبا بكر وعمر أن هذه الجماعة قد اجتمعت مع علي في
منزل الزهراء فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأتوا في جماعة
حتى هجموا على الدار^٢.

إذا لقد تابعت الزهراء أحداث المعارضة بكل تفاصيلها لأنها انطلقت من
بيتها، وكما هو معلوم تختلف أدوار المعارضة من شخص إلى آخر، واتكأت
فاطمة (ع) على شخصيتها الظاهرة المقدسة التي عرفهم بها القرآن والرسول
فأعلنت المعارضة كما هو واضح من النصوص التاريخية التي استعرضناها، وكانت
المطالبة بفداء، لكن القوم أبوا إلا أن يسدوا كل المنافذ التي كانت تفتح لإيصال
كلمة الحق للناس، ومع ذلك يظل موقف الزهراء نوراً به يستكشف الحق لمن
أراده حقيقة.

لقد كانت الفترة ما بين وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حين
وفاة ابنته فاطمة الزهراء (ع) منحنى خطيراً في تاريخ الأمة الإسلامية ترك
بصماته واضحة لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وكان لفاطمة (ع) الدور الرئيسي في هذه الفترة وفي مقابل ذلك لم يسكت
 أصحاب السقيفة مكتوفي الأيدي وهم يرون الزهراء (ع) تفعل ما تفعل فكان
لا بد لهم من محاولة إسكات هذه الصرخة فجرت الأحداث ساخنة كما
تذكرة كتب التاريخ والسير.

^١ تاريخ العقوبي ج ٢ ص ١٢٤.

^٢ تاريخ العقوبي ج ٢ ص ١٢٥ - ١٢٦.

الخلفاء واقتحام الدار

بلغ الصراع أعلى قمة له بين أصحاب السقيفة والهاشمين ومن نادى بخلافة علي (ع) حينما تحصنوا بدار فاطمة (ع) وأعلنوا رفض الخلافة وكان لا بد للسلطة آنذاك أن تتخذ خطوات عملية أكثر تطورا حتى لا تتفاقم الأمور وتسير على غير ما يشتهون خصوصا وأن الطرف المقابل المعارض وعلى رأسه علي وفاطمة (ع) له من القدسية ما يلهب في الآخرين الحماس والتحرك لمواجهة الحكومة. وفي مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث مقر الحكم بدأت المشاورات والتخطيط لإجبار المعارضين على البيعة وكما هو معلوم فإن بيت فاطمة يفتح مباشرة على المسجد ولا باب لهم إلا هذا كما سيأتي في حديث سد الأبواب إلا باب علي (ع).

لقد كانت فكرة أصحاب السقيفة تتلخص في ضرورة إجبار هؤلاء على البيعة حتى لو اضطربوا ذلك لقتالهم وقتلهم.

جاء في كتاب الإمامة والسياسة .. فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المخالف عنك "يعني علي (ع)" بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له: إذهب فادع لي عليا، قال فذهب إلى علي فقال له ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي لسرع ما كذبتم على رسول الله فرجع فأبلغ الرسالة قال: فبكى أبو بكر طويلا فقال عمر: لا تمهل هذا المخالف عنك بالبيعة...^١.

لقد كان الاصرار قويا من عمر وهو يلفت نظر أبي بكر إلى تخلف

^١ تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج ١ ص ١٣.

علي (ع) عن البيعة حتى أنهم هددوه بالقتل يقول ابن قتيبة " فقالوا له: بایع، فقال: إن لم أفعل فمه قالوا: إذا والله الذي لا إله هو نصرت عنك! "^١.

لقد استفحل الأمر بين الجهتين حتى أنه وكما ينقل لنا اليعقوبي لو وافى علينا أربعون من المخلصين لكان لأمر الخلافة حديث آخر ولكن لم يوجد على من يعينه، يقول اليعقوبي " وكان خالد بن سعيد غائباً فقدم فأتى علياً فقال هل من أبى ياعك، فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة له، فقال لهم: أغدوا علىي غداً محلقين الرؤوس فلم يغدو عليه إلا ثلاثة نفر "^٢.

ولم تبق وسيلة أمام السلطة إلا اقتحام الدار وإجبار من فيها حتى ولو كانت هذا الدار هي تلك الدار المقدسة التي يقطنها أهل البيت (ع) ولم يشفع أهل الدار دون أن تحرق وتنتهك حرمتها، وهذا ما جرى عندما تفقد أبو بكر قوماً تخلعوا عن بيته عند علي كرم الله وجهه "بعث إليهم عمر، فجاء فنادهم وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده: لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها فقيل له يا أبو حفص: إن فيها فاطمة؟ قال: وإن "^٣.

لقد حاولوا أن يلفتوا انتباه الخليفة الثاني الذي كان شديداً في الأخذ لبيعة أبي بكر ولكنه كان في كامل وعيه وهو ينوي الاحراق وإشعال النار في بيت بنت المصطفى، لقد نظم الشاعر حافظ إبراهيم الحادثة قائلاً:

^١ نفس المصدر ص .١٣.

^٢ تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٦.

^٣ الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢.

وقولة لعلي قالها عمر

أحرقت دارك لا أبقي عليك بها

من كان غير أبي حفص يفوه بها

لقد استقبلتهم الزهراء (ع) من وراء الباب صارخة إلى أين يا بن الخطاب؟

أجئت لترحق دارنا؟ قال: نعم ^١.

لم يكن أمام القوم إلا الخلافة، فاقتحموا تلك الدار وأدخلوا فيها الرجال.
يقول العقوبي "وبلغ أبو بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد
اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة
حتى هجموا على الدار" ^٢.

لا أدري كيف طاوعتهم أنفسهم لهتك ستر هذه الدار التي كان الرسول
يقبض حلقتها عند كل صلاة صائحاً "الصلوة يا أهل البيت، إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً" ^٣. من أين أتتهم الجرأة
لكشف ذلك البيت الذي كان يخرج رسول الله في أسفاره منه ثم يكون أول
محطة له عند عودته. هذا البيت الذي كان يقدسه الرسول (صلى الله عليه وآله
وسلم) ويأمر الناس بتقديسه.. ولكنها الخلافة.. الرئاسة... الملك.

لقد أغلق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل الأبواب التي كانت
تفتح على مسجده إلا باب هذا البيت.. فكيف يكون هو نفسه هدف الهجوم
من الرجال.. لقد جرى كل شئ على مرأى ومسمع الخليفة أبي بكر إذ أن

^١ تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٦٤.

^٢ تاريخ العقوبي ج ٢ ص ١٢٦.

^٣ المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٥٨، مسنون أحمد بن حنبل تفسير الطبرى، شواهد التزيل وغيرها من المصادر.

المنبر ليس بعيد عن موقع الأحداث التي جرت في بيت فاطمة (ع) بل إن أبا بكر يعترف بأن الدار قد تم اقتحامها بأمره ويعتبرها إحدى أفعاله التي تمنى لو أنه لم يقم بها، يقول في مرض موتة: "إني لا آسى على شئ من الدنيا إلا على ثلات فعلتهن وددت أنني تركتهن وثلاث تركتهن وددت أنني فعلتهن وثلاث وددت أنني سألت عنهن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم)، فأما الثلاث الالاتي وددت أنني تركتهن فوددت أنني لم أكشف بيت فاطمة عن شئ وإن كانوا قد غلقوه على حرب^١.

في العقوبي: "... وليتني لم أفتـش بـيت فـاطـمـة بـنـت رـسـول اللـه وأـدـخـلـه الرـجـال وـلو كـان أـغـلـقـ عـلـى حـرب^٢.

في هذين النصين يبرز واضحـا اعـتـرـافـ الخليـفة الأولـ بـأن دـارـ فـاطـمـة قد اـقـتـحـمـتـ بـأـمـرـهـ وـلـعـلـ كـلـمـتـيـ "ـأـكـشـفـ"ـ وـأـفـتـشـ"ـ دـلـالـتـهـمـاـ بـيـنـةـ خـصـوـصـاـ وـأـنـ الدـارـ المـقـصـودـةـ مـعـقـلـ الـمـعـارـضـةـ،ـ وـمـلـتـقـيـ الـهـاشـمـيـنـ فـالـكـشـفـ وـالـتـفـتـيـشـ أـقـرـبـ الـمعـانـيـ الـمـعـبـرـةـ عـنـ مـرـادـ السـلـطـةـ آـنـذـاـكـ وـالـكـشـفـ مـعـناـهـ كـمـاـ فـيـ لـسـانـ الـعـرـبـ لـابـنـ مـنـظـورـ رـفـعـكـ الشـئـ عـمـاـ يـوـارـيـهـ وـيـغـطـيـهـ وـبـالـتـأـكـيدـ عـلـىـ حـسـبـ كـلـامـ أـبـيـ بـكـرـ لـمـ يـكـنـ ذـلـكـ بـرـضـاهـمـ وـإـلـاـ لـتـغـيرـ التـعـبـيرـ لـأـنـ رـفـعـ الشـئـ عـمـاـ يـوـارـيـهـ وـإـظـهـارـهـ يـكـونـ مـنـ جـانـبـ الـكـاـشـفـ،ـ وـالـمـكـشـوـفـ هـنـاـ بـيـتـ الـعـصـمـةـ وـالـطـهـارـةـ بـيـتـ فـاطـمـةـ الـتـيـ قـالـتـ لـأـبـيـ بـكـرـ وـعـمـرـ عـنـدـمـاـ التـقـيـاـ بـهـاـ "ـأـرـأـيـكـمـ إـنـ حـدـثـتـكـمـ حـدـيـثـاـ عـنـ رـسـولـ اللـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ تـعـرـفـانـهـ وـتـعـمـلـانـ بـهـ؟ـ قـالـاـ نـعـمـ فـقـالـتـ نـشـدـتـكـمـ اللـهـ أـلـمـ تـسـمـعـ رـسـولـ اللـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ يـقـولـ رـضـاـ فـاطـمـةـ مـنـ

^١ تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦١٩.

^٢ تاريخ العقوبي ج ٢ ص ١١٥.

رضي وسخط فاطمة من سخطي فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضي فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني، قالا نعم، سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قالت فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسطعتماني وما أرضيـتـيـنـيـ ولئن لقيتـ النـبـيـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) لأشـكـونـكـمـ إـلـيـهـ فـبـكـيـ أـبـوـ بـكـرـ. حتىـ كـادـتـ نـفـسـهـ تـزـهـقـ وـهـيـ تـقـولـ: "ـ وـالـلـهـ لـأـدـعـونـ اللـهـ عـلـيـكـ فـيـ كـلـ صـلـاـةـ أـصـلـيـهـاـ" ^١.

شـئـ عـظـيمـ هـذـاـ الـذـيـ فـعـلـوـهـ مـعـ الزـهـراءـ حـتـىـ أـصـبـحـتـ تـدـعـوـ عـلـىـ الـخـلـيـفـةـ الـأـوـلـ فـيـ كـلـ صـلـاـةـ لـقـدـ تـفـنـتـواـ فـيـ إـرـعـابـ قـلـبـ بـنـتـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)، عـنـدـمـاـ جـاءـ عـمـرـ وـالـرـجـالـ لـإـحـرـاقـ الدـارـ وـجـمـعـواـ الـحـطـبـ كـانـتـ أـوـلـ مـنـ تـلـقـتـهـمـ خـلـفـ الـبـابـ وـصـرـخـتـ وـنـادـتـ بـأـعـلـىـ صـوـتـهـاـ: يـاـ أـبـتـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ مـاـذـاـ لـقـيـنـاـ بـعـدـكـ مـنـ اـبـنـ الـخـطـابـ وـابـنـ أـبـيـ قـحـافـةـ" ^٢.

وـمـعـ ذـلـكـ اـقـتـحـمـوـاـ الدـارـ وـخـلـفـ الـبـابـ فـاطـمـةـ، وـذـلـكـ مـاـ أـقـرـ بـهـ أـبـوـ بـكـرـ فـيـ قـوـلـهـ "ـ وـلـيـتـنـيـ لـمـ أـفـتـشـ بـيـتـ فـاطـمـةـ وـأـدـخـلـهـ الرـجـالـ"ـ وـلـاـ يـنـفعـ النـدـمـ لـأـنـ فـاطـمـةـ (عـ)ـ حـيـنـمـاـ قـالـ أـبـوـ بـكـرـ هـذـاـ كـانـتـ قـدـ وـصـلـتـ إـلـىـ أـبـيـهاـ وـشـكـتـ إـلـيـهـ لـأـنـهـ مـاتـ وـهـيـ وـاجـدـةـ عـلـيـهـ كـمـاـ مـرـ.

لـقـدـ ظـلـلـ عـلـىـ الـأـجـوـاءـ التـوـرـ وـرـائـحةـ الدـمـ تـمـلـأـ الـمـدـيـنـةـ وـشـبـحـ التـصـنـفـيـةـ يـطـارـدـ أـهـلـ الـبـيـتـ (عـ)ـ وـفـاطـمـةـ رـمـزـ الـمـعـارـضـةـ لـاـ يـبـعـدـ أـنـ يـصـيـبـهـاـ وـابـلـ مـنـ غـضـبـ أـصـحـابـ السـقـيـفـةـ، وـهـذـاـ مـاـ جـرـىـ لـلـأـسـفـ الشـدـيدـ فـهـمـ اـقـتـحـمـوـاـ الدـارـ وـفـيـهـ فـاطـمـةـ، وـأـحـرـقـوـاـ الـبـابـ وـخـلـفـهـ فـاطـمـةـ. وـأـنـاـ أـتـابـعـ هـذـهـ الـأـحـدـاثـ أـثـنـاءـ بـحـثـيـ لـمـ

^١ الإمامـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ جـ ١ـ صـ ١٣ـ - ١٤ـ.

^٢ المـصـدـرـ السـابـقـ.

يهمني إلا فاطمة.. ولضباية الرؤية التي كانت في كتب القوم صرت أبحث
بتلهف هنا وهناك وأتصيد المعلومات لأن الذين كتبوا التاريخ لا بد لهم من أن
يحفظوا ماء وجه المقدسين لديهم فلا يبرزوا إلا بعض الحقائق عنهم.
وكان يهمني مصير فاطمة، لأنها عندي كانت تعني مصير الرسالة،
ووجدت الطامة الكبرى، واكتملت لدى الصورة عندما رجعت إلى أحفادها ”
أهل البيت (ع)“ وعرفت ما جرى ولكن قبل أن أصل إلى هذه الحقيقة لفت
انتباхи أن جمهرة من العلماء ذكرت اسم المحسن كأحد أبناء الإمام علي من
فاطمة لكن بعضهم اكتفى بذكره دون إشارة إلى موته والبعض الآخر قال أنه
مات صغيراً أو حين ولادته وثالث قال أنه ولد سقطاً في زمن النبي (صلى الله
عليه وآله وسلم)، وتساءلت عن سبب هذه الضباية والتعتيم على زمان وكيفية
وفاة المحسن بعد أن ثبت كونه من جملة أولاد علي من فاطمة الزهراء (ع)،
وتبيّن لي مع الأسف أن كل ذلك - من هؤلاء المؤرخين - كان محاولة منهم
للجمع بين حقيقة كونه من جملة أولاد الزهراء من جهة وصرف مسألة العنف
الذي بسببه أسقطت الزهراء محسناً، فكانت الضباية، ولكن تواتر الأحداث
مضافاً إليها الروايات القائلة بإسقاط الزهراء أثناء الهجوم يؤكّد حقيقة واحدة
وهي أن فاطمة كانت تحمل في بطنها جنيناً سماه النبي محسناً وهو في بطن
أمها.. هذا الجنين لم ير النور قط، وإليك الأحاديث التي جمعناها في هذا الصدد:
* قال الطبرى وابن الأثير ... وقد ذكر أنه كان له (الإمام علي) منها
فاطمة ابن آخر يقال له محسن وأنه توفي صغيراً ^١.

* قال يونس: سمعت ابن إسحاق يقول: ”ولدت فاطمة لعلي حسناً

^١ الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٩٧، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ج ٥ ص ١٥٣.

وحسينا ومحسنا، فذهب محسن صغيراً".

وقال ابن إسحاق، فولدت فاطمة لعلي حسناً وحسيناً ومحسناً مات صغيراً^١.

* قال ابن حزم الأندلسي: تزوج فاطمة علي بن أبي طالب فولدت له الحسن والحسين، والمحسن مات المحسن صغيراً^٢.

* جاء في تاج العروس ولسان العرب: شبر وشبير ومشير هم أولاد هارون وبها سمى علي (رض) أولاده يعني حسناً وحسيناً ومحسناً^٣.

وهناك روايات تتحدث عن إسقاط المحسن قال المسعودي "وضغطوا سيدة النساء بالباب حتى أسقطت محسناً"^٤.

ولد ثالث للزهراء اسمه محسن، كما يذكر صاحب "ذخائر العقبى في مودة القربي" ويقول عنه أنه مات صغيراً .. واسم محسن جديد على مسامعي لم أسمع به وما ورد في الحسن والحسين غير قليل فلماذا لم يرد شئ تفصيلي عن الابن الثالث لفاطمة الزهراء (ع)؟!

بعد التنقيب والبحث اكتشفت لماذا يذكر المحسن كثيراً.. إذ أن ذكره يستتبع أموراً تهدى الجبال هدا.. وإليك شذرات مما وجدته وبعدها نحاولربط الأحداث ببعضها لتعرف على سر المحسن بن علي ثم ندرج على أهل البيت (ع)

لنرسم الصورة كاملة:

^١ دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ١٦١.

^٢ جمهرة أنساب العرب ص ١٦ - ٣٧.

وذكر مثل ذلك كثير من الأعلام أمثال المحب الطبرى في ذخائر العقبى وابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ ص ٣٠٨ والعسقلانى في الإصابة ج ٤ ص ٤٧١ واليعقوبى في تاريخه.

^٣ تاج العروس ج ٣ ص ٣٨٩، ولسان العرب ج ٤ ص ٣٩٣.

^٤ إثبات الوصية ص ١٤٣.

جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني: قال إبراهيم بن سيار بن هاني النظام إن عمر ضرب بطن فاطمة حتى أقتلت الجنين من بطنها وكان يصيح: احرقوا دارها بمن فيها^١.

وقال ابن حجر العسقلاني في ترجمة أحمد بن محمد بن السري بن يحيى أبي دارم المحدث أبو بكر الكوفي، قال محمد بن أحمد بن حماد الكوفي الحافظ بعد أن أرخ موته: كان مستقيماً الأمر عامة دهره ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثاب حضرته ورجل يقرأ عليه "أن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن"^٢.

إذا لقد أسقطت فاطمة عليها السلام الابن الثالث محسن وذلك يعني أنه قتل ولم يمت..

في الواقع إن الأحداث الساخنة التي كانت آنذاك كان لا بد من أن يتخللها مثل هذه المصائب الفظيعة التي لم يذكرها المؤرخون السنة صراحة والسبب معلوم كما ذكرنا ولكن شاع الحق يرفض إلا أن يتسلل من بين ثنياً ذكر ما جرى أو بالأحرى ذكر ما يحبون ذكره مما جرى.

لقد ذكروا كما رأينا أن عمر كان يصر على أبي بكر أن يأخذ المتخلفين عن البيعة بالقوة ثم إنه هو الذي أخذ الرجال إلى باب دار فاطمة ومعه الحطب لحرق الدار إنهم رفضوا الخروج وعند وصولهم إلى باب الدار كان أول ما

^١ الملل والنحل ج ١ ص ٥٧ إبراهيم بن سيار أحد أقطاب المعترضة.

^٢ لسان الميزان ج ١ ص ٢٦٨

وأورده أيضاً صلاح الصفدي في (الوافي بالوفيات) ج ٦ ص ٧ وقال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان وينقل عن محمد بن أحمد بن حماد الكوفي بعد أن أرخ موته (كان مستقيماً الأمر عامة دهره ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثاب الخ كما نقلنا).

تلقتهم فاطمة (ع) خلف الباب كما ذكرت آنفا وللتاكيد أورد لك هذين النصين وعليك عزيزي القارئ أن تنتقل بروحك وعقلك إلى تلك الفترة التاريخية لتصور ما يمكن أن يجري، قال أحمد بن يحيى البلاذري: إن أبو بكر أرسل إلى علي يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة فاتحة على الباب فقالت: يا ابن الخطاب أترأك محرقا على بابي؟ قال: نعم ^١.

وعن نفس الحادثة ينقل ابن عبد ربه الأندلسبي:

بعث إليهم - يعني المتخلفين عن البيعة - أبو بكر عمر ليخرجوا من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب: أجيئت لحرق دارنا؟ قال: نعم ^٢.

لقد تصدت فاطمة (ع) لعمر من خلف الباب لعل قلوب الرجال تخشع عندما تسمع صوت امرأة قال عنها الرسول أنها سيدة نساء العالمين وربما لتكون عليهم الحجة أبلغ لقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "من آذى فاطمة فقد آذاني" ولذلك صرخت كما ينقل ابن قتيبة: يا أبتي يا رسول الله ماذا لقينا بعدك.

ومع ذلك اقتحموا الدار بشهادة أبي بكر في تأسفه على الثلاثة اللاتي ود أنه لم يفعلهن.. وقال "... وأدخله الرجال" كما، مر، قال العقوبي "فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار" ولو لم يتم الهجوم ما كان هنالك داع لتأسف أبي بكر الذي جاء متأخرا.

لقد اقتحموا وإن شئت فقل هجموا على دار البتول الزهراء (ع) وكانت

^١ أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٨٦

^٢ العقد الفريد ج ٥ ص ١٣

أول من تلقاهم خلف الباب، والهجوم والاقتحام عادة يكون بلا استئذان ولا رحمة ومما لا شك أن كل شئ يعترض تلك الهجمة الشرسة لا بد أن يتحطم ويبعد عن الطريق.. ولكن بكل أسى ولوعدة كان ذلك الشئ بضعة الرسول ووصيته فاطمة (ع) فضربت حتى أسقط جنينها، هذه هي الحقيقة التي حاول القوم إخفاءها فتسلى من بين مجريات الأحداث وظهرت على صفحة التاريخ نقطة سوداء في جبين الأمة.. كان هذا القدر كاف لكي أجمع باقي خيوط القضية كاملة منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) إلى حين موت الزهراء (ع)، أو استشهادها.. نعم لقد انتقلت إلى جوار ربيها مظلومة مقهورة بسبب ما جرى لها من ضرب ورفس أدى إلى إسقاط جنينها المحسن ومن ثم مرضت إلى أن لحقت بأبيها تشكو له ما جرى عليها.

بعد ذلك توجهت إلى أحفادها لكي استمع منهم تفاصيل ما جرى وهم أدري بما جرى لجدهم الزهراء (ع) وهناك تجلت لي الحقائق.. ولكن كانت تكمن عقدتي في أن ذلك يجعلني الجأ إلى الروايات عن أهل البيت (ع) عن طريق الشيعة. فسألت نفسي.. ولماذا لا آخذ بقولهم لقد عرفت من كتب السنة أن فاطمة غضبت على الخليفتين حتى ماتت ولم تؤذن لأبي بكر أن يصلى عليها ثم إنها طالبت بالخلافة لعلي (ع)، وكان بيتها مركز المعارضة.. كما علمت أن بيتها كان مستهدفا من السلطة التي قررت إجبار من في البيت على البيعة وإن أبوا فالقتل والإحراق ونفذوا ما خططوه وهجموا على الدار وكان خلف الباب الزهراء تذكرهم برسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ووصايه ومع ذلك اقتحموا الدار وفاطمة تصرخ ورأيت بين طيات نفس الكتب أن هنالك من يقول بأن فاطمة ضربت وأسقط جنينها كما مر ومهما يكن صنف القول فمسلسل الأحداث يرجح وقوع ما جرى. لكل ذلك لم أجد أن عقلي يمانع في الأخذ

بقول الأئمة من أهل البيت (ع) حول ما جرى من أحداث أدت إلى وفاة فاطمة (ع)
فكتب السنة ليست أولى بالأخذ منها بكتب الشيعة لأن هذا أول الكلام الذي
يحتاج إلى دليل لسنا في صدده الآن.

وسأنقل لك عزيزي القارئ تمام الأحداث كما ترأت لي عند أهل
البيت (ع)، لقد تحدث أحفاد الزهراء وبينوا مفصلاً ما جرى بعد أحداث
السقيفة.. روایاتهم تقطّر ألمًا وحسرة على هذه الأمة التي لم تحفظ رسول الله
في أهلها.. أغضبت الزهراء وأسقطت ابنها المحسن وقتلت زوجها غدراً وابنها
الأكبر المجتبى الحسن سما وابنها الحسين ذبحاً.

يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق حفيد الزهراء سليل النبوة " ولا يوم
كيوم محتتنا بكرباء، وإن كان يوم السقيفة وإحراق النار على باب أمير
المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة وزينب وأم كلثوم وفضة، وقتل محسن
بالرفسة أعظم وأدھى وأمر ".

إنني لن أستعرض كل ما ذكره أئمة أهل البيت (ع) حول الأحداث التي
جرت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن ذلك يحتاج منا إلى
مجلدات، لقد أكثر أهل البيت في بيان ذلك حتى تعرف الأمة على أصل
المأساة التي سببت الفرقة والشتات.. وسأأخذ بعضًا من هذه الروايات لتكتمل
الصورة أمام القارئ العزيز.

لقد جرت أحداث السقيفة وتنصيب الخليفة أبي بكر وأهل البيت
مشغولون بمصابهم في وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالذات الإمام
علي (ع) الذي أوصاه الرسول ألا يلي غسله غيره.

انتهى أمر الخلافة التي لم يشارك في مشاوراتها علي بن أبي طالب فكان
موقفه الذي علمته وسيأتيك مزيد من التفصيل عنه، فلقد رفض البيعة وبدأ يذكر

الناس بالعقود والمواثيق، يقول سلمان الفارسي " فلما أن كان الليل حمل علي (ع) فاطمة على حمار وأخذ بيدي ابنيه الحسن والحسين فلم يدع أحدا من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار إلا أتاه في منزله فذكرهم حقه ودعاهم إلى نصرته فما استجاب له منهم إلا أربعة وأربعون رجلا، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلقين رؤوسهم معهم سلاحهم ليعاودوا على الموت فأصبحوا فلم يواف منهم أحد إلا أربعة: أنا وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام، فعل ذلك مرتين وعندما رأى غدرهم وقلة وفائهم له لزم بيته وأقبل على القرآن يجمعه " ^١. ورفض أن يباع.

أرسلوا إليه ليابع وبذلت من هنا المواجهة الساخنة بعد أن أمر عمر بجمع الحطب أمام بيت فاطمة مهددا بالإحراء إن لم يباع علي، جاؤوا ليجرروا أهل البيت على البيعة، وقفـت فاطمة خلف الباب لعل القوم يراعوا حرمتها وحريمها فلم ينفع فيهم ذلك قال الإمام الكاظم (ع) وهو موسى بن جعفر الصادق - وهو يصف ما جرى - لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) الوفاة دعا الأنصار وقال يا معشر الأنصار لقد حان الفراق إلى أن قال: إلا إن فاطمة بابها بايـي وبيتها بيـي فمن هـتكـه فقد هـتكـ حجابـ الله". قال الراوي فبكـى الإمام الكاظم " أبو الحسن (ع) طويلاً وقطع بقية كلامـه وقال: هـتكـ - والله - حجابـ الله هـتكـ والله حجابـ الله، هـتكـ والله حجابـ الله " ^٢.

كما جاء عن الإمام الباقر (ع) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو يتحدث عن الزهراء: وحملـت بالحسنـ فـلما رـزـقـتهـ حـمـلـتـ بـعـدـ أـرـبعـينـ يومـ بالـحسـينـ ثـمـ رـزـقـتـ زـينـبـ وـأـمـ كـلـثـومـ وـحـمـلـتـ بـمـحـسـنـ فـلـماـ قـبـضـ رـسـولـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) وـجـرـىـ ماـ جـرـىـ يـوـمـ دـخـولـ الـقـوـمـ عـلـيـهـ دـارـهـاـ. أـسـقـطـتـ

^١ كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ٣٦.

^٢ بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

ولدا تماماً - وهو محسن - وكان ذلك أصل مرضها ووفاتها صلوات الله عليها.
وورد عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: لما أسرى بالنبي (صلى الله عليه وآلـهـ وـسـلـمـ) قيل له: إن الله يخترك في ثلات وصار يعددها إلى أن قال:

وأما ابنتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقها غصباً الذي تجعله لها وتضرب وهي حامل ويدخل عليها وعلى حريمها ومنزلها بغير إذن ثم يمسها هوان ولا تجد،
مانعاً وطرح ما في بطنها من الضرب وتموت من ذلك الضرب .

ويقول الإمام الصادق (ع) واصفاً بعض ما جرى: وضرب سلمان الفارسي، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين فاطمة والحسن والحسين
لإحراقهم بها وضرب فاطمة ورفس بطنها وإسقاط محسنها .

وقوله (ع) وهو يصف ما جرى لأهل البيت في رواية طويلة أخرى يتحدث فيها عما فعله القوم.. ” .. وجمعهم الجزل والحطب على الباب لإحراق بيت أمير المؤمنين فاطمة والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وإضرامهم النار على الباب وخروج فاطمة إليهم وخطابها لهم من وراء الباب: ويحكم ما هذه الجرأة على الله ورسوله ” ، قال عمر: ما علي إلا كأحد المسلمين فاختاري إن شئت خروجه لبيعة أبي بكر أو إحراقكم جميعاً ” . وهجومهم على الدار وركل عمر للباب برجله حتى أصاب بطنها وهي حامل لستة أشهر وإسقاطه إياه وصياغ أمير المؤمنين لفظة: يا فضة مولاتك فاقبلي منها ما يقبله النساء، فقد جاء المخاض من الرفقة ورد الباب فأسقطت محسناً، وقال (ع): فإنه لاحق بجده رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ وـسـلـمـ) فيشكوا له ” ^١ .

^١ بحار الأنوار ” موسوعة أحاديث لأهل البيت (ع) ج ٥٣ ص ١٨ - ١٩ . وأغلب الأحاديث التي أوردناها في هذا المجال من المصادر الحديثية لأهل البيت وكتاب مأساة الزهراء شبهات وردود للسيد جعفر مرتضى العاملي.

استشهاد الزهراء (ع)

ما أقسى لحظات فراق الأحبة، خصوصاً إذا كان للعلاقة جذور تضرب في عمق القيم والمثل وتسقى بالوحى.. علاقة لا كسائر العلاقات.. علاقة بين نبي عظيم وابنة صديقة ظاهرة من لحمه ودمه، ابنة ذابت في حب أبيها وليس لها للأبوبة فقط إنه حب من نوع آخر لا ندرك كنهه أنا وأنت.. لماذا؟ لأنها متبادلة بين أب اختاره الله باعتباره أعظم وأشرف خلق الله وهو المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وابنة طهرها الله وعصمتها إذا هو حب منشئه حب الله وطاعة الله.. لقد انفصمت عرى هذه العلاقة بانتقال الأب والمربي إلى الرفيق الأعلى، وترك الرسالة الإلهية من خلفه وقد أناط استمرارها تلك بالطرف الباقي الآخر، الابنة الزكية التي تدخلت الإرادة الإلهية مباشرة حتى في زواجها فكان الزوج علياً بن أبي طالب أفضل من يحفظ الرسالة في شخص فاطمة (ع) وغيرها. لكن القوم ما فهموا معنى الرسالة والرسول، وما وعوا معنى النبوة والوحى بل لم يقدروا الله حق قدره فاعتربوا على حكمه وتجاوزوا قوله.. ومن ثم اعتدوا على مقام النبوة، وأبوا إلا يجرعونا وكل المحبين لله ولرسوله الغصة تلو الأخرى، وتأبى الدمعة إلا أن تتسلل مصحوبة بألم هائل، إنها الزهراء وما أدرك ما الزهراء!! من يوم ما تعرفت على مأساتها وأناأشعر بمسحة كآبة تمر بوجداني وحزن عميق يلفني عند ذكر اسمها فالقوم لم يراعوا فجيعتها بأبيها فاغتصبوا حقها وقبل ذلك ارتقوا مر كبا صعباً هم ليسوا أهلاً له ثم أرادوا إتمام ذلك ولو بالقوة فكان ما كان.

بقيت الزهراء حزينة منكسرة في بيتها تبكي وتشكو همها إلى الله عز وجل وتنتظر يومها الموعود فقد أخبرها المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنها أول

أهل بيته لحوقا به كما مر... فضلت تبكي وتبكي إلى أن جاء "شيخ" أهل المدينة يظهرون لعلي انزعاجهم وتؤديهم من بكاء فاطمة ويطالبونه بأمرها بالكف عن ذلك أو تخيرها بين البكاء ليلا فقط أو نهارا فقط، فبني لها أمير المؤمنين علي (ع) بيتا خارج المدينة سمي "بيت الأحزان". هناك واصلت مأساتها.

ويوما في يوم راحت تذبل تلك الزهرة اليانعة. وأخذ المرض منها مأخذها. يقول الإمام الصادق (ع)... (فأسقطت محسناً ومرضت من ذلك مرضًا شديداً وكان ذلك هو السبب في وفاتها).. كيف لا يكون كذلك وهي ابنة ثمانية عشر عاما.. لقد اكتملت عليها المصائب بضربيها واقتحام دارها فكانت البداية والنهاية... وصارت طريحة الفراش تنتظر أجلها الذي اقترب منها سريعا وبجانبها علي (ع)، يقول الإمام زين العابدين (ع) عن أبيه الحسين (ع) قال: لما مرضت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) أوصت علي بن أبي طالب (ع) أن يكتم أمرها ويخفى خبرها ولا يؤذن أحداً بمرضها، وكان يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس على استمرار بذلك.

لقد يئست الزهراء من أهل المدينة الذين طلبوا نصرتهم فلم ينصروها لقد سئمتهم وزهدت في مروءتهم فبلغ بها الأمر إلا تريد رؤيتها في مرضها الأخير.. يكفيها علي (ع) ليقف بجانبها وهي على هذه الحالة.

في اليوم الأخير قبيل رحيلها نامت الزهراء (ع) في ساعة من ساعات ذلك اليوم فإذا بها ترى أباها رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) في المنام في قصر من الدر الأبيض فلما رأها (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال: هلمي إلي بنية فإني إليك مشتاق!! فقالت: والله إني لأشد شوقاً إليك فقال لها: أنت الليلة عندي.

انتبهت من غفوتها وبدأت الاستعداد للحوق بأبيها.. إن هي إلا ساعات تقضيها في هذه الدنيا الفانية ويتتحقق قول الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) لها

قبيل انتقاله... وأكده لها بعد انتقاله إنها النبوة ومن ذلك كان يقين فاطمة بقرب
النهاية.. بينما الفرح يغمرها لارتحالها إلى العالم الأبدى حيث الرضوان
الأكبر وجنة عرضها السماوات والأرض يعتصرها ألم من ناحية أخرى. سوف
ترى الزهراء (ع) الزواج العطوف وحيداً بعدها، وفراخاً لم تنبت أجنحتهم بعد
وزهوراً لم تتفتح. إنهم أفلاد كيدها... ستغادرهم وتركتهم لهذه الحياة التي تحمل
الكثير الكثير من المأساة خصوصاً لهؤلاء، إنهم آل رسول الله (صلى الله عليه
وآلـهـ وـسـلـمـ) أكثر الناس بلاءً وأعظمهم امتحاناً.. وإن بعض شذوذ الآفاق ونبذة
الكتاب يتربصون بهم.. ستودعهم وهي تنظر إلى ذلك المستقبل غير المجهول لأبنائهما
وزوجها.. إنها تنظر بعين أبيها الباصرة بإذن الله إلى الغيب حيث يضرب على
بالسيف غيلة وهو في محرابه ويقتل الحسن سما والحسين تمزيقاً بسيوف بدأ سلتها
في وجه أهل البيت (ع) منذ وفاة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآلـهـ وـسـلـمـ).

كل ذلك يدور في خلد الزهراء وهي تمشي نحو الماء متكةً على الحائط
من شدة الضعف لتعسل أطفالها وثيابهم آخر غسلة وهي ترتعش وكأنها
تودعهم.. لا أدرى عميق شعورها آنذاك، إن من جملة أسمائها (الحانية) لأنها
كانت القمة في الحنان والعطف على أبنائهما.

دخل الإمام علي (ع) البيت ووجدها على رغم علتها تمارس أعمالها
وتخدم في البيت. رق لها قلب الإمام وهي بهذه الحالة فأخبرته بأنه آخر أيامها
وأخبرته بما رأته وسمعته من النبي (صلى الله عليه وآلـهـ وـسـلـمـ) أثناء نومها
وعادت إلى فراشك ثم قالت له: يا ابن عم!! إنه قد نعيت إلى نفسي وإنني لا
أدرى ما بي إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة وأنا أوصيك بأشياء في قلبي... قال
لها علي (ع): أوصني بما أحببت يا بنت رسول الله فجلس عند رأسها وأخرج
من كان في البيت، قالت: يا ابن عم! ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ

عاشرتني.. فقال علي (ع) معاذ الله! أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفا من الله من أن أوبخك بمخالفتي وقد عز علي مفارقتك وفقدك إلا أنه أمر لا بد منه، والله لقد جددت علي مصيبة رسول الله وقد عظمت وفاتك وفقدك فإن الله وإن إلية راجعون وبكيا جميرا ساعة، وأخذ الإمام رأسها وضمها إلى

صدره ثم قال:

أوصني بما شئت، فإنك تجديني وفياً أمضي لما أمرتني به وأختار أمرك على أمري.
قالت: جزاك الله عن خير الجزاء.. يا ابن عم، أوصيك أولاً: أن تتزوج بابنة أخي أمامة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لا بد لهم من النساء ثم قالت، وأوصيك إذا قضيت نحبي فغسلني ولا تكشف عنّي فإني طاهرة مطهرة وحنطني بفضل حنوط أبي رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وصل علىي، وليصل معك الأدنى فالأدنى من أهل بيتي وادفي ليلاً لا نهاراً إذا هدأت العيون ونامت الأ بصار، وسراً لا جهاراً وعرف موضع قبري ولا تشهد جنازتي أحداً منن ظلمني.

لقد أرادت الزهراء (ع) موافصلة الجهاد بعد مماتها فكانت وصيتها الإعلان الأخير لموقفها الصامد والمستمر من وفاة الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وحتى مرضها وترديه باقياً إلى ما شاء الله.. تدفن بنت المصطفى سراً ليلاً يصلي عليها إلا أهل بيتها والمخلصون لهم!!

في لحظاتها الأخيرة طلبت ثياباً جديدة ثم دعت سلمى امرأة أبي رافع وقالت لها هيئي لي ماء وطلبت منها أن تسكب لها الماء وهي تغسل ثم لبست ملابسها الجديدة وأمرت أن يقدم سريرها إلى وسط البيت واستلقت عليه مستقبلاً القبلة وقالت إنني مقبوضة الآن، فلا يكشفني أحد.

تقول أسماء بنت عميس: لما دخلت فاطمة البيت انتظرتها هنية ثم ناديتها

فلم تجب فناديت: يا بنت محمد المصطفى، يا بنت أكرم من حملته النساء، يا بنت خير من وطأ الحصى، يا بنت من كان من ربه قاب قوسين أو أدنى، فلم تجب، فدخلت البيت وكشفت الرداء عنها فإذا بها قد قضت نحبها شهيدة صابرة مظلومة محاسبة ما بين المغرب والعشاء فوقعت عليها أقبلها، وأقول يا فاطمة إذا قدمت على أيك (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فأقرئيه مني السلام. فيينا هي كذلك وإذا بالحسن والحسين دخلا الدار وعرفا أنها ميّة فوقع الحسن يقبلها ويقول: يا أمـاه كلامـيني قبل أن تفارق روحي بدني، والحسين يقبل رجلها ويقول يا أمـاه أنا ابنـك الحسين، كلامـيني قبل أن ينـصـدـع قلـبي فـأـمـوتـ. ثم خرجـا إلى المسـجـد وأعلـما أباـهما بشـهـادـةـ أمـهـماـ فأـقـبـلـ أمـيرـ المؤـمـنـينـ إـلـىـ المـنـزـلـ وـهـوـ يقولـ: بـمـنـ العـزـاءـ ياـ بـنـتـ مـحـمـدـ؟ـ وـقـالـ:ـ (ـالـلـهـمـ إـنـهـاـ قـدـ أـوـحـشـتـ فـآنـسـهـاـ،ـ وـهـجـرـتـ فـصـلـهـاـ،ـ وـظـلـمـتـ فـاحـكـمـ لـهـاـ يـاـ أـحـكـمـ الـحـاكـمـينـ).ـ

وخرجـتـ أمـ كـلـثـومـ مـتـجـلـلـةـ بـرـدـاءـ وـهـيـ تصـيـحـ:ـ يـاـ أـبـتـاهـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ الـآنـ حـقاـ فـقـدـنـاكـ فـقـدـاـ لـقـاءـ بـعـدـهـ،ـ وـكـثـرـ الصـراـخـ فـيـ المـدـيـنـةـ عـلـىـ اـبـنـةـ رـسـوـلـ اللهـ،ـ وـاجـتـمـعـ النـاسـ يـنـتـظـرـونـ خـرـوجـ الجـنـازـةـ،ـ فـخـرـجـ إـلـيـهـمـ أـبـوـ ذـرـ وـقـالـ:ـ اـنـصـرـفـواـ إـنـ بـنـةـ رـسـوـلـ اللهـ أـخـرـ إـخـرـاجـهـاـ هـذـهـ العـشـيـةـ.

وأخذـ أمـيرـ المؤـمـنـينـ فـيـ غـسـلـهـاـ،ـ وـعـلـلـ ذـلـكـ حـفـيدـهـاـ الإـمـامـ الصـادـقـ (ـعـ)ـ يـقـولـ:ـ إـنـهـاـ صـدـيقـةـ فـلاـ يـغـسلـهـاـ إـلـاـ صـدـيقـ كـمـاـ أـنـ مـرـيمـ لـمـ يـغـسلـهـاـ إـلـاـ عـيـسـىـ (ـعـ)،ـ وـقـالـ (ـعـ):ـ إـنـ عـلـيـاـ أـفـاضـ عـلـيـهـاـ مـنـ المـاءـ ثـلـاثـاـ وـخـمـساـ وـجـعـلـ فـيـ الـخـامـسـةـ شـيـئـاـ مـنـ الـكـافـورـ،ـ وـكـانـ يـقـولـ:ـ اللـهـمـ إـنـهـاـ أـمـتـكـ وـبـنـتـ رـسـوـلـكـ وـخـيـرـتـكـ مـنـ خـلـقـكـ،ـ اللـهـمـ لـقـنـهـاـ حـجـتهاـ،ـ وـأـعـظـمـ بـرـهـانـهـاـ وـأـعـلـ درـجـتهاـ،ـ وـأـجـمـعـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ مـحـمـدـ (ـصـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ).

وـحـنـطـهـاـ مـنـ فـاضـلـ حـنـوطـ رـسـوـلـ اللهـ الـذـيـ جاءـ بـهـ جـبـرـائـيلـ إـذـ أـخـبـرـهـماـ

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سابقاً: يا علي ويا فاطمة هذا حنوط من الجنة دفعه إلي جبرئيل وهو يقرئكم السلام ويقول لكم.. اقسامه واعزلا منه لي ولكلما، فقالت فاطمة: ثلاثة لك والباقي ينظر فيه علي (ع) فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وضمها إليه وقال: إنك موفقة رشيدة مهديّة ملهمة، يا علي قل في الباقي، فقال: نصف منه لها، والنصف لمن ترى يا رسول الله قال هو لك.

وكفّنها في سبعة أثواب، وقبل أن يعقد الرداء عليها نادى: يا أم كلثوم، يا زينب، يا فضة، يا حسن، يا حسين، هلموا وتزوّدوا من أمكم الزهراء، فهذا الفراق والله القاء الجنة.

حقاً إنها لحظات وداع لشمعة انطفأت وطالما احترقت لتثير للآخرين.. ما أعظم الرزية وما أجل المصيبة.

أقبل الحسنان (ع) يقولان: واحسّرة لا تنطفيء من فقد جدنا محمد المصطفى وأمنا الزهراء؟ إذا لقيت جدنا فأقرئيه منا السلام وقولي له: إنا بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا.

قال أمير المؤمنين (ع) وإذا بهاتف من السماء ينادي يا أبو الحسن ارفعهما عنها، فلقد أبكيها والله ملائكة السماء فرفعهما عنها وعقد الرداء عليها.

وجاءت أهم اللحظات.. لحظة تنفيذ بند الوصية المهم ذلك البند الذي سيظل شاهداً على موقف الزهراء إلى القيامة. إنها لحظات الدفن التي يجب أن تكون سراً وقبلها الصلاة على الجنازة الذي كان محدداً فيها ألا يكون فيه شخص ممن ظلم الزهراء. هكذا كانت الوصية.

جن الليل.. نامت العيون وهدأت الأ بصار. وجاء في جوف الليل نفر قليل من الهاشميّن ومن المحبيّن الذين وقفوا مع علي وفاطمة موقفاً إيجابياً وهم سلمان

وأبو ذر والمقداد وعمار، صلی علیہما الإمام علی (ع) ومعه هذه العصبة القليلة المباركة.. ثم دفنتها ولما وضعها في اللحد قال: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله محمد بن عبد الله، سلمتك أيتها الصديقة إلى من هو أولى بك مني، ورضيت لك بما رضي الله لك. ثم قرأ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
نَعِدْكُمْ وَمِنْهَا نَخْرُجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾.

ثم إنه (ع) سوى في البقيع سبع قبور، أو أربعين قبراً لكي يضيع بينها قبر الزهراء (ع)، ولما عرف شيخ المدينة دفنتها، وفي البقيع قبور جدد أشكل عليهم الأمر فقالوا: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور لنخرجها ونصلي عليها، فبلغ ذلك عليا (ع) فخرج مغضباً عليه قباؤه الأصفر الذي يلبسه عند الكريهة وبيده ذو الفقار، وهو يقسم بالله لئن حول من القبور حجر ليضعن السيف فيهم، فتلقاء عمر ومعه جماعة فقال له: ما لك، والله يا أبا الحسن لننبشن قبرها ونصلي عليها.

فقال علي (ع) وهو غاضب: أما حقي فتركته مخافة أن يرتد الناس عن دينهم، وأما قبر فاطمة فوالذي نفسي بيده لئن حول منه حجر لأسبقين الأرض من دمائكم، فتفرق الناس^١.

وأسدل الستار عن أول محطة سقطت الأمة في امتحانها، وغادرت الزهراء مشتاقة للقاء ربها وأبيها ذهبت وهي تحمل جراحات متخنة وآلاماً عظاماً.. انتقلت لتشكو إلى الله سبحانه وتعالى ليحكم لها على من ظلمها وتركها لنا أعلام هداية ومنارات فرقان.. رحلت وخلفت فيما سرها. سرها الذي دفن في قبرها الذي دفنت فيه سراً. إنه سر سهل ممتنع لا تطوله كل العقول ولا يمتنع

^١ فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى أحمد الهمданى.

عن جميع العقول، سر لا يطوله إلا من أشرق في قلبه نور فاطمة وارتشف من ضياء عقله فانفتح على الحق والخير ونفر من الظلم والانحراف.

ورغم أنني تجرعت كأس ألماها إلا أنه بالنسبة لي كان ممزوجا بالحلوة.

شربت منه فأشرقت لي فاطمة بنورها فكانت الدليل إلى الصراط المستقيم. وما أعظم شأنها. حقا إنها فاطمة بنت محمد زوج علي.

الزهراء صرخة مدوية عبر التاريخ

لقد انتقلت الزهراء (ع) إلى بارتها هناك حيث جنة عرضها السماوات والأرض تنتظر يوم القيمة يوم الحساب.. ولكنها تركت صرخة تجلجل وتدوي لتحرك الضمائر الميتة وتهز الوجدان وتفضي غبار الغفلة والشهوات والتكبر عن العقول.. صرخة ألم ولوحة ألم صرخة الألم فهو نتاج ما لحقها من أذى وضرب وإسقاط جنين وأما اللوعة فهي مما اقترفه الأمة تجاه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسالته التي لم تحفظ.. لقد غادرت الزهراء وتركت سهemin في صدر التاريخ ينزفان دما الأول انتقالها وهي لم تكمل عقدها الثاني أما الآخر فهو دفنهما ليلا سرا حتى أن قبرها الذي تهفو إليه قلوب الملايين لا يعرف له موضع.. حسرة وإنها إشارة الزهراء لتنطلق في تلمس الحقائق، ثمانية عشر ربيعا فقط وكانت أول أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) لحوقا به.. ترى لماذا... صحيح أن الموت حق على كل العباد ولكن ألا يقفز إلى الذهن السؤال عن سبب الموت؟ كلنا عندما نفقد عزيزا في ريعان شبابه ويأتينا الخبر بموته نسأل مباشرة وكيف مات؟ وهذا ما يريده الله عز وجل منا نصل إلى عمق المأساة، سؤال فطري.. ما الذي جعل الزهراء (ع) تنتقل بهذه السرعة

وغيرها يمتد به العمر إلى ما شاء الله.. وعندما نسأل أنفسنا هذه الأسئلة سنكتشف الحقيقة... أولاً حزنا على فقد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم على غصب الحقوق ثم اعتداء وضرب وإسقاط الحقوق حقوقها وحقوق زوجها وأبنائها وحقوق الأمة الإسلامية ويتوج ذلك كله الاعتداء الصارخ بالإحراب والضرب والرفس ومن ثم إسقاط "المحسن" ألا يكفي هذا لأن تهد الجبال هدا.. إن الزهراء (ع) قاست كل ذلك لا لكي تجني فائدة شخصية ولكن لتشييت دعائم الإسلام.. هكذا يريد الله تعالى أن يكشف لنا عن الحقائق عبر حياة أوليائه.

والسهم الآخر دفنه سرا.. إن الزهراء (ع) بنت النبوة ربيبة الوحي تخدم الرسالة حية وميتة.. لقد أمرت ألا يصلى عليها رمز الشرعية في السقيفة وأن تدفن ليلاً سرا حتى لا يعلم قبرها فيبقى التساؤل عن سر ذلك قائماً حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً.. كل الشخصيات الهامة، وكل الصالحين نعرف قبورهم ويقصدها من يقصدها إلا الصديقة الطاهرة أم أبيها ترى لماذا؟!! إنها أيضاً رسالة الرسالة لمن يؤمن بالرسالة وذكرى لقوم يعقلون.

الفصل الخامس

الإمامية والخلافة

تمهيد:

لم أكن أتصور بأنني سأجدها الزخم الهائل من الأحاديث والآيات التي تؤيد وتدعم دعوى الشيعة. وبعد حواري مع ابن عمي، والذي أخذ منحي آخر معي متوكلاً على الحذر بعد أن علمت بظلمة الزهراء (ع)... أعطاني ثلاثة كتب قرأتها، كان الأول لدكتور أعلن ولاءه لأئمة أهل البيت (ع) بعد أن كان من علماء أهل السنة والجماعة، والكتاب الثاني "المراجعات" وهو مناظرة قيمة جرت بين عالم شيعي وهو السيد عبد الحسين شرف الدين وآخر سني كان زعيماً للأزهر الشريف هو الشيخ سليم البشري، وكتاب آخر عن تاريخ الشيعة وظلم الحكام لهم على امتداد التاريخ، وحقاً كان لكتاب "ثم اهتديت" للدكتور التيجاني السماوي الدور الأكبر في تحفيزي للبحث كما أنه كان دافعاً لقراءة كتاب المراجعات بدقة وعناية ولا أظنني سأجده كتاباً على أديم الأرض أكثر قوة وحجية ومنطقاً من كتاب المراجعات الذي أمات اللثام وأبطل كل حجج الشيخ البشري بأدب ووقار.

وأذكر ذات يوم أن أحد الأشخاص استعار كتاب المراجعات من أحد الأصدقاء وبعد فترة وجيزة جاء بالكتاب وهو يقول - محاولاً الاستهزاء به كردة فعل طبيعية إنه مختلف وإن هذه المناظرة أساساً لم تقم، فأجابه الأخ: - يا شيخنا فلنفرض جدلاً أن هذه المناظرة لم تكن، وأن هذه الشخصيات لا وجود لها في الحقيقة ما رأيك فيما ورد في الكتاب من الأدلة، نحن كلامنا ليس حول الشخصيات وما يهمنا محتوى الكتاب إذا كنت تملك رداً عليه فتفضلي **هاتوا** برهانكم إن كتم صادقين **﴿وإلا فالزم الصمت... فصمت صاحبنا. والحال إننا** نثق بأن هذه المناظرة والحوار بين السيد عبد الحسين والشيخ سليم حدثت حقيقة،

والشخصيتان علمان بارزان في سماء الأوساط الدينية عند الشيعة والسنّة.
وسوف أقدم مجموعة من الأدلة تأخذ بأعناقنا شيئاً أم أبينا إلى اتباع أهل
البيت (ع) والاقتداء بهم دون غيرهم منخلق لأنهم خلفاء رسول الله (صلي
الله عليه وآله وسلم) وإن الهدى في اتباعهم وأخذ الدين منهم وموالاتهم وإن
الضلالة في موالة غيرهم ولن آتي بدليل من خارج الكتب المعتمدة لدى أهل
السنّة والجماعة حتى نلزمهم بما ألموا به أنفسهم.

وموضوع بحثنا كما هو واضح الإمامة والخلافة التي قيل فيها: لم يسل
سيف في الإسلام كما سل في الإمامة، وهي جذر الخلاف القائم بين الشيعة
والسنّة ومن عندها تفرع حتى وصل إلى أصغر الجزئيات فهل الإمامة نص
وتعيين أم هي شوري و اختيار من قبل المحكومين؟.

بالشوري أم بالتعيين؟!

* مفهوم الشوري عند أهل السنّة والجماعة غير واضح:

الحق إن الكلام حول خلافة رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) غير
واضح عند الإخوة أهل السنّة فتارة يقولون بالشوري وأخرى يعطون الشرعية
للنص، ومع ذلك لا نجد مستندًا شرعاً ولا دليلاً يؤيد دعواهم، وقد تمسّكوا
بآيتين وردتا في القرآن الكريم اشتباه على القوم سبيل فهمهما كما سنّين.
ولم نجد عندهم مفهوماً واضحاً للشوري ولا حدوداً ولا تفاصيل سواء من
القرآن أو السنّة، لأنّ الرسول (صلي الله عليه وآله وسلم) انتقل إلى الرفيق الأعلى

ولم يوضح شيئاً - كما يظنون - عن أخطر فتنة يمكن أن تتعرض لها الأمة وهي الخلافة بحسب منهجهم، وهو الذي يحمل على عاتقه تبليغ خاتمة الرسالات ولم يترك فيها كبيرة ولا صغيرة يحتاجها الناس إلا وبينها لهم حتى أحكام التخلية وكيف بقيادة الأمة ونظام الحكم في الإسلام؟ بل إن القول في الشورى عندهم عبارة عن اجتهادات علماء رسموا مفهومها الديني بناء على ما جرت عليه الأحداث، فقالوا يجوز لولي الأمر أن يعين خليفته كما فعل أبو بكر، ويمكن أن تتعقد البيعة لأحد هم بمبايعة فرد واحد كما بايع العباس علياً بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما بايع عمر أبو بكر، ومنهم من قال إن الشورى تتعقد بأهل الحل والعقد ولكن دون توضيح من هم أهل الحل والعقد ومن الذي يعينهم، وبعضهم جمع بين كل ذلك وتابه في ظلمات بعضها فوق بعض... وكل ذلك تقول على الدين لا يؤيده دليل عقلي ولا نقلٍ للهُمَّ إِلَّا آيَاتُ
الشريفات وهو ما أجنبيتان عن المقام ولا يمكن تثبيت هذه الشورى المزعومة بهما.

آلية الأولى:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَشَارِهِمْ فِي الْأَمْرِ، إِذَا عَزِّمْتَ فَتُوكِلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (سورة آل عمران: آية ١٥٩).

استدلوا بهذه الآية على أصل الشورى وقالوا إن الخلافة والإمامية بالشورى في حين أن الآية واضحة في خلاف مرادهم إذ أنها تخاطب الحاكم الذي استقرت حكومته وتوجهه لمشاورة الرعية لأنه هو الذي يشاور، ونفس الآية تشير إلى أن هنالك ثمة رئيس (حاكم) بعد أن يمحض الآراء والأفكار يأخذ بالنافع منها ثم يعزم هو على ما ارتآه بعد المشاورة متوكلا على الله.. كذلك تبين الآية أن الأمر هنا غير الحكومة، فبدون الحاكم لا وجود للشورى لأنها تحتاج إلى حاكم يكون قياما عليها ليعزم ويتوكل على الله، وبناء على هذه الآية

لا تم الشورى إلا بولي الأمر الذي يفصل في موضوعها، وعلى ذلك لا دلالة للآية على الشورى التي بها يتم اختيارولي الأمر لأن وجوده مكمل لنفس الشورى، ويتوقف اختياره على وجوده ضمن الجماعة المكونة للشورى، وهذا يلزم الدور وهو باطل، والدور يعني تثبيت وجود شئ بوجود شئ آخر يتوقف وجوده على وجود الشئ الأول مثل قضية الدجاجة والبيضة أيهما أول فالبيضة يتوقف وجودها على الدجاجة وكذلك الدجاجة وما أشبه !!

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شَوْرِيٌّ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الشورى: آية ٣٨) إن الآية الكريمة حت على الشورى فيما يمت إلى شؤون المؤمنين بصلة، لا فيما هو خارج عن حوزة أمرهم، أما كون تعين الإمام داخلا في أمرهم فهو أول الكلام، إذ لا ندرى هل هو من شؤونهم أم من شؤون الله سبحانه وتعالى وعلى فرض أن ذلك من شؤونهم فمع هذا لا يصح الاستدلال بهذه الآية في موضوع تعيين الإمام وال الخليفة إذ لا يقال أنه يجوز قيام الشورى الشرعية دون ولية الأمر كما ذكرنا في الاستدلال بالآية السابقة، والآية في الواقع عامة تولت تفصيلاتها آية ﴿وَشَارِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ أما الآية موضوع البحث فقد جاءت تتحدث عن صفات المؤمنين والرسول (صلى الله عليه وآلـهـ) أحدهم بل أكملهم وأتقاهم وهو ولـيـ الأمـرـ المستقر له الوضع، فلا يمكن أن لا تكون له كلمة الفصل، واضح من الآية أنها نزلت بلحاظ وجود ولـيـ الأمـرـ بينـهـمـ لا بعد لـحـاظـهـ ومن يـدـعـيـ غيرـ ذـلـكـ فعلـيـةـ الإـثـبـاتـ.

إذا علمت ذلك نقول أنه بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ وسلمـ)

إِما كَانَ هُنَاكَ وَلِيْ أَمْرٌ فَلَا دَاعِيْ لِلشُورِيْ لِتَنْصِيْبِهِ، وَإِمَّا لَمْ يَكُنْ فِيْحَا جَاجٌ إِلَى شُورِيْ شُرُعِيَّةٍ حَتَّى يَتمْ تَنْصِيْبِهِ. وَالشُورِيْ الشُرُعِيَّةٍ تَحْتَاجُ إِلَى وَلِيْ أَمْرٌ قَيْمٌ عَلَيْهَا يَأْخُذُ بِالنَّافِعِ بَعْدَ الْمَشَاوِرَةِ وَيَعْزِمُ عَلَيْهِ وَبِدُونِهِ تَكُونُ الشُورِيْ غَيْرَ شُرُعِيَّةٍ فَلَا يَلْزَمُ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ.

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ لَا بُدَّ مِنَ النَّصِّ عَلَى الإِمَامِ (ولِيِّ الْأَمْرِ) وَهَذَا مَا يَثْبِتُهُ التَّارِيْخُ وَالْعُقْلُ وَمَرْوِيَّاتُ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَالْقُرْآنُ وَفِيهَا مَا يَشْبُعُكَ.

* التَّعْيِيْنُ ضَرُورَةٌ:

جَاءَ فِي سِيرَةِ ابْنِ هَشَامٍ.

لَمَّا دَعَا الرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بَنِيْ عَامِرَ لِلإِسْلَامِ وَقَدْ جَاءُوْا فِي مَوْسِمِ الْحَجَّ إِلَى مَكَّةَ قَالَ رَئِيْسُهُمْ: أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ بَايْعَنَاكَ عَلَى أَمْرِكَ ثُمَّ أَظْهِرُكَ اللَّهُ عَلَى مِنْ خَالِفِكَ، أَيْكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ؟ قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "الْأَمْرُ لِلَّهِ، يَضْعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ" ^١.

لَقَدْ بَيْنَ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ تَعَالَى وَهَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي نَتْلُوهُ لَيْلًا نَهَارًا يُؤْكِدُ ذَلِكَ أَيْضًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رَسْالَتَهُ﴾ ^٢. وَالاَصْطَفَاءُ الْإِلَهِيُّ لِحَمْلِ عَبْءِ تَبْلِيغِ الرَّسَالَةِ وَالْحَفَاظِ عَلَيْهَا سَنَةً إِلَهِيَّةً لَنْ تَتَغَيِّرْ وَلَنْ تَتَبَدَّلْ، قَالَ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ اَصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمِيْنَ، ذُرِيْةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ

^١ السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٢٤.

^٢ سورة الأنعام: آية ١٢٤.

سميع عليهم^١ ويقول جل وعلا ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا^٢ ، ويؤكد سبحانه وتعالى أن الأمر ليس بيد أحد مهما بلغ من الوعي فأضاف إلى نفسه تعالى الاختيار والجعل يقول تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين^٣ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون^٤ .

وهذا الجعل ليس بأمر الأمة بل بأمر الله (بأمرنا) ولا يعقل أن يكون الضمير في "أمرنا" شامل للأمة إذ ليست هي التي توحى إلى الأئمة فعل الخيرات وإقام الصلاة... كما أن الأمة ليست هي المعبودة^٥ و كانوا لنا عابدين^٦ ولا هي صاحبة الآيات بآياتنا يوقنون^٧ .

وضرورة التعيين أمر يعلم كل إنسان بوجданه وعقله، لضرورة وجود خليفة للنبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) يقوم مقامه في كل واجباته، ويکاد يكون ذلك من البديهيات وإلا أي ضمانة يمكن لها أن تحفظ لنا ديننا وتمثل بوصلة لبيان الانحراف الذي ربما يحدث بعد النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) كما حدث في الأمم السابقة؟ من الذي تركن إليه الأمة ليواصل مسيرة الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) وكيف يتأنى للرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) أن ينتقل للرفيق الأعلى دون أن يعين خليفة؟ فمن العقل أن يترك أمر الخلافة والإمامية في أيدي الناس الذين قد تتغلب عليهم شهوة السلطة والزعامة؟ ذلك لأن طبيعة البشر

^١ سورة آل عمران: آية / ٣٣ - ٣٤.

^٢ سورة فاطر: آية / ٣٢.

^٣ سورة الأنبياء: آية / ٧٣.

^٤ سورة السجدة: آية / ٢٤.

تهوي به إلى أسفل ولا يكفيها وجود شريعة محفوظة في الكتب، بل لا بد من تجسيد تلك الشريعة في إنسان يتمتع بتفوق تشريعي (معصوم) يعطيه صلاحية تطبيق الشريعة على الناس (منصوص عليه) إذ لا بد لكل قانون من مطبق نافذ الكلمة وإلا عاد القانون حبرا على الورق^١.

إن الخالق الذي من أجل كمال كل مخلوق وفر له الوسائل الضرورية وغيرها كي يعبر من حدود النقص والضعف إلى منازل الكمال، كيف يمكن أن يستثنى من ذلك القيادة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي تعتبر عاماً مهماً لرقي الإنسان معنوياً وروحياً.

والتعيين أمر تنبه له أبو بكر عندما كتب وصيته التي نصب فيها عمر خليفة من بعده وأمر الناس بالسمع والطاعة له... ومع أنه كان على فراش الموت عند كتابته لذلك إلا أن عمر كان حريصاً على تنفيذ الوصية في حين أنه كان المعترض الأول على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما أراد كتابة وصيته وهو مريض وقال "إنه يهجر" ويقول أمير المؤمنين علي (ع) في شأن تعيين أبي بكر لعمر "فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها الآخر بعد وفاته لشد ما تسطروا ضرعيها".

كما أن عائشة أقرت بضرورة التعيين عندما ضرب عمر وبقي على الفراش ينتظر الأجل المحتموم إذ أرسلت إليه أن أوصل من يخلفك ولا ترك أمة محمد بعده هملاً. وبدون راع، وأشار عبد الرحمن بن عوف على عمر بذلك أيضاً. والواقع العملي يثبت أن الخلفاء جاؤوا بالتنصيب وبلا شورى حتى شورى الستة كانت بالتعيين كما سترى.

^١ الفكر الإسلامي مواجهة حضارية - العلامة السيد محمد تقى المدرسي ص ٢٥٠.

*علي بن أبي طالب أول خليفة للنبي (ص)

طفحت كتب أهل السنة والجماعة بالأحاديث التي تبين أن أهل البيت (ع) هم خلفاء الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وحملة دين الله بعده، وغير المتمسك بهم ضال وذلك بإخبار النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) عن اختيار الله تعالى لهم، وسنرى من خلال ما نستدل به أن الأمر لا ينحصر في حبهم فقط والتبرك بهم إنما موالاتهم واتباعهم والتسليم لهم.

وكثيراً ما يقول لي البعض نحن نحب أهل البيت (ع)... أقول إن حب أهل البيت (ع) مجردأ عن ترتيب أثر على ذلك لا يجدي، فحبهم يستتبع أن نسلك مسلكـهم وتـبع منهـجـهم ونـوـالـيـ أولـيـاءـهـمـ هذاـ هوـ الحـبـ يقولـ تعالىـ ﴿إـنـ كـنـتـ مـتـحـبـونـ اللـهـ فـاتـبعـونـيـ يـحـبـكـمـ اللـهـ﴾ (سورة آل عمران: آية / ٣١) وأهلـبيـتـ (ع) هـمـ حـمـلـةـ رسـالـةـ السـمـاءـ وـبـهـمـ يـعـرـفـ الـحـقـ مـنـ الـبـاطـلـ وـالـمـتـمـسـكـ بـهـمـ هـوـ الـمـلـزـمـ بـمـنـهـجـهـمـ السـائـرـ عـلـىـ درـبـهـمـ.

والإمام علي (ع) هو الإمام الأول وال الخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم)... ذلك ما توصلت إليه من خلال ما تواتر من الأحاديث حول تصييـهـ إـمامـاـ لـلـأـمـةـ وـعـنـ أـفـضـلـيـتـهـ عـلـىـ جـمـيعـ الصـحـابـةـ، رـغـمـ أـعـدـاءـهـ أـخـفـواـ مناقـبـهـ حـسـداـ وـأـخـفـاـهـ شـيـعـتـهـ خـوفـاـ إـلـاـ أـنـهـ ظـهـرـ مـنـ بـيـنـ ذـلـكـ مـاـ مـلـأـ الـخـافـقـينـ يقولـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ "ـ مـاـ جـاءـ لـأـحـدـ مـنـ أـصـحـابـ رـسـولـ اللـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ مـنـ الـفـضـائلـ مـاـ جـاءـ لـعـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ "ـ^١ـ وـمـعـ ذـلـكـ سـأـخـتـارـ بـعـضـ الأـحـادـيـثـ التـيـ تـشـبـهـ لـهـ الـوـلـاـيـةـ وـالـخـلـافـةـ:

^١مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٧.

١ - حدیث الغدیر.

في حديث طويل "أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جمع الناس يوم غدير خم (موقع بين مكة والمدينة - الجحفة) وذلك بعد رجوعه من حجة الوداع وكان يوماً صائفًا حتى أن الرجل ليضع رداءه تحت قدميه من شدة الحر، وجمع الرجال وصعد عليها وقال مخاطباً معاشر المسلمين: ألسنت أولي بكم من أنفسكم؟ قالوا: "بلى، قال: من كنت مولاً له فعليك مولاً لله". من والاه وعاد من عاده وانصر من نصره واخذل من خذله".

إن حديث الغدير من أوضح أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بياناً وأعمقها دلالة وأقواها بلاغة ولقد أورده السيوطي في الدر المنشور في ذيل الآية ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ لبيان أن ولاية علي (ع) التي قرناها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بولايته هي امتداد لها وكما كان (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى بالمؤمنين من أنفسهم كذلك علي بن أبي طالب، مما يدل على أن النبي ما أراد الولاية بمعنى الحب إنما أرادها بمعنى الإمامة لوجود القرينة المقالية فقد بدأ الحديث بولاية نفسه على المؤمنين ثم قرناها بولاية علي فالولاية بمعنى الأولى من المؤمنين بأنفسهم.

هذا الحديث لا شبهة في صحته وهو من الأحاديث المتوترة التي لم يستطع علماء أهل السنة والجماعة رده ببحثوا له عن تحريره ومعنى يتناسب مع ما تهواه أنفسهم فاضطروا إلى تفسير الموالاة بمعنى الحب وهذا المعنى لا ينسجم ومفهوم الحديث القاضي بولايته وإمامته على الناس بعد الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) وخلافته له بصورة واضحة وجلية، ولا يمكن لشخص يملك عقلا سليماً ووجданاً صحيحاً أن يقنع بقول علماء أهل السنة والجماعة، فهم كأنما يقولون

أن الرسول (صلى الله وآله وسلم) ومعه هذه الأعداد الهائلة من الحجاج والذين يبلغ عددهم ما يقارب المائة وعشرين ألف... أوقف من معه وأرسل في طلب من سبقة ليأتي راجعاً وانتظر من كان بعده يوقفهم في تلك الصحراء والشمس تلفح الوجوه ليقول لهم أيها الناس "أحبوا" علياً فإنه ابن عمي وزوج ابنتي. أي أحمق هذا الذي يؤمن بهذا القول والله إنها لضحالة في التفكير وسذاجة في استعمال أساليب المكر والخداع وخبث ينم عن عداء حقيقي لعلي بن أبي طالب (ع).

وقد تتبع صاحب موسوعة "الغدير" العلامة الأميني رواة هذا الحديث من الصحابة بلغ عددهم ١١٠ صحابيًّا "فيهم أبو هريرة وأسامي بن زيد وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله والزبير بن العوام وزيد بن الأرقمن وغيرهم" ^١ ومن التابعين بلغ عدد الرواة (٨٤) ولم يترك حتى العلماء في القرون الأولى وكذلك الشعراء ^٢.

ولقد أورد الحديث أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ فِي مُسْنَدِهِ وَأَضَافَ "فَلَقِيَهُ عَمْرٌ بْنُ
ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ: هَنِئَا يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ
وَمَؤْمِنَةٍ" ^٣.

كما أورده الحاكم في مستدركه ج ٣ ص ١١٠ وقال عنه صحيح على شرط الشيفيين ولم يخر جاه.

ولأهمية أمر الإمامة والولاية في الرسالة وباعتبارها جزءاً أساسياً لا

^١ الغدير ج ١ ص ١٤.

^٢ المصدر ج ١ ص ٦٢.

^٣ مسند أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ ج ١ ص ٢٨١.

تكتمل الرسالة بدونه جاء الأمر من الله تعالى بتبيين ذلك للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان حديث الغدير كما جاء في تفسير الفخر الرازي في ذيل الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بِلَغَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعِلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسْالَتُهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (سورة المائدة: آية ٦٧) قال: والعشر - أي من الوجوه التي قالها المفسرون في نزول الآية: نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب (ع) ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " فلقىه عمر رضي الله عنه فقال: هنيئا لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي ^١.

وبهذا تتضح أهمية الولاية كجزء من الرسالة من دونها تفقد الرسالة أهميتها كما تنطق الآية.

ومما يؤكّد قولنا اختصاص علي بالولاية دون غيره من الصحابة وذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَذَرُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (سورة المائدة: آية ٥٥) يقول الرازي والطبرى المقصود من الذين آمنوا أمير المؤمنين علي (ع) كما أورده السيوطي في الدر المنشور وكذلك كثر العمال.

والآية ظاهرة في إمامته ومعنى الولي في هذه الآية لا بد أن يلائم الحصر في الله عز وجل وفي رسوله وفي علي وظهور أدلة إنما في الحصر تشير إلى تفسير واحد لكلمة الولي وهو مالك الأمر ونحوه مما يناسب الاختصاص.

^١ التفسير الكبير للرازي ج ١٢ ص ٤٩.

٢ - حديث المنزلة:

جاء في البخاري "كتاب بدء الخلق" في باب غزوة تبوك أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) خرج إلى تبوك واستخلف عليا (ع) فقال: أتخلعني في الصبيان والنساء، فقال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ^١.

ولا يخفى على المتأمل الدلالة الواضحة لخلافة علي (ع) والتي كخلافة هارون (ع) إلا أن النبوة ختمت بمحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقد ألمعنا في نقاشنا لقصصبني إسرائيل إلى وجه الشبه بين خلافة هارون لموسى (ع) وكيف أضل السامري القوم، وبين خلافة علي (ع) التي انقلب عليها المسلمين ووضعوا الأمر في غيره فتأمل.

٣ - حديث الانذار

لما نزلت آية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) جمع بنى عبد المطلب على طعام ثم قال: إني والله ما أعلم شبابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على أن يكون أخي ووصيي وخليفي ووارثي فلم يقم أحد. قال علي: وقلت وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمسهم ساقا: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه قال النبي: إجلس، قال ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي اجلس حتى كانت الثالثة فأخذ برقبتي ثم قال إن هذا أخي ووصيي وخليفي فاسمعوا له وأطيعوا،

^١ رواه مسلم أيضا في صحيحه كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل علي بن أبي طالب كما أورده أحمد بن حنبل وغيرهم.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع " ١ .

وال الحديث لا يحتاج مني إلى توضيح فهو أوضح من الشمس في رابعة النهار.

٤ - حديث الراية:

حاول أحدهم أن يثبت لي وهو يحاورني أفضلية الخلفاء الثلاثة على علي (ع) قلت له: هناك حديث واحد كاف لبيان الفرق بين علي (ع) وأبي بكر وعمر، روى ابن كثير في كتابه البداية والنهاية: بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا بكر (رض) إلى بعض حصنون خبير فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر (رض) فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "لأعطيين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه كراراً ليس بقرار، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علينا وهو يومئذ أرمد فتقل في عينيه ثم قال: خذ الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك " ٢ .

من خلال هذه الرواية نستشف من هو الأفضل وإلا لماذا ميز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) علينا (ع) بهذه الصفات التي جاءت في الحديث وهو من أوتي جوامع الكلم وفصاحة اللسان وبلاهة خصوصاً ما جاء في آخر الكلام "ليس بقرار" إشارة إلى فرار من سبقه من ساحة الوغى وقد استحب ابن كثير من ذكر ذلك فذكرها الطبرى في تاريخه بكل وضوح عندما قال: "فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجبنه أصحابه ويجبنهم " .

^١ تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٣ - ٦٤ .

^٢ البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٧ .

ولقد أورد الحديث البخاري في كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في لواء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) وباب فضل من أسلم على يديه رجل. كما جاء في صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير غزوة ذي قرد وفي كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي.

وأنا لا أريد أن أفضل أحداً على أحد دون دليل ولكنني أرى نفسي ملزماً بتفضيل من فضله الله، ولقد جاء في سيرة ابن هشام: "عندما نزلت سورة براءة براءة بعث بها الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) أبا بكر ثم أرسل عليها في أثره فأخذها منه فلما رجع أبو بكر قال: هل نزل في شيء؟ قال: لا ولكنني أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي" ^١.

ولأن الحديث عن فضائل علي ومكانته يطول سنوره ملخص ما جاء به ابن حجر العسقلاني المعروف عند أهل السنة والجماعة في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة: مما أورده:

- * حديث الراية المتقدم.
- * حديث الانذار.
- * عندما نزلت آية التطهير ﴿إنما يريد الله أن.....﴾ أخذ الرسول رداءه ووضعه على علي وفاطمة والحسن والحسين وتلى الآية.
- * نومه في فراش النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) عندما هاجر.
- * حديث المنزلة.
- * سد الأبواب إلا باب علي (ع) فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره.

^١ السيرة النبوية ابن هشام ج ٤ ص ١٨٩ ومثله في المستدرك ج ٣ ص ٥١ وتفسير الطبرى.

- * قول الرسول من كنت مولاه فعلي مولاه.
- * قول عمر " لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن " .
- * قول علي " سلوني سلوني عن كتاب الله تعالى فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار " .
- * قال معاوية لسعد بن أبي وقاص: ما منعك أن تسب أبا تراب " يعني عليا " ، فقال: أما ما ذكرت ثلاثة قالهن رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) علىي لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم فلن أسبه سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) يقول: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي وسمعته يقول يوم خير لأعطين الرأبة غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي عليا فأئته الحديث ونزلت الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْنَا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم﴾ فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) عليا وفاطمة والحسين والحسين فقال اللهم هؤلاء أهلي.
- * قول الرسول (صلى الله عليه وآلله وسلم) لعلي " لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق " .
- * قول الرسول (صلى الله عليه وآلله وسلم) " ما تريدون من علي إن عليا مني وأنا من علي وهو ولني كل مؤمن بعدي " .
- * قوله (صلى الله عليه وآلله وسلم) " وإن تؤمروا علينا وما أراكم فاعلين - أقول: صدق الرسول الكريم (صلى الله عليه وآلله وسلم) - تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم " ^١ .

^١ الإصابة في تمييز الصحابة ص ٥٠٧ - ٥٠٨

مناظرة للمأمون العباسى في فضل علي (ع) .^١

ولو أردنا التحدث عن مناقب وفضائل مناقب وفضائل أمير المؤمنين علي (ع) لاحتاج ذلك إلى مجلدات وما أوردناه فيه الكفاية لذى عينين ونختتم هذا المطلب بمناظرة الخليفة العباسى المأمون واحتجاجه على الفقهاء في زمانه حول فضل علي (ع) بالرغم من أن المأمون وكل الخلفاء العباسيين كانوا من ينصبون العداء لأهل البيت (ع) إلا أنهم في البداية عندما تسلموا زمام الأمور ولتوطيد أركان حكمهم كانوا ينادون بالرضا من آل محمد وكانت ثورتهم على الأمويين تحت هذا الشعار ولكن الملك عقيم.. ما إن استقر وضعهم حتى بدأوا في محاربة آل محمد (ع) وشيعتهم وكانوا أعظم منبني أمية في عداوتهم لأهل البيت (ع)، جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي:

بعث المأمون إلى يحيى بن أكثم قاضي القضاة وعدة من العلماء وأمره أن يحضر معه مع الفجر أربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه ما يقال ويحسن الجواب، فأتموا العدد وغدوا عليه قبل طلوع الفجر وبدأ معهم الحوار في مواضيع شتى ثم قال: إني لم أبعث إليكم لهذا ولكنني أحببت أن أبنكم أن أمير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه ودينه الذي يدين الله به، قالوا: فليفعل أمير المؤمنين وفقه الله فقال المأمون: إن أمير المؤمنين يدين الله على أن علي بن أبي طالب خير خلق الله بعد رسوله (صلى الله عليه وآلها وسلم) وأولى الناس بالخلافة، قال إسحاق (أحد الفقهاء) قلت: يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في علي وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة، فقال يا إسحاق: اختر إن شئت أن أسألك وإن شئت أن تسألي قال إسحاق: فاغتنمتها منه، فقلت: بل أسألك

^١ العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ج ٥ ص ٩٢ - ١٠١

يا أمير المؤمنين. قال: سل، قلت من أين قال أمير المؤمنين إن علي بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله وأحقهم بالخلافة بعده؟ قال: يا إسحاق أخبرني عن الناس بم يتفضلون حتى يقال فلان أفضل من فلان؟ قلت: بالأعمال الصالحة، قال: صدقت. قال: فأخبرني عمن فضل صاحبه على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم إن المفضول عمل بعد وفاة الرسول بأفضل من عمل الفاضل على عهد الرسول، أيلحق به؟ قال إسحاق: فأطربت، فقال لي: يا إسحاق لا تقل نعم فإنك إن قلت نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهاداً وحججاً وصياماً وصلوة وصدقة قلت: أجل يا أمير المؤمنين لا يلحق المفضول على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الفاضل أبداً، قال. يا إسحاق فانظر ما رواه لك أصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتكم من فضائل علي بن أبي طالب فقس عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر وعمر فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلي وحده فقل إنهما أفضل منه، لا والله ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان فإن وجدتها مثل فضائل علي فقل أنهن أفضل منه، لا والله، ولكن قس إلى فضائله فضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجنة فإن وجدتها تشاكل فضائله فقل إنهم أفضل منه، ثم قال: يا إسحاق أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله؟ قلت الإخلاص بالشهادة قال: أليس السبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم قال أقرأ ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمَقْرُوبُونَ﴾ إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إن علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكملاً يجوز عليه الحكم، قال: أخبرني أيهما أسلم قبل؟ ثم أناظرك من بعده في الحداة والكمال، قلت: علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة فقال: نعم فأخبرني

عن إسلام علي حين أسلم لا يخلو من أن يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاما من الله، قال إسحاق: - فأطرقت فقال لي: يا إسحاق لا تقل إلهاما فنقدمه على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرئيل عن الله تعالى. قلت: أجل بل دعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يا إسحاق، فهل يخلو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه؟ قال: فأطرقت. فقال: يا إسحاق لا تنسب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى التكليف فإن الله يقول عن الرسول ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ قلت: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله، فقال: فهل صفة الجبار جل ذكره أن يكلف رسليه دعاء من لا يجوز عليه حكم؟ قلت: أعوذ بالله! فقال: أفتراه في قياس قوله يا إسحاق إن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم، وقد كلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعاء الصبيان إلى ما لا يطيقونه، فهو يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ أترى هذا جائز عندك أن تنسبه إلى الله عز وجل؟ قلت أعوذ بالله قال: يا إسحاق فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرف مكانه وفضله ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً؟ قلت: بل قال: فهل يبلغك أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته، لثلا تقول إن علياً ابن عمك؟ قلت: لا أعلم، ولا أدرى فعل أو لم يفعل. قال يا إسحاق، أرأيت ما لم تدره ولم تعلمه هل تسأل عنه؟ قلت: لا. قال: فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك.

ثم قال: أي الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام؟ قلت: الجهاد

في سبيل الله، قال: صدقت، فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ما تجد لعلي في الجهاد؟ قلت: من أي وقت؟ قال: في أي الأوقات شئت؟ قلت: بدر قال: لا أريد غيرها، فهل تجد لأحد إلا دون ما تجد لعلي يوم بدر، أخبرني كم قتلى بدر؟ قلت نيف وستون رجلاً من المشركين. قال: فكم قتلى علي وحده؟ قلت لا أدرى. قال: ثلاثة وعشرون أو اثنان وعشرون والأربعون لسائر الناس. قلت يا أمير المؤمنين، كان أبو بكر مع رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) في عريشه، قال: ليصنع ماذا؟ قلت: يدبر، قال: ويحك! يدبر دون رسول الله أو معه شريكًا أم افتقاراً من رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) إلى رأيه، قال: أي الثلاثة أحب إليك؟ قلت: أعوذ بالله أن يدبر أبو بكر دون رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) أو أن يكون معه شريكًا أو أن يكون برسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) افتقار إلى رأيه. قال: فما الفضيلة بالعرיש إذا كان الأمر كذلك؟ أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله أفضل من هو جالس؟ قلت: يا أمير المؤمنين كل الجيش كان مجاهداً. قال: صدقت، كل مجاهد ولكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) وعن الجالس أفضل من الجالس، أما قرأت في كتاب الله لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسن وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا ﴿ .

قلت: وكان أبو بكر وعمر مجاهدين قال: فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد؟ قلت: نعم. قال: فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر.

قلت: أجل قال: يا إسحاق، هل تقرأ القرآن؟ قلت: نعم قال: إقرأ على:

﴿هَلْ أتَى عَلَى الْإِنْسَانَ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ فَقَرَأَتْ مِنْهَا حَتَّى بَلَغَتْ يَشْرِبُونَ مِنْ كَأسٍ كَانَ مِزاجُهَا كَافُورًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسْيِرًا﴾ قَالَ: عَلَى رَسُولِكَ، فَيَمِنْ أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتِ؟ قَلَتْ: فِي عَلِيٍّ. قَالَ: فَهَلْ بَلَغَكَ أَنَّ عَلِيًّا حِينَ أَطْعَمَ الْمَسْكِينَ وَالْيَتَيمَ وَالْأَسْيَرَ قَالَ: إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ؟ قَلَتْ: أَجَلْ قَالَ وَسَمِعَتِ اللَّهُ وَصَفَ فِي كِتَابِهِ أَحَدًا بِمِثْلِ مَا وَصَفَ بِهِ عَلِيًّا؟ قَلَتْ: لَا قَالَ: صَدِقْتَ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَ ثَنَاؤِهِ عَرَفَ سِيرَتَهُ، يَا إِسْحَاقَ أَلْسْتَ تَشْهُدُ أَنَّ الْعَشْرَةَ فِي الْجَنَّةِ؟ قَلَتْ: بَلِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنْ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ أَمْ لَا، وَلَا أَدْرِي إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَهُ أَمْ لَمْ يَقُلْهُ، أَكَانَ عِنْدَكَ كَافِرًا، قَلَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّهُ قَالَ مَا أَدْرِي هَذِهِ السُّورَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَمْ لَا أَكَانَ كَافِرًا؟ قَلَتْ: نَعَمْ. قَالَ: يَا إِسْحَاقَ أَرِي بَيْنَهُمَا فَرْقًا. يَا إِسْحَاقَ أَتْرُوِي الْحَدِيثَ؟ قَلَتْ: نَعَمْ قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفُ حَدِيثَ الطَّيْرِ^١؟ قَلَتْ: نَعَمْ قَالَ: فَحَدَثَنِي بِهِ قَالَ فَحَدَثَتْهُ الْحَدِيثُ يَا إِسْحَاقَ، إِنِّي كُنْتُ أَكْلِمُكَ وَأَنَا أَظْنَكُ غَيْرَ مَعَانِدِ الْحَقِّ، فَأَمَا الآنَ فَقَدْ بَانَ لِي عَنْدَكَ، إِنِّي تَوَافَقْتُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ؟ قَلَتْ: نَعَمْ، رَوَاهُ مَنْ لَا يُمْكِنُنِي رَدُّهُ. قَالَ: أَفَرَأَيْتَ أَنَّ مَنْ أَيْقَنَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ، ثُمَّ زَعَمَ أَنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ عَلِيٍّ، لَا يَخْلُو مِنْ إِحْدَى ثَلَاثَةِ: مِنْ أَنْ تَكُونَ دُعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (ص) عَنْهُ مَرْدُودَةٌ عَلَيْهِ، أَوْ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ عَرَفَ الْفَاضِلَ مِنْ خَلْقِهِ وَكَانَ الْمُفَضُّلُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، أَوْ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ لَمْ يَعْرِفْ الْفَاضِلَ مِنَ الْمُفَضُّلِ، فَأَيُّ الْثَلَاثَةِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

^١ أهدي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طير مشوي فقال: اللهم ائنني بأحباب حلقك إليك - فجاء على فأكل معه "أسد الغابة لابن الأثير" ج ٦ ص ٦٠١، وأورده أحمد بن حنبل والحاكم.

فأطرقت. ثم قال: يا إسحاق لا تقل منها شيئاً، فإنك إن قلت منها شيئاً استتببتك، وإن كان للحديث تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقله. قلت: لا أعلم، وإن لأبي بكر فضلاً. قال: أجل، لو لا أن له فضلاً لما قيل إن علياً أفضل منه، فما فضل الذي قصدت إليه الساعة؟ قلت: قول الله عز وجل: **﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾** فنسبه إلى صحبته، قال: يا إسحاق، أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك، إني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافراً، وهو قوله **﴿فقال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾** الآية.

قلت: إن ذلك صاحب كان كافراً، وأبو بكر مؤمن. قال: فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة من رضيه كافراً جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمناً وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث، قلت: يا أمير المؤمنين إن قدر الآية عظيم، إن الله يقول: **﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾** قال: يا إسحاق تأبى الآن إلا أن أخرجك إلى الاستقصاء عليك، أخبرني عن حزن أبي بكر، أكان رضى أم سخطاً؟ قلت: إن أباً بكر إنما حزن من أجل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وغماً أن يصل إلى رسول الله شئ من المكروه قال: ليس هذا جوابي، إنما كان جوابي أن تقول: رضى الله أم سخطاً؟ قلت: بل رضى الله. قال: فكأن الله جل ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضى الله عز وجل وعن طاعته، قلت: أعوذ بالله. قال: أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضى الله؟ قلت: بلـى قال: أو لم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له: "لا تحزن" نهياً له عن الحزن، قلت: أعوذ بالله. قال: يا إسحاق، إن مذهبـي الرفق بك لعل الله يرـدك إلى الحق ويعـدلـ بكـ عن

الباطل لكثره ما تستعيذ به. وحدثني عن قول الله ﴿فَأَنْزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ من عنى بذلك: رسول الله أَمْ أَبَا بَكْرٍ؟ قلت: بل رسول الله قال: صدق. قال فحدثني عن قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ حَنِينَ إِذْ أَعْجَبْتُكُمْ كَثْرَتِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أتعلم من المؤمنون الذين أراد الله في هذا الموضوع؟ قلت: لا أدرى يا أمير المؤمنين. قال: الناس جمیعا انہزموا يوم حنین فلم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) إلا سبعة نفر من بنی هاشم: علي يضرب بسيفه بين يدي رسول الله، والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله، والخمسة محدقون به خوفا من أن يناله من جراح القوم شئ، حتى أعطى الله لرسوله الظفر فالمؤمنون في هذا الموضوع على خاصة ثم من حضره من بنی هاشم. قال: فمن أفضل: من كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) في ذلك الوقت وأنزل عليه السكينة، أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعا لينزلها عليه؟ قلت: بل من أنزلت عليه السكينة! قال: يا إسحاق، من أفضل، من كان معه في الغار أَمْ من نام على فراشه ووقف بنفسه، حتى تم لرسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ما أراد من الهجرة؟ إن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر عليا بالنوم على فراشه وأن يقي رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) بنفسه، فأمره رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) بذلك.

فبكى علي رضي الله عنه. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم): ما يبكيك يا علي أجزعا من الموت؟ قال: لا، والذي بعثك بالحق يا رسول الله، ولكن خوفا عليك، أفتسلم يا رسول الله؟ قال: نعم قال: سمعا وطاعة وطيبة نفس بالفداء لك يا رسول الله. ثم أتي مضجعه واضطجع، وتسجى بشوبه. وجاء المشركون من قريش فحفوا به، لا يشكون أنه رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) وقد أجمعوا أن يضريه من كل بطن من بطون قريش رجل

ضربة بالسيف لثلا يطلب الهاشميون من البطون بطنا بدمه. وعلى يسمع ما القوم فيه من تلف النفس ولم يدعه ذلك إلى الجزء، كما جزع صاحبه في الغار، ولم يزل علي صابرا محتسبا. فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركي قريش حتى أصبح فلما أصبح قام، فنظر القوم إليه فقالوا: أين محمد؟ قال: وما علمي بمحمد أين هو؟ قالوا: فلا نراك إلا كنت مغررا بنفسك منذ ليلتنا. فلم يزل علي أفضل، ما بدأ به يزيد ولا ينقص حتى قبضه الله إليه. يا إسحاق هل تروي حديث الولاية؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: أروه فعلت. فقال: يا إسحاق، أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟ قلت: إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي وأنكر ولاء علي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاده قال: وفي أي موضع قال هذا؟ أليس بعد منصرفه من حجة الوداع؟ قلت: أجل قال: فإن زيد بن حارثة استشهد قبل الغدير، كيف رضيت لنفسك بذلك؟ أخبرني لو رأيت أبنا لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى ابن عمي أيها الناس، فاعلموا ذلك.

أكنت منكرا عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟ قلت: اللهم نعم. قال: يا إسحاق: أتنزه ابنك عمًا لا تنزع عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويحكم! لا تجعلوا فقهاءكم أرباباً إن الله جل ذكره قال في كتابه: ﴿اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب، ولكن أمرهم فأطاعوا أمرهم يا إسحاق أتروي حديث "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قد سمعته وسمعت من صصحه ومن جحده. قال: فمن أوثق عندك من سمعت منه فصححه أو من جحده؟ قلت: من صصحه. قال: فهل يمكن أن يكون الرسول (صلى الله عليه

وآله وسلم) مزح بهذا القول؟ قلت: أعود بالله.

قال: فقال قولا لا معنى له فلا يوقف عليه؟ قلت أعود بالله. قال: أفما تعلم أن هارون كان أخاً موسى لأبيه وأمه؟ قلت: بلى. قال فعلي أخي رسول الله لأبيه وأمه؟ قلت: لا. قال: أوليس هارون كان نبياً وعليه غيرنبي؟ قلت: بلى. قال: فهذا الحالان معذومان من علي وقد كانا في هارون، فما معنى قوله "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"؟ قلت له: إنما أراد أن يطيب بذلك نفس علي لما قال المنافقون إنه خلفه استتقلا له. قال: فأراد أن يطيب نفسه بقول لا معنى له؟ قال فأطربت قال: يا إسحاق له معنى في كتاب الله بين. قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عز وجل حكاية عن موسى أنه قال لأخيه هارون: ﴿اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ قلت: يا أمير المؤمنين إن موسى خلف هارون في قومه وهو حي، وإن رسول الله (صلي الله عليه وآلها وسلم) خلف علياً كذلك حين خرج إلى غزاته. قال: كلام ليس كما قلت. أخبرني عن موسى حين خلف هارون، هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحد من الصحابة أو أحد من بنى إسرائيل؟ قلت: لا. قال: أوليس استخلفه على جماعتهم قلت: نعم قال: فأخبرني عن رسول الله حين خرج إلى غزاته، هل خلف إلا الضعفاء والنساء والصبيان؟ فأئن يكون مثل ذلك؟ وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه علياً لا يقدر أحد أن يجاجج فيه. قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزرني وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيرا﴾ فأنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى، وزيري من أهلي، وأخي أشد به أزرني، وأشركه في أمري، كي نسبح الله كثيراً ونذكره كثيراً أمر أن يدخل في هذا شيئاً غير هذا؟ ولم يكن ليبطل قول النبي (صلي الله عليه وآلها وسلم) وأن

يكون لا معنى له. قال: فطال المجلس وارتفع النهار فقال يحيى بن أكثم القاضي: يا أمير المؤمنين قد أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير وأثبتت ما لا يقدر أحد أن يدفعه. قال إسحاق: فأقبل علينا وقال: ما تقولون؟ فقلنا: كلنا نقول أمير المؤمنين أعزّه الله.

فقال: والله لو لا أن رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) قال: (أقبلوا القول من الناس) ما كنت لأقبل منكم القول. اللهم قد نصحت لهم القول اللهم إني قد أخرجت الأمر من عنقي اللهم إني أدينك بالتقرب أليك بحب عليٍّ وولايته.

أهل البيت (ع) هم أولو الأمر بعد النبي (ص)

الحديث الأول:

قال رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم): "من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليحوال عليا من بعدي وليحوال عليه، وليرقت بأهل بيتي من بعدي، فإنهم خلقوا من طيني ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي^١ هل هنالك أوضح من ذلك حجة علينا... دلالة واضحة ومعانٍ بينة وأوامر جازمة، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

^١ مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٨ قال صحيح على شرط الشيختين ولم يخرجه.

المبحث الثاني:

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): "إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض".

وقال أيضا: "يوشك أن يأتيني رسول ربى فأجيب وإنني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه هدى ونور وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي" وسئل زيد بن أرقم "راوى الحديث" ، فهل نساؤه من أهل بيته قال: لا. وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر أو الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده".^١

ولو لم يكن لدينا سوى هذا الحديث لكتفى لإثبات خلافة أهل البيت (ع) وإمامتهم وأنهم عدول القرآن لا يفترقون عنه وأن المتمسك بهما معا لن يصل أبدا والمفترط بهما أو بواحد منهم ضال بلا شك.

وقد حاول البعض أن يضع في مقابله حديث "كتاب الله وسنти" والعجب كل العجب أن علماءهم عندما يروون هذا الحديث يكتبون في ذيله متفق عليه والحال أن حديث "... وستي" حديث مرسل لا سند له، وأول من رواه مالك في موظنه مرفوعا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يروه غيره من أصحاب الصلاح المعتبرة بينما حديث "كتاب الله وعترتي" متواتر لدى الفريقين تسنده أحاديث أخرى بالفاظ مختلفة.

والحق يقال إن واضعي الحديث "المحترفين هذا الفن" أبدعوا وأجادوا وهم

^١ مسلم في صحيحه باب فضائل علي بن أبي طالب وروايه بثلاثة طرق مستدرك الحاكم كتاب معرفة الصحابة ص ٢٧، مسنون أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧ - ص ١٦، الترمذى ج ٥ ص ٦٦٣ - ٦٦٢.

يصنعون في مقابل كل حديث حول أهل البيت (ع) حديثاً يرفع من شأن
غيرهم والأمثلة كثيرة سندٌ كر بعضها إن شاء الله.
ولا أدرى كيف يتمسكون بهذا الحديث وأول من خالفه عمر بن الخطاب
في رزية يوم الخميس المعروفة والتي سيأتي ذكرها.. حينما قال "حسيناً كتاب
الله" وهو بنفسه الذي فرض حضرا على الصحابة في رواية أحاديث الرسول
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كما أحرق أبو بكر الأحاديث المكتوبة حتى لا
تختلط بالقرآن على حد زعمهم وغيرها من الحوادث التي ثبت عدم
الاعتراف بالسنة كما هو متعارف عليه الآن.

وحيث العترة ثبت فيما ثبت عصمة أهل البيت (ع) لأن الذي لا يفارق
القرآن ولا يفترق عنه يعني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل
القرآن تماماً، ولو كان هنالك ثمة احتمال ولو ضئيل جداً بافتراق أهل البيت
(ع) عن القرآن لما أكد لنا الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في كلامه أنهما
لن يفترقا حتى يردا على الحوض، وبهذا المعنى نفهم آية التطهير التي نزلت
في أهل البيت (ع).

﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرُّجْسَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾
ولقد أجمعت مصادر التفسير والحديث على نزول هذه الآية في خمسة النبي
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعليه وفاطمة والحسن والحسين كما جاء في
صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل البيت (ع).^١

والآية ناطقة بعصمة أهل البيت (ع) مما يؤهلهم دون غيرهم للقيام بدور
الإمامية لحفظ الشريعة الإسلامية وممارسة دور الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

^١ وجاء أيضاً مثل ذلك في المستدرك ج ٣ ص ١٤٧ وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه.

وسلم) القيادي في الأمة والذي لا يتأتي إلا لمعصوم مصطفى من السماء وهذا ما لخصته آية التطهير والتي صدرت بأداة الحصر "إنما" وهي من أقوى أدوات الحصر، وفيها إذهاب الرجس عن أهل البيت (ع) والرجس يعني مطلق الذنوب والآثام والأدنس، والقيام بالتطهير بإرادة الله تعالى.. كل ذلك مؤهلا عصمة أهل البيت (ع).

ومن أوضح الواضحات التي لا تقبل الجدل عندنا في السودان أن أصحاب الكساء أو أصحاب العباءة هم الخمسة الذين نزلت بهم آية التطهير كما تواتر في الأحاديث.

حوار حول العصمة في حديث الثقلين.

جرى حوار بيني وبين أحد الأصدقاء حول عصمة الإمام قال لي: أنت
مغالون تبالغون في حب أهل البيت (ع) حتى ادعياً لهم معصومون ومفوضون
بالتشرع ونحن لا نرى سوى عصمة الرسول (صلى الله عليه وآلـه و وسلم).
قلت: أولاً أهل السنة والجماعة لا يقولون بأن النبي معصوم في كل شيء بل
في أمر التبليغ فقط، ولا ندري كيف يحددون ويصنفون الأمور الواردة عن
النبي (صلى الله عليه وآلـه و وسلم) أي منها من الدين وأي من غيره وذلك
بخلاف قول الشيعة الذين يقولون بعصمة النبي المطلقة ولا فرق في ذلك بين
أمور التشرع وغيرها. أما عصمة أهل البيت فالآلية واضحة في دلالتها يقول
تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ الآية. أضعف إلى
ذلك مجموعة الأحاديث التي تستشف منها بوضوح دلائل العصمة وحسبك في
ذلك حديث الثقلين بعد أن ثبتت صحته لدى جمهور المسلمين سنة وشيعة.

قال: هذا الحديث لا يدل على العصمة فهو فقط يخبرنا بالرجوع لأهل البيت.
قلت: بل الحديث أوضح من أن يبحث فيه عن العصمة إذ أن صحة
الحديث يؤكـد عصمتهم وإليك البيان، وسألته: - ما قولك في القرآن؟ قال: -

ماذا تقصد؟! قلت: - هل يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه؟ قال: - لا.
قلت: - إن اقتران أهل البيت (ع) بالكتاب والتصريح بعدم الافتراق عنه يدل
على عصمتهم. إذ أن صدور أي مخالفة للشريعة منهم سواء كان عمداً أم سهواً
أم غفلة يعتبر افتراقاً عن القرآن، لو قلنا بأنهم يفترقون عنه ولو للحظة فهذا
تكذيب للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أخبر عن الله عز وجل بعدم
وقوع الافتراق وتجويز الكذب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) متعمداً

مناف لعصمه حتى في مجال التبليغ وقد أكد على الحديث في أكثر من موضع.

أضف إلى ذلك أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اعتبر التمسك بهم
عاصماً من الضلال دائمًا وأبداً كما هو مقتضى ما تفيده كلمة لن التأييدية فإذا
كان هناك مجال لضلالهم ولو للحظة فكيف يكون التمسك بهم عاصماً.

هذا عن العصمة أما ما قلته عن التفويض فلا أحد من الشيعة يقول به، إنما
هو قول أعداء الدين الذين حاولوا تسوية الصورة النقية للتتشيع، وأنت إذا
أردت أن تتعرف على معتقدات الشيعة فيجب عليك الاطلاع عليها من كتبهم
وأقوال علمائهم لا من كتب وأقوال المناوئين لهم الذين لا يتورعون عن
الكذب والافتراء، ومعروف عند الشيعة أن الأئمة يقولون بما قاله الرسول
(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو الإمام أمير المؤمنين علي (ع) يقول "علماني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب" فهم لا
يقولون بالتفويض بل أهل السنة والجماعة هم الذين فوضوا الصحابة في
التشريع حتى أمضوا اجتهادات الصحابة الواضحة مقابل النصوص المؤكدة.

بعد هذا الحوار أخذ صاحبي يبحث له عن مخرج وببدأ يقفز بالحديث هنا
وهناك ويحاول أن يجد ثغرة يصطادني بها وعندما لم يجد قال لي: - يا أخي
أنا مفوض أمرني إلى الله نحن أهل تسليم.

قلت: - التسليم لا يكون إلا للحق، أما التفويض لله فلا يلغى إرادتك ويجمد عقلك. إذا كنت تصبوا إلى الحقيقة واصل بحثك عنها ثم فوض الأمر إلى الله يهديك إلى الصراط المستقيم، أما أن تكون لا تدرى أعلى حق أنت أم على غيره ثم تفوض الأمر هذا تبرير لا يقبل شرعا ولا عقلا. وتركته وذهبت.

بقي أن نبين بعض المصادر التي ذكر فيها حديث الثقلين: -

* صحيح مسلم فضائل علي (ع).

* صحيح الترمذى ج ٥ ص ٦٦٢ - ٦٦٣.

* صحيح أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧ - ج ٥ ص ١٨٢ ومواضع متعددة.

* مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٩ وكتاب معرفة الصحابة ص ٢٧ وغيرها من المصادر.

الحديث الثالث:

قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

(مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق).
مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٤٣ وغيره من المصادر مثل كنز العمال وتاريخ
البغدادي ورواية أخرى تعصدها جاءت في مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٩ "أهل بيتي أمان لأمتى" ما أبلغ تعبير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الحديث
الذي يشبه أهل البيت (ع) بسفينة نوح التي حملت المؤمنين برسالته ومن لم
يؤمن بها أخذته أمواج الطوفان حتى ابنه الذي قال كما جاء في القرآن ﴿... سَأَوِي
إِلَى جَبَلٍ يَعْصُمِنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ (سورة هود: آية / ٤٣) لم ينج من تلك الأمواج
وأصبح من الهاكين، واليوم أمواج الفتنة تتلاطم ويدهب ضحيتها أولئك الذين
لم يركبوا في سفينة النجاة التي أخبر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... وكل
الذين يقدمون الأعذار والتبريرات لعدم تمسكهم بأهل البيت (ع) وركوبهم

سفينة النجاة هم كابن نوح الذي اعتبر الجبل عاصما له من الغرق دون السفينة، والفرق أن الجبال تعددت في وقتنا الحاضر وأكثرها علوا عند من يفكر فيها جبل "عدالة الصحابة" فهل يا ترى يعصمهم من الأمواج الهادرة؟! حتى نعطر أجواء هذا البحث ندرج على القرآن الكريم لنستضى بنوره ونقتبس منه بعض المعاني يستفيد منها من يريد أن يصل إلى الحق.

الآية الأولى: مباهلة النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) للنصارى .

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لِعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (سورة آل عمران: آية / ٦١).

تواتر لدى الفريقين نزول هذه الآية - كما بينا في حديثنا حول الزهراء (ع) - في علي وفاطمة والحسين، جاء في صحيح مسلم "ولما نزلت هذه الآية دعا رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) عليها وفاطمة والحسن والحسين فقال: اللهم هؤلاء أهلي".

قال الفخر الرازي في تفسيره "وأعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير وال الحديث " ^١

إن القرآن بدقته وبلامنته يعطي لأولي الألباب بصيرة وتوجيهها من أقصر الطرق وأيسرها والآية المذكورة تحمل دلالات عظيمة وتفصل معانٍ الاصطفاء والاختيار الإلهي في أقصر العبارات وأبلغها.

^١ التفسير الكبير للرازي ج ٨ ص ٨٠

وَكَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثُ لَمْ يَأْخُذِ الرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مَعَهُ أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذِ عَائِشَةَ أَوْ غَيْرَهَا مِنْ زَوْجَاتِهِ..

لَمْ يَأْخُذِ إِلَّا هَذِهِ الْعَصْبَةِ الْمَبَارَكَةِ وَالَّتِي لَمْ يَكُنْ اخْتِيَارُهَا اعْتِباً طِيفِيًّا أَوْ عَاطِفِيًّا فِي وَقْتٍ تَمَرُ فِيهِ الرِّسَالَةُ بِمَنْعِطْفٍ تَارِيْخِيٍّ وَهِيَ تَوَاجِهُ نَصَارَى نَجْرَانَ وَتَتَحَدَّاهُمْ إِنَّمَا كَانَ اخْتِيَارًا رِبَانِيًّا كَمَا عَبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بِقَوْلِهِ: لَوْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنِّي فِي الْأَرْضِ عَبَادًا أَكْرَمَ مِنْ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسْنِ وَالْحَسِينِ لِأَمْرِنِي أَنْ أَبَاهُلَّ بِهِمْ، وَلَكِنْ أَمْرِنِي بِالْمَبَاهِلَةِ مَعَ هُؤُلَاءِ فَغَلَبْتُ بِهِمِ النَّصَارَى.

وَيَأْتِيُ الْبَعْضُ لِإِقْناعِنَا بِأَنَّ الصَّحَابَةَ أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَ)، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكُ وَهُذَا الْاقْتِرَانُ بَيْنَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ كُلِّ مُورَدٍّ وَكَمَا وَرَدَ فِي الْآيَاتِ مَا يُؤَكِّدُ بِأَنَّهُمْ الْامْتَدَادُ الرَّسَالِيُّ لَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

وَهُنَالِكَ مَلَاحِظَةٌ جَدِيرَةٌ بِالْالِتِفَاتِ إِلَيْهَا، وَأَذْكُرُهَا لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ الْمُسْتَنِيرَةِ الْبَاحِثَةِ دَوْمًا عَمَّا هُوَ أَحْقَقُ بِالْإِتَّبَاعِ... وَهِيَ مَوْقِعَةُ عَلِيِّ (عَ) فِي آيَةِ الْمَبَاهِلَةِ فَهُوَ لَيْسُ مِنْ أَبْنَاءِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كَالْحَسْنِ وَالْحَسِينِ كَمَا أَنَّهُ بِالظَّبْعِ لَا يَدْخُلُ فِي قَائِمَةِ النِّسَاءِ وَمَعَ ذَلِكَ أَتَى بِهِ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وَلَا نَجِدُ لَهُ مَكَانًا إِلَّا نَفْسُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ﴿وَأَنفُسُنَا وَأَنفُسُكُم﴾ هَذِهِ الْمَفْرِدةُ الْقُرْآنِيَّةُ تَعْتَبِرُ عَلَيَا الْحَالَةُ التَّجَسِيدِيَّةُ الْكَامِلَةُ لِشَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَهُذَا مَا أَكَدَهُ الرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي حَدِيثِهِ "عَلَيِّ مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلَيِّ" فَتَدَبَّرْ !!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْتُمْ أَنْجَلُونَ﴾^١.
لا يختلف اثنان من وجوب طاعة أولي الأمر كما جاء في هذه الآية التي
قرنت طاعتهم بطاعة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وهؤلاء القادة
الواجبة طاعتهم على سبيل الجزم لا بد أن يكونوا في مصاف الرسول (صلى
الله عليه وآلـه وسلم) من وجود الصفات والخصائص الربانية إلى وجوب
الاقتداء والتمسك بهم وهذا يستوجب عصمتهم.. لأنـه يستحيل أنـ يأمرنا الله
تعالـى على سبيل الجزم بطاعة من يتحمل خطـوه وعصيـانـه، لأنـه مفترضـ الطاعة
بـلا استثنـاء ولا حدودـ، والاتـبعـ في حـالـةـ الخطـأـ منـهـيـ عنـهـ، فـكـيفـ يـجـمـعـ الـأـمـرـ
والـنـهـيـ فـعـلـ وـاـحـدـ باـعـتـارـ وـاـحـدـ؟

فيثبتـ منـ ذـلـكـ أـنـ مـنـ أـمـرـ اللـهـ بـطـاعـتـهـ عـلـىـ سـبـيلـ الـجـزـمـ وـجـبـ أـنـ
يـكونـواـ مـعـصـومـينـ وـذـلـكـ مـاـ تـوـصـلـ إـلـيـ الـفـخـرـ الرـازـيـ فـيـ تـفـسـيرـهـ فـأـثـبـتـ عـصـمـةـ
أـولـيـ الـأـمـرـ وـلـكـنـهـ فـيـ مـحاـوـلـةـ يـائـسـةـ حـاـوـلـ صـرـفـ الـمـعـنـىـ عـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ (عـ)
إـلـىـ أـهـلـ الـحـلـ وـالـعـقـدـ وـلـاـ نـجـدـ مـنـ هـوـ أـجـدـرـ مـنـ أـهـلـ مـنـ الـأـمـةـ وـالـذـينـ لـمـ نـجـدـ
لـهـمـ تـعـرـيـفـاـ ثـابـتـاـ أـوـ فـهـمـاـ وـاضـحـاـ فـيـ الشـرـعـ الـذـيـ أـمـرـنـاـ بـطـاعـتـهـ.

وـلـاـ نـجـدـ مـنـ هـوـ أـجـدـرـ مـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ (عـ) لـمـاـ ذـكـرـنـاـ مـنـ أـمـرـ الرـسـولـ (صـلـىـ
الـلـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) لـنـاـ بـاتـبـاعـهـمـ وـأـنـهـمـ مـعـصـومـونـ وـإـلـىـ غـيـرـ ذـلـكـ مـاـ تـقـدـمـ
ذـكـرـهـ فـهـمـ أـولـيـ الـأـمـرـ الـمـعـنـيـونـ بـالـآـيـةـ.

وبـهـذـاـ تـكـوـنـ الـحـقـيـقـةـ قـدـ تـجـلـتـ لـمـنـ يـرـيدـ الـأـخـذـ بـهـ وـإـنـ مـعـالـمـ طـرـيقـ الـخـلـاـصـ
بـاتـ وـاضـحـةـ وـسـبـيلـ النـجـاةـ مـنـحـصـرـ فـيـ اـتـبـاعـ أـهـلـ الـبـيـتـ (عـ) وـعـلـىـ الـأـقـلـ فـإـنـ هـذـاـ مـاـ

^١ سورة النساء: الآية / ٥٩.

قادني إليه الدليل - أهل البيت الذين اصطفاهم الله لحمل أعباء الرسالة بعد رسوله الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) مستحفظاً بعد مستحفظ أو صياء معصومون يحافظون على سير الشريعة في خطها المستقيم وينفون عنها كل الشبهات ويقفون بقوة أمم محاولة تحريفها من قبل المنافقين والحاقدين، والتاريخ يشهد لهم بذلك وواقتنا أيضاً وسبعين ذلك لاحقاً.

عندما كنت أحاور ذلك السلفي الذي أجريت معه المناقضة المذكورة في أول الكتاب وفي أثناء حوارنا لمعت عيناه فجأة وكأنه عثر على ضالته وفاجأني بسؤال معتقداً أنه سيضعني في زاوية حرج... سؤال من ظن أنه بلغ متنه العلم والحكمة، قال: من قال لكم أن الأئمة اثنا عشر ولماذا هذا العدد بالذات؟ وضحك!! قلت له: يا أخي بالنسبة للعدد فلو فتحنا هذا الباب لمعرفة الحكمة من العدد سأجر إليك أسئلة لا قبل لك بها فلماذا كان الخلفاء أربعة فقط؟ ولماذا اختار موسى سبعين رجلاً لميقات ربه ولم يكونوا ثمانين؟ ولماذا خلق الله سبع سماوات وسبعاً من الأرض ولم تكن كل واحدة منها عشرة مثلاً ولماذا كان عدد نقباءبني إسرائيل اثنا عشر ولماذا يقول تعالى ﴿وَقَطَعْنَا هُمْ أَثْتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطَ أَمْمَـا﴾ ولم يكونوا خمسة عشر وهكذا... أضف إلى ذلك أن الآيات والروايات التي وردت عن أهل البيت (ع) كافية لتجهنا للأخذ منهم ونحن لم نجد سوى الشيعة متمسكة بهم وهنالك تعلم بعدد الأئمة ولا ضرورة للاحتجاج عليك بعدد الأئمة من مصادركم لأن الموضوع فرعى ومع ذلك وبلطف من الله تعالى لإظهار الحق وإقامة الحجة لم تخلي مصادر أهل السنة والجماعة من الأحاديث التي تحدد عدد الأئمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وصدفة كنت أحمل أحد مجلدات موسوعة تجمع ما جاء في الصحاح الستة من أحاديث وفتحت باب الإمارة وقرأت عليه عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله (صلى

الله عليه وآلها وسلم): " يكون بعدي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش " وقلت له:
 هل سمعت؟ فبهت الذي كفر.. وانتفاض انتفاضة قوية وكأنه قد مس بطائف
 من الشيطان، وقال: من أين لك هذا الحديث؟! فذكرت له المصادر وأذكراها
 هنا تتمة للفائدة:

* صحيح البخاري كتاب الأحكام ج ٩ ص ٧٢٩.

* صحيح مسلم ج ٣ كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش.

* صحيح الترمذى ج ٤ ص ٥٠١.

* سنن أبي داود كتاب المهدى ص ٥٠٨.

* مسنـد أـحمد بن حـنـبل ج ١ ص ٣٩٨.

وهذا الحديث جعل علماء أهل السنة يعيشون في تخبـط ومشكلة كبيرة لـنـ يـخـرـجـواـ مـنـهـاـ وـلـنـ يـجـدـواـ لـهـ حـلـ إـلـاـ عـنـ أـتـبـاعـ أـهـلـ الـبـيـتـ (عـ)ـ وـهـمـ الشـيـعـةـ
 المعـرـوفـونـ بـ"ـالـاثـنـيـ عـشـرـيـةـ"ـ ..ـ وـلـقـدـ حـاـوـلـ الـبـعـضـ أـنـ يـجـدـ تـفـسـيرـاـ مـعـقـولـاـ
 لـلـحـدـيـثـ عـلـىـ أـرـضـ الـوـاقـعـ فـمـنـهـمـ مـنـ عـدـ أـبـاـ بـكـرـ وـعـمـرـ وـعـثـمـانـ وـعـلـيـ وـتـوـقـفـ،ـ وـمـنـهـمـ
 مـنـ زـادـ عـلـيـهـمـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ ثـمـ تـحـيرـ،ـ وـبـعـضـهـمـ أـضـافـ إـلـيـهـمـ مـعـاوـيـةـ وـبـنـيـ
 أـمـيـةـ فـلـمـ يـوـقـنـ لـضـبـطـ الـعـدـ وـآـخـرـ أـصـبـحـ اـنـتـقـائـيـاـ يـخـتـارـ كـمـاـ يـتـرـاءـىـ لـهـ وـهـكـذـاـ...ـ
 وـالـأـمـرـ لـأـغـمـوـضـ فـيـهـ وـلـاـ لـبـسـ عـنـ شـيـعـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ ذـلـكـ بـعـدـ أـنـ عـلـمـاـ
 حـقـهـمـ فـيـ الـوـلـاـيـةـ وـالـخـلـافـةـ بـعـدـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ وـلـيـسـ مـنـ
 الـمـعـقـولـ أـنـ يـخـرـجـ هـذـاـعـدـ خـارـجـ دـائـرـتـهـمـ وـقـدـ جـاءـ فـيـ يـنـابـيعـ الـمـوـدـةـ لـلـقـنـدـوـزـيـ
 الـحـنـفـيـ الـبـابـ (٩٤)ـ عـنـ الـمـنـاقـبـ بـسـنـدـهـ عـنـ جـاـبـرـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ الـأـنـصـارـيـ قـالـ:ـ قـالـ
 رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ):ـ يـاـ جـاـبـرـ إـنـ أـوـصـيـأـيـ وـأـئـمـةـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ
 بـعـدـيـ أـوـلـهـمـ عـلـيـ ثـمـ الـحـسـنـ ثـمـ الـحـسـيـنـ ثـمـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـيـنـ ثـمـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ
 الـمـعـرـوفـ بـالـبـالـقـرـ سـتـدـرـ كـهـ يـاـ جـاـبـرـ إـذـاـ لـقـيـهـ فـأـقـرـئـهـ مـنـيـ السـلـامـ ثـمـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ
 ثـمـ مـوـسـىـ بـنـ جـعـفـرـ ثـمـ عـلـيـ بـنـ مـوـسـىـ ثـمـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ ثـمـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ ثـمـ

القائم اسمه اسمي وكنيته كنيتي محمد بن الحسن بن علي "المهدي" ذلك الذي يفتح الله تبارك وتعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها .

أما النصوص الواردة من مصادر الشيعة عن طريق أهل البيت (ع) فهي متواترة وواضحة بخصوص هذا الشأن، ولم يرع أحد من الأئمة أنه أحد الأئمة الثاني عشر كما قال أهل البيت (ع) عن أنفسهم والتاريخ يخبرنا عن سيرتهم بل أعداؤهم اعترفوا بمكانتهم السامية وعلمهم الغزير وأخلاقهم الرفيعة وهم كما جاء في الحديث آنف الذكر:

- ١ - علي بن أبي طالب.
- ٢ - الحسن بن علي.
- ٣ - الحسين بن علي.
- ٤ - علي بن الحسين الملقب بزين العابدين والسجاد.
- ٥ - ثم ابنه محمد بن علي الملقب بالباقر.
- ٦ - ثم ابنه جعفر بن محمد الملقب بالصادق.
- ٧ - ثم ابنه موسى بن جعفر الملقب بالكاظم.
- ٨ - ثم ابنه علي بن موسى الملقب بالرضا.
- ٩ - ثم ابنه محمد بن علي الملقب بالجواد.
- ١٠ - ثم ابنه علي بن محمد الملقب بالهادي.
- ١١ - ثم ابنه الحسن بن علي الملقب بالعسكري.
- ١٢ - ثم ابنه محمد بن الحسن ويدعى المهدي والقائم والحجة. هؤلاء هم أولو الأمر الذين فرض الله علينا طاعتهم في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ وعرفنا منزلتهم ذرية بعضها من بعض والله سميح علیم (سورة آل عمران: آية / ٣٤).

الفصل السادس

الانقلاب

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبُتِمْ عَلَىٰ
أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يُضْرِبَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾
(سورة آل عمران: آية / ١٤٤)

ماذا حدث؟

اختزلت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) ما حدت بكلمات بلغة في خطبتها الرايعة، قالت: "فَلِمَا اخْتَارَ اللَّهُ لَنْبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) دَارَ أَنْبِيَائِهِ وَمَأْوَى أَصْفِيَائِهِ، ظَهَرَتْ فِيْكُمْ حَسْكَةُ النَّفَاقِ وَسَمْلُ جَلْبَابِ الدِّينِ وَنَطَقَ كَاظِمُ الْغَاوِينَ وَنَبْغَ خَامِلُ الْأَقْلِينَ وَهَدَرَ فَنِيقُ الْمَبْطَلِينَ فَخَطَرَ فِي عَرَصَاتِكُمْ وَأَطْلَعَ الشَّيْطَانَ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ هَافِتاً بِكُمْ، فَأَلْفَاكُمْ لَدُعْوَتِهِ مُسْتَجِيْبِينَ، وَلِلْغَرَةِ فِيهِ مَلَاحِظِينَ ثُمَّ اسْتَنْهَضْتُمْ فَوْجَدُكُمْ خَفَافِاً، وَأَحْمَشْتُمْ فَأَلْفَاكُمْ غَضَابِاً فَوَسَّمْتُمْ غَيْرَ إِبْلِكُمْ وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ مُشَرِّبِكُمْ، هَذَا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ وَالْجَرْحُ لَمَا يَنْدَمِلُ وَالرَّسُولُ لَمَا يَقْبَرُ...".

عبارات رصينة تلحوظ الانقلاب الذي جرى بعد وفاة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الذي لم يأل جهداً في بيان حدود الشريعة ولم يسكت عن أمر الخلافة وأوضح للأمة ما يجب أن تتمسك به بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى - كما بینا - ولكن أبي البعض إلا أن يخالف أوامر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ليدخل الأمة في نفق مظلم ومتاهات تتخطى فيها إلى يومنا هذا اللهم إلا من أنعم الله عليه بمعرفة أهل البيت (ع) حق المعرفة.

وما أن تحاول الخوض في غمار أحاديث الانقلاب إلا ويظهر لك من تمسم بلباس الدين ليخرج من جيبيه بطاقة الفتنة ويشهرها في وجهك، أو يخرج لك صنم "عدالة الصحابة" ، لكي توجه إليه تاركا المقاييس الإلهية الحقيقة التي تميز بها الحق عن الباطل .. وعندما يضطر أحد هم لمناقشة قضية الخلافة يطوي هذه الصفحة سريعاً قائلاً: إن المسلمين والصحابة اتفقوا على خلافة أبي بكر التي

كانت بالshorei الإسلام! أقول يا م كانكم اليوم الهروب من الحقيقة بسبب العاطفة اللامنطقية والتعصب الأعمى ولكن لا بد أن يكشف الغطاء هنالك في يوم المحشر وحينها ستقولون ﴿يا ليتني كنت ترابا﴾.

ومع هذا يسخر الله من يسب أغوار التاريخ ليخرج لنا الحقيقة، وستكون كتب القوم شاهدة على وهن ما يعتمدونه من تصويب كل ما فعله الصحابة المقدسون.

وقبل مناقشة ما جرى في السقيفة من أحداث الشورى المزعومة يجدر بنا أن نتحدث عن أهم نظرية أسس عليها أهل السنة والجماعة قاعدهم التي انطلقو منها لأخذ معالم دينهم وهي "نظرية عدالة الصحابة" وبئس ما أسسوا ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله والله لا يهدى القوم الظالمين﴾^١. هذه النظرية التي تخالف منطق القرآن والعقل بل وتناقض صريح الأحاديث الشريفة الواردة في كتب التاريخ والسيرة جعلت الأمة تtie وتحبط وأحياناً تجمد وتقف حائلاً بين الناس والحق، فهو لاء الصحابة بأنفسهم يهدمون هذه النظرية من أساسها بأقوالهم وأفعالهم، أما ما وضع من فضائل مكذوبة لهم فلا يحتاج أمرها إلى ذكاء خارق لمعرفة ضعفها ووهنها سندًا ومتناً وذلك لمخالفتها الواقع، ولو لم تكن إلا هذه النظرية لكتفى بها تمييعاً وتضعيفاً لمعتقد أهل السنة والجماعة الذي لا يفرق بين المسلم والكافر ولا بين المؤمن والمنافق.

^١ سورة التوبه: آية / ١٠٩.

مع عدالة الصحابة

الصحابي عند أهل السنة والجماعة هو كل من لقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤمنا به ولو ساعة من النهار ومات على الإسلام، وبالطبع لم يبق بمكة والطائف أحد سنة عشر إلا أسلم وشهد مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حجة الوداع. وإنه لم يبق في الأوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ودخل في الإسلام، وألحق بهذا الكم الهائل من أمروا في الفتوح بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كل هؤلاء يدخلون تحت مصطلح الصحابي بمفهوم أهل السنة.

ويررون أنهم كلهم عدول كما قال ابن عبد البر في مقدمة كتابه الإستيعاب، "والصحابة يشاركون سائر الرواية في كل ذلك إلا في الجرح والتعديل فإنهم كلهم عدول" وقال ابن حجر "اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول" وغير ذلك من أقوال علمائهم ويررون زندقة من يناقش أحوالهم.

* القرآن وعدالة الصحابة:

القرآن الكريم يقف عكس هذا الكلام تماما وينقضه وكذلك العقل الذي لم يهبه الله لنا إلا لتصديق الوحي ومن ثم الانطلاق لمعرفة الحقائق، وما جرى بين أولئك الصحابة يجعلنا نقف حيارى أمام أفعالهم المخالفة للدين في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاته وما فعلوه في أهل بيته.

والمتتبع لآيات الذكر الحكيم بعيدا عن التعصب والالتفاف إعراضا عن الحقيقة يدرك أن في الصحابة منافقين مردوا على النفاق، ورموا فراش

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإفك وحاولوا اغتياله وفيهم المرتابون وأن القلة منهم مؤمنة بحق وقد أطلق عليهم القرآن صفة الشاكرين ﴿لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون﴾^١ ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾^٢ ويقول ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾^٣. ونفس هؤلاء الأصحاب قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهم أنهم يوم القيمة يختلجون دونه فيقول: " أصحابي، أصحابي فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدهك". ومما لا شك فيه أن المنافقين والمرتابين والذين سينقلبون على أعقابهم عاشوا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصلوا خلفه وصحبوه في حله وترحاله، وهذه بعض الآيات التي تتحدث عن حال بعضهم وهو حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ (سورة الحجرات: آية / ١٤).

﴿إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ربهم يترددون﴾ (سورة التوبه: آية / ٤٥). ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا يفقهون﴾ (سورة التوبه: آية / ٨١).

﴿ذلك بأنهم أتبعوا ما أ Sextط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم، أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم، ولو نشاء﴾

^١ سورة الزخرف: آية / ٧٨.

^٢ سورة الأعراف: آية / ١٧.

^٣ سورة سباء: آية / ١٣.

﴿لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾

(سورة محمد: آية / ٢٨ - ٣٠).

﴿ها أنتم تدعون لتنتفعوا في سبيل الله فمنكم من يدخل، ومن يدخل فإنما يدخل عن نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (سورة محمد: آية / ٣٨).

﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾ (سورة محمد: آية / ١٦).

﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن، قل هو أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ (سورة التوبة: آية / ٦١).

﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتكم مدبرين﴾ (سورة التوبة: آية / ٢٥).
أقول أضعف إليها قوله تعالى: -

﴿ومن يولهم يومئذ ذبره إلا متحرفا لقتال أو متخيزا إلى فئة، فقدباء بغضب من الله وأماؤاه جهنم وبئس المصير﴾ (سورة الأنفال: آية / ١٦)..
فتتأمل!..

وهنالك فئة كبيرة من المنافقين لم يتNASAها القرآن وأشار إليها بوضوح في أكثر من مورد وهي جماعة لا يستهان بها.. ولكن للأسف ونحن ندرس التاريخ في مدارستنا لم نعلم منهم إلا عبد الله بن أبي سلول، وكلما ذكر النفاق في عهد رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) قفز إلى ذهني هذا المنافق مع أن القرآن يركز عليهم بشدة وذلك لا يكون إلا إذا كانت حركة النفاق قوية جدا

داخل المجتمع الإسلامي ولو لا ذلك لم يولها القرآن هذا الاهتمام. والعجب كل العجب أن هذا التيار المنافق سكنت حركته بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا ندرى لماذا؟ فهذه الفتنة المنافية إما أنها آمنت بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على يد الخلفاء الثلاثة، وإما وجدت الوضع ملائماً في عهدهم فقفزت إلى أعلى مراكز السلطة وامتلكت قرار الأمة، والأخير أقرب، وما جرى بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دليلنا على ذلك: ما أن أجمع المسلمون على تنصيب علي (ع) بعد مقتل عثمان حتى بُرِزَ النفاق من جديد ليقود الحرب ضد خليفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فخاض على الحروب المتالية - الجمل، صفين، النهروان، وأخيراً استشهد ليعود الأمر كما كان عليه وتنسلط جبهة النفاق على رقاب المسلمين من جديد. وهذه بعض من الآيات تبين مدى قوّة جبهة النفاق في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

﴿يَحْذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُبَثِّمُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أَسْتَهِنُّوْ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذِرُونَ﴾ (سورة التوبة: آية / ٦٤).
﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِّنْ أَعْرَابٍ مُّنَافِقُونَ وَمَنْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرْدُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾
(سورة التوبة: آية / ١٠١).

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُ كُفَّارًا وَنَفَّاقًا وَأَجَدْرُ أَلَا يَعْلَمُوا حَدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة: آية / ٩٧).
﴿وَمَنْ أَعْرَابٌ مَّنْ يَتَخَذُ مَا يَنْفَقُ مَغْرِمًا وَيَتَرْبَصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةٌ السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة: آية / ٩٨).
﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مَنْ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ

المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون》

(سورة التوبه: آية / ٦٧).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ نَارًا جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسِيبُهُمْ

وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (سورة التوبه: آية / ٦٨).

﴿وَيَعْذِبُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْمُشْرِكَاتُ الظَّانِينُ بِاللَّهِ ظُنُونًا

السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةً السُّوءِ وَغَضْبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَعْنَهُمْ وَأَعْدَ اللَّهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ

مَصِيرًا﴾ (سورة الفتح: آية / ٦).

هذا قليل من كثير ولو تصفحنا كتاب الله لتعرفنا على مزيد من صفات

المنافقين والمنافقات ولما احتجنا إلى كل هذا التكليف حتى نصنع حالة قدسية

لكل من صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهنالك كما لا يخفى على الألمعي علاقة بين حركة التيار المنافق

والحروب التي جرت في عهد الإمام علي (ع)، ونظرة إلى أحاديث رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) حول صفات المنافقين تصل إلى السر الذي جعل

الجيوش تتحرك لقتال علي (ع) قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي

(لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق).

هذا المعيار أووضح من أن يحتاج إلى بيان، إذ أن من صفة المنافق بغض

علي (ع) وأعظم مصداق للبغض في أعلى مرتبة الحرب..

ولقد ورد هذا الحديث في صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب قال:

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي (صلى الله عليه وآله وسلم)

إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق^١.

^١ صحيح مسلم ج ١ ص ٦١ باب الدليل على أن حب الأنصار وعلى من الإيمان.

ولقد كان ذلك معروفا في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) حتى قال أبو ذر: "ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكتذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب".^١

السنة وعدالة الصحابة:

قال (صلى الله عليه وآلہ وسلم): - "ليردن علي أناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي فيقال: لا تدرى ما أحدثوا بعدك".^٢

يا قوم ما لكم كيف تحكمون؟ من أين لكم بهذه الخزعبلات التي يرفضها القرآن والسنة؟ لماذا نظل نبرر كل انحراف؟ وإلى متى نغض الطرف عمّا حدث؟ حتى هؤلاء الصحابة شهدوا على أنفسهم بأنهم أحدثوا الكثير بعد رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) كما جاء في البخاري" عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلت: طوبى لك صحبت النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) وبأيته تحت الشجرة! فقال: يا بن أخي إنك لا تدرى ما أحدثنا بعده".^٣

وقال أنس بن مالك "ما عرفت شيئاً مما كان على عهد النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) غير الصلاة وقد ضيعتم ما ضيعتم منها. وقال الزهرى دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيغت".^٤

^١ مستدرک الحاکم ج ١٢٩ / ٣.

^٢ البخاري باب الحوض كتاب الرقاق ج ٤ / ٩٥ صحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا.

^٣ البخاري ج ٥ ص ٦٦.

^٤ البخاري ج ١ ص ٧٤.

وروى أنس بن مالك أن رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال للأنصار: إنكم سترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض، قال أنس فلم نصبر ^١

وإليك هذه الحادثة التي توضح حال هؤلاء الصحابة مع رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: أقبلت عير من الشام تحمل طعاماً ونحن نصلى مع النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) الجمعة فانقض الناس إلا اثنين عشر رجلاً فنزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رأُوا تجارةً أَوْ لَهُوا انفضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكُ قَائِمًا﴾.

وغير ذلك من الأحداث التي تبين الحالات المتباعدة بين الصحابة، ولكن أهل السنة وخاصة علماءهم أبو إلا يطمسوا الحقيقة ويستغفلوا العامة بلعبيهم على وتر العاطفة وارتباط الناس بدينهم فجعلوا الصحابة أصلاً من أصول الدين لا يجوز النقاش فيه أو السؤال عنه أو الطعن فيه بينما يمكنك الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) بكل ارتياح، وأصبح عندهم الأمر عكسياً الأصل (النبوة) صار فرع والفرع (الصحابة) أصبح أصلاً، (وعند نقدك لأحد الصحابة تتهم بالزندة وعندما تدافع عن عصمة الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) يثبتون بشتى الطرق أنه يخطئ ويسيء ويصيبه السحر وأن عمر بن الخطاب يفكر ويقدر أفضل منه)^٢ ، والمسلمون منقادون لعلمائهم بدون تعقل ودرأية ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾^٣. فخاضوا بهم في

^١ البخاري ج ٢ / ١٣٥.

^٢ أنظر البخاري ج ١ / ٢٢٥ و ج ٢ / ٧٢٦.

^٣ سورة التوبة: آية / ٣١.

متاهات لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى، وكثيراً ما يشتبه البعض في الاستدلال على عدالة جميع الصحابة بقوله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايِعُونَكُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ مع أن الآية تتحدث عن المؤمنين فقط وتحصر رضى الله سبحانه وتعالى فيهم، والاستدلال بقوله تعالى (المؤمنين) على أنهم جميع الصحابة محل نظر يضاف إلى ذلك أن هنالك منافقين قد بايعوا رسول الله على هذه الواقعة ومن ضمنهم كما ذكر المؤرخون عبد الله بن سلول المنافق المعروف فهل يا ترى تشمله هذه الآية؟ إذا قلنا بالمعنى فالمعنى الواضح أن الآية لا تشمل كل من بايع وإنما المؤمنين منهم وبالتالي فهي مخصصة ولا يصح أصلاً الاحتجاج بها لأنها أخص من المدعى، وإثبات إيمان كل الصحابة يحتاج إلى دليل سابق على ذلك. ثم إن الله تعالى يقول في آية أخرى (إن الذين يبايرونك إنما يبايرون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) والآية صريحة بإخبارها أن هنالك من ينكث وبهذا يكون رضا الله تعالى ما دام الإيمان والاستقامة وعدم الانتكاث، وحديث إبراء المتقدم يؤكّد على ذلك.

الصحابة عند شيعة أهل البيت (ع):

أما أهل البيت وشيعتهم "فирؤن أن لفظ الصحابي ليس مصطلحاً شرعاً وإنما شأنه شأن سائر مفردات اللغة العربية، والصاحب في لغة العرب بمعنى الملائم والمعاصر ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته، والصحبة نسبة بين اثنين، ولذلك لا تستعمل الصاحب وجمعه الأصحاب والصحابة في الكلام إلا مضافاً، كما ورد في القرآن الكريم ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ﴾ و ﴿أَصْحَابُ مُوسَى﴾ وكذلك كان يستعمل في عصر الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقال:

صاحب رسول الله : وأصحاب رسول الله ، مضافا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) أو مضافا إلى غيره مثل قولهم (أصحاب الصفة) لمن كانوا يسكنون صفة مسجد الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) ثم استعمل الصحابي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) بلا مضاف إليه وقدد به أصحاب النبي، وصار اسما لهم، وعلى هذا فإن (الصحابي) و (الصحابة) من اصطلاح المتشرعا وتسمية المسلمين، وليس اصطلاحا شرعا.

أما عدالتهم فإن مدرسة أهل البيت (ع) ترى تبعا للقرآن أن في الصحابة منافقين ومرتابين... الخ كما بينا بالآيات والأحاديث، والصحبة عندهم ليست بهذا المفهوم الذي أسس عليه أهل السنة دينهم، وعندما يتحدثون عن الصحابة يضعون نصب أعينهم آيات الذكر الحكيم وقول إمامهم علي (ع) عندما سئل أمن المعقول أن تكون عائشة وطلحة والزبير على باطل قال: " ويحك يا رجل لا يعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله " .

وهكذا فالشيعة يقدسون ما قدسه الله ويلتزمون بالولاء لمن التزم بقيم السماء ويتبرؤون من أعداء الله ورسوله وأهل بيته المنصوص عليهم، ولهم أدعية يقرؤونها ويدعون بها لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) المخلصين ومن أشهرها ما ورد في الصحيفة السجادية للإمام الرابع للشيعة علي بن الحسين " زين العابدين (ع) " .

"... اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة والذين أبلوا البلاء" الحسن في نصره وكافوه وأسرعوا إلى وفاته وسابقوا إلى دعوته واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأرواح والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في ثبيت نبوته وانتصروا به، ومن كانوا منظومين على محبهه يرجون تجارة لن تبور في مودته والذين هجرتهم العشائر إذ تعاقوا بعروته... الخ الداعء.

محببة الأمة:

والمحببة التي منيت بها هذه الأمة هي عدم كتابتها للحديث وذلك بفضل ذكاء أبي بكر وعمر الحاد اللذين شددا في منع نشر كلمات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتأخر زمان التدوين ليتهزء معاوية الفرصة ويغدق في العطاء للواعظين للحديث ويتوسّع عليهم لضرب خصومه السياسيين وعلى رأسهم علي (ع) الذي أمر معاوية بسببه على المنابر، استفاد معاوية من هذا المنع وأجزل في الدفع لوعاظ المسلمين لكي يختلقوا له مجموعة من الفضائل والمناقب للخلفاء الثلاثة في مقابل فضائل علي (ع)، وعلى امتداد التاريخ لم يبق حديث في فضائل أهل البيت (ع) إلا وألفوا في مقابله فضيلة لأعدائهم، ومثال ذلك حديث " أصحابي كالنجوم بأبيهم اقتديتم" والذي كان في مقابل حديث " النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض".

قلت لأحدهم وهو يحاورني: إن كان حديث أصحابي كالنجوم صحيحًا أفالاً يعتبر علي منهم فيحق لي اتباعه؟ قال: علي من أكبر الصحابة! قلت له: إذا أنا أقتدي بعلي (ع) الذي رفض بيعة أبي بكر وقاتل عائشة وطلحة والزبير ولو ظفر بطلحة والزبير أثناء القتال في صفوف أعدائه لقتلهم، و كنت سأقاتل مع علي (ع) لو كنت حاضراً في حرب صفين ولو تمكنت من معاوية لقتلته، وكنت سأجهز على عمرو بن العاص وهو يظهر سوأته لعلي (ع) حتى لا يقتله! أليس من حقي أن أقتدي بأبي صحابي كما تدعون؟!!... ألا ساء ما يحكمون.

حديث العشرة المبشررين المزعوم:

ما بدأت حواراً مع أحد ما جرى بعد رسول الله (صلى الله عليه

وآله وسلم) إلا وبادرني "إنهم مبشرون بالجنة" مستنداً إلى حديث العشرة المبشرين بالجنة كما يزعمون وإنه لعمري حديث لا يحتاج مني إلى كثير عناء لإثبات ونهه ومخالفة متنه الواقع للأحداث التاريخية، وهو لا يعلو أن يكون إحدى الأكاذيب التي وضعت كغيرها من الفضائل، وأورده هنا كنموذج لمأساة الأمة.

العشرة المبشرة بالجنة هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح.

هذا الحديث الضعيف سندًا كما بين فطاحل العلم يكذبه متنه كذلك ولا ندري لماذا اشتهر هؤلاء العشر بالتبيير بالجنة وحضرت فيهم مع أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشر غيرهم كآل ياسر والحسن والحسين وأبي ذر، والقرآن أيضاً يبشر كل من آمن وعمل صالحاً ثم اهتدى بالجنة.

إن هؤلاء الذين يرفعون عقيرتهم بمثل هذه الروايات الموضوعة لم يفطنوا إلى وضوح كذب الأحاديث إذ أنها لو كانت وردت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حقيقة لسمعنا في التاريخ احتجاج عمر بها مثلاً في السقيفة كدعائية انتخابية لأبي بكر يسند بها انتخابه له.

وياليتني أجد من يوضح لي هل من الممكن أن يكون عبد الرحمن بن عوف أحد رواة هذا الحديث معتقداً بصححته ومع ذلك يسل سيفه على علي (ع) يوم شورى السنة قائلاً: بايع وإلا تقتل؟ ويقول لعلي (ع) بعدما انتقضت البلاد على عثمان: إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي إنه قد خالف ما أعطاني. وهل أبو بكر وعمر المبشران بالجنة هما اللذان ماتت الصديقة بضعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي واجدة عليهم؟ وهل هما اللذان قالت لهما: إني أشهد الله ولملئكته أنكم أسطع ملائكة وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي لأشكونكم

إليه؟ وهل أبو بكر هذا هو الذي أوصت فاطمة (ع) أن لا يصلى عليها وأن لا يحضر جنازتها؟ وهل كان عمر يصدق هذه الرواية وله إلمام بها وهو يناشد مع ذلك حذيفة اليماني العالم بأسماء المنافقين ويسأله عن أنه هل هو منهم؟ وهل كان طلحة والزبير يؤمنان بقول الرسول (صلى الله عليه وآلله وسلم) وهما يؤلبان على عثمان ويشاركان في قتله؟ وهما اللذان خرجا على إمامهما وخليفة المسلمين المفروض عليهم طاعته بعد أن عقدت له البيعة فنكثا بيته وأسعاوا عليه نار البعض وقاتلاه وقتلا.

أو ليس طلحة والزبير هما اللذان ارتكبا من رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) في هتك حرمته ما لم يرتكبه أحد، حينما أخرجا زوجته عائشة تسير بين العساكر في البراري والفلوات غير مبالين في ذلك ولا متحرجين؟؟؟

وغير ذلك الكثير مما يؤكّد أن الحديث مكذوب على رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) من أصله ولا تحتاج معرفة ذلك إلى كبير عناء.

الدقيقة

حتى نتعرف على حقيقة ما جرى يوم تنصيب أبي بكر خليفة للمسلمين لا بد لنا من أن نتصفح أحداث ذلك اليوم ومن ثم نحدد هل هي الشورى كما يدعون: جاء في طبقات ابن سعد "عندما انتقل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى اجتمعت الأنصار في سقيفة بنى ساعدة وتبعهم جماعة من المهاجرين^١. ولم يبق حول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أقاربه الذين

^١ فقط أبها يك وعمه وأبو عسدة.

تولوا غسله وتكفينه وهم: علي والعباس وابناء الفضل وقشم وأسامة بن زيد صالح مولى رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) وأوس بن خولي الأنصاري، ولشخص عمر بن الخطاب خبر السقيفة فقال: إنه كان من خبرنا حين توفي رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم)، أن الأنصار اجتمعوا في السقيفة "سقيفةبني مساعدة" وخالف عنا علي والزبير ومن معهما فقلت لأبي بكر: إنطلق بنا إلى إخواننا الأنصار فانطلقتنا حتى أتيناهم فإذا رجل مزمل، قلنا من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة يوعك. فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأثنى على الله، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معاشر المهاجرين رهط نبينا وقد دفت إلينا من قومكم دافة. قال عمر: فلما رأيتم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبوна الأمر وقد كنت زورت في نفسي مقالة أقدمها بين يدي أبي بكر فلما أردت أن أتكلم قال: على رسلك فكرهت أن أغضبه، فقام فحمد الله وأثنى عليه فما ترك شيئاً كنت زورت في نفسي أن أتكلم به لو تكلمت إلا قد جاء به أو بأحسن منه وقال: أما بعد يا معاشر الأنصار فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا وأنتم له أهل (وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش) ^١ (وهم أوسط دارا ونسبا) (ولكن قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين) فبایعوا أيهما شئتم فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، فلما قضى أبو بكر كلامه قام منهم رجل فقال: "أنا جزيلها المحك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معاشر قريش".

^١ تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٤٦.

قال عمر فارتفعت الأصوات وكثر اللغط فلما أشفقت الاختلاف قلت لأبي بكر: بكر: ابسط يدك أبا يعك قال أبو بكر: بل أنت يا عمر فأنت أقوى لها مني وكان عمر كما ينقل الطبرى أشد الرجلين وكان كل واحد منهم يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها ففتح عمر يد أبي بكر وقال: إن لك قوتي مع قوتك فباع الناس واستثنوا البيعة وتختلف علي والزبير واحتظرت الزبير سيفه وقال: لا أغمرده حتى يباع على فبلغ ذلك أبا بكر وعمر فقال عمر: خذوا سيف الزبير فاضربوا به الحجر قال فانطلق إليهم عمر فجاء بهما تعبا وقال لتباعان وأنتما طائعان أو لتباعان وأنتما كارهان ^١.

يقول عمر ثم نزونا على سعد حتى قال قائلهم قتلتم سعدا فقلت: قتل الله سعدا وإن الله ما وجدنا أمرا هو أقوى من مبايعة أبي بكر ^٢.
هكذا كانت أحداث السقيفة، مهزلة تاريخية عاد الناس فيها إلى جاهليتهم حتى قال أحدهم لعمر " والله لنعيدها جذعة " وهو نفسه القائل " أنا جديها المحرك... ".
إن ما جرى في السقيفة لعبة سياسية ومسرحية درامية وضع لها السيناريو وحكت خيوطها قبل تنفيذها، ولم يكن المنطق فيها للقيم والمبادئ بل لتعرات جاهلية.
ولم نر فيها وجودا للمهاجرين سوى هذا الثلاثي أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وهو ما يحتاج إلى تفسير فلماذا هؤلاء بالذات دون غيرهم وكما يقول عمر لقينا رجلان صالحان شهدا بدرًا فأخبرنا بخبر السقيفة ولم يذكر اسميهما. فمن هما وما هو السر في اختيارهما لهؤلاء.

ثم إن وجود هذا الثلاثي في المدينة غير شرعي لأنهم مأمورون بإنفاذ الجيش الذي أعطى الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) أمر القيادة فيه لأسماء

^١ المصدر ص ٤٤٤.

^٢ المصدر ص ٤٤٧.

كما سينأينا خبره.

وماذا كان يضير هؤلاء الثلاثة إذا عملوا على تهدئة الأوضاع حتى يدفن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خصوصا وأن فيهم أبا بكر، وعلى حد زعمهم له المكانة التي كان يمكن استغلالها لذلك أم أن الأمور ستصبح على خلاف ما يشتهون؟!

أما الحضور الكمي لهذه الشورى فلا أظن أنه كان كبيرا خصوصا لو علمنا أن هذه السقيفية مكان لا يتسع بأي حال من الأحوال إلى عدد كبير أضعف إلى ذلك غياب عدد كبير من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى رأس أولئك علي والهاشميون لأنهم كانوا في شغل عن الأمر بمصيبة وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تناساها الخليل الصديق وهو يسعى وراء الخلافة. يقول عمر "إنه كان من خبرنا حين توفي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة".

أي شورى هذه التي لم يحضرها بباب مدينة العلم الفاروق الأكبر والصديق الأول علي بن أبي طالب (ع)، ومن أين تستمد شرعيتها وكل سكان المدينة آنذاك ناهيك عن الدولة الإسلامية لم تجمع على ترشيح أبي بكر. وحتى الذين بايعوا لم يكن دافعهم إلى ذلك شخصية أبي بكر فهناك من بايع لموازنات سياسية كما فعلت الأوس عندما بايعت أبا بكر قال بعضهم وفيهم أسيد بن حضير وكان أحد القباء: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر". احتاج أبو بكر على القوم قائلا: لن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من

^١ المصدر ص ٤٤٦

^٢ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتلي ج ٢ / ٢

قريش هم أوسط العرب نسبياً وداروا واحتج عمر قائلاً: من ذا ينازعنا سلطان
محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته..

إذا كان هذا هو المعيار فأهل بيت النبوة وعلى رأسهم علي (ع) أولى،
الذي قال عندما سمع احتجاجهم: "احتلوا بالشجرة وأضاعوا الشمرة".

فإن كنت بالشوري ملكت أمرهم

فكيف بهذا والمشيرون غيب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم

غيرك أولى بالنبي وأقرب

وأخيراً قال عمر عن بيعة أبي بكر "إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فقد كانت
فذلك غير أن الله وقى شرها" ^١.

وأنا أقول كانت فلتة مزقت الأمة تمزيقاً وأبعدتها عن الصراط المستقيم.

علي (ع) والخلافة

أعلن علي (ع) والعباس والهاشميون رفضهم لبيعة أبي بكر من الوهلة الأولى
وظلوا في بيت فاطمة (ع) معارضين، ولقد حاول أبو سفيان الاصطياد في الماء
العكر، جاء في الطبرى "لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر قال أبو سفيان: ما
بال هذا الأمر في أقل حي من قريش، وأقبل وهو يقول: والله إنني لأرى عجاجة
لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف فيما أبو بكر من أمركم أين المستضعفان علي
والعباس وقال: أبا حسن أبسط يدك أبا يعك والله لئن شئت لأملأتها عليه خيلاً

^١ الطبرى ج ٢ ص ٤٤٥.

ورجالاً^١، لكن علياً (ع) رفض عرضة لأنَّه كان يعلم نوايا أبي سفيان وبني أمية المعادية للإسلام فقال له: "إنك والله طال ما بغيت الإسلام شرًا لا حاجة لنا في نصيحتك"^٢، وقد هدأ أبو سفيان بعد أن ولَّ أبو بكر ابنه يزيد^٣.

الإمام علي (ع) كان يدرك أنَّ الأمة الإسلامية في مفترق طرق والناس تتجاذبهم الأهواء وأي محاولة لتصحيح الانحراف بحرب مسلحة يمثل خطراً يهدد ببيضة الإسلام التي يحافظ عليها علي (ع) وهو الأمين عليها.

ولقد بين أهل البيت (ع) لماذا لم يعارض علي (ع) الخلفاء بالسيف قال الإمام الصادق (ع) في جواب سؤال وجهه إليه بعض أصحابه: ما منع أمير المؤمنين أن يدعو الناس إلى نفسه ويجرد على من ابتهج حقه سيفه؟ فقال: تخوف أن يرتدوا وأن لا يشهدوا أنَّ محمداً رسول الله^٤.

وال التاريخ يعلن لنا معارضته لما كان يجري فإننا لا نعلم لعلي (ع) دوراً سياسياً بارزاً على عهد الخلفاء ولم نسمع له خبراً في كل الحروب بعد وفاة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وهو المشهود له بموافقه الجهادية في حياة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

وعندما طلب منه عبد الرحمن بن عوف في شورى الستة أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيوخين رفض الأخيرة مما يشكل في مطابقة سيرة الشيوخين "أبي بكر وعمر" لسنة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولو كان يعتقد بمطابقتها لسيرة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فلماذا يرفضها إذن؟.

وفي أكثر من موقع يبين الإمام علي (ع) حقه في الخلافة وانحصر الإمامة في

^١ الطبرى ج ٢ ص ٤٤٩.

^٢ المصدر السابق.

^٣ المصدر السابق.

أهل بيت النبوة (ع) يقول "أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيانا علينا، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمنهم، وأدخلنا وأخرجهم بما يسعطى الهدى ويستجلى العمى، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاية في غيرهم" ^١.

وفي كلام له يقول: (أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسما والأشدون برسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) نوطا فإنها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم لله والعود إليه يوم القيمة" ^٢.

ويقول (ع) عن أهل البيت "هم موضع سره ولجاج أمره وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحاء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه.. لا يقاس بآل محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا، هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم ي匪ي الغالي وبهم يلحق التالى ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة" ^٣.

كما جاء في نفس المصدر قوله "نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة و مختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحلم، ناصينا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة" ^٤.

أحد العلماء من الذين يدعون حب أهل البيت (ع) جرى بينه وبين بعض

^١ نهج البلاغة ضبط صبحي الصالح ص ٢٠١.

^٢ المصدر نفسه ص ٢٣١.

^٣ المصدر السابق ص ٤٧.

^٤ المصدر السابق ص ١٦٢ - ١٦٣.

الإخوة حوار قال لهم: "إن لعلي ولالية أعطاها له الله سبحانه وتعالي، ولو كانت خلافة النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) له، لتمكن من السيطرة عليها بدعاء منه، ولا يستطيع أحد أن يحتل مكانه".

من الواضح أن هذا القول الضعيف البين الوهن لا يمكن أن تنفي به مسألة الانقلاب على علي (ع)، لأن ذلك يقودنا إلى عدة أسئلة منها كيف ذبحوا الأنبياء السابقين وهم أولياء الله بلا خلاف، وكيف أوذى أفضل الأنبياء وأكملهم وحبيب إله العالمين محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ولماذا تكسر رباعيته وينهزم الجيش يوم أحد ألم يكن في إمكانه بدعاء منه أن يهزم جميع المشركين.

إن الأنبياء والأولياء جاؤوا للهدایة الناس دون جبر أما المعجزة والكرامة فليست لقهر العباد بالقوة للسير على الصراط المستقيم، وإنما كانت لإلتمام الحجة وبيان حقيقة مكانة الأولياء عند الله تعالى، ولو كان كل انحراف يواجه بالتدخل الغيبي لإرجاع الناس إلى الحق لما كان هنالك معنى للابتلاء ولا معنى للثواب والعقاب، يقول تعالى ﴿ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جمِيعاً أَفَنْتَ تُكَرِّهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^١

إن الإمام وال الخليفة يعرف بالنص من النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وعلى الناس الالتزام بنصرته، كما الكعبة تعرف بحج الناس إليها فیأتونها ولا تأتي لأحد، جاء في أسد الغابة عن علي (ع) قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم): "أنت بمنزلة الكعبة، تؤتى ولا تأتي، فإن أتاك هؤلاء القوم فسلمواها إليك - يعني الخلافة - فاقبل منهم، وإن لم يأتوك فلا تأتهم حتى يأتوك" ^٢. ولقد اختصر أمير المؤمنين علي (ع) وجهة نظره في خطبته المعروفة

^١ سورة يونس : آية ٩٩

^٢ أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٣ ص ٦٠٩ لابن الأثير

بالشقيقية^١ يقول فيها: -

"أما والله لقد تقمصها فلان^٢ وإنه لعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى، ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير، فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا وطفقت أرتأى بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويшиб فيها الصغير، ويکدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه!. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأول لسيله فأدلّى بها إلى فلان^٣ بعده ثم تمثل بقول الأعشى: -

شتان ما يومي على كورها
فيما عجا!! بينما هو يستقiliها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته - لشد ما
تشطرا ضرعيها - فصیرها في حوزة خشناء يغليظ كلمها ويخشى مسها، ويکثـر
العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبـة إن أشـق لها خـرم وإن
أـسلـس لها تـقـحـم فـمـنـي النـاس - لـعـمـر الله - بـخـبـط وـشـمـاس وـتـلـون وـاعـتـراضـ،
فصـبـرـتـ على طـوـلـ المـدـةـ وـشـدـةـ الـمـحـنـةـ حتـىـ إـذـ مـضـىـ لـسـيـلـهـ جـعـلـهـ فـيـ جـمـاعـةـ
زـعـمـ أـنـيـ أـحـدـهـمـ، فـيـ اللـهـ وـلـلـشـورـىـ!ـ متـىـ اـعـتـرـضـ الـرـيـبـ فـيـ معـ الـأـوـلـ مـنـهـمـ،
حتـىـ صـرـتـ أـقـرـنـ إـلـىـ هـذـهـ النـظـائـرـ!ـ وـلـكـنـيـ أـسـفـتـ إـذـ أـسـفـواـ وـطـرـتـ إـذـ طـارـواـ
فـصـغاـ رـجـلـ مـنـهـمـ لـضـغـنـهـ، وـمـالـ الـآـخـرـ لـصـهـرـهـ مـعـ هـنـ وـهـنـ إـلـىـ أـنـ قـامـ ثـالـثـ
الـقـومـ (٢)ـ نـافـجاـ حـضـنـيهـ بـيـنـ نـثـلـهـ وـمـعـتـلـفـهـ وـقـامـ مـعـهـ بـنـوـ أـبـيـهـ يـخـضـمـونـ مـالـ اللـهـ
خـضـمـ الـإـبـلـ نـبـتـةـ الـرـیـعـ، إـلـىـ أـنـ اـنـتـکـثـ عـلـيـهـ فـتـلـهـ وـأـجـهزـ عـلـيـهـ عـمـلـهـ، وـكـبـتـ بـهـ بـطـنـتـهـ".

^١ نهج البلاغة خطبة ٣.

^٢ أبو بكر.

^٣ عمر بن الخطاب.

خلافة علي (ع)...

بعد وفاة عثمان لم يكن للأمة مناص من الاتجاه إلى من يحملهم على جادة الطريق كما قال عمر، إذ أن الفساد السياسي وصل إلى قمته وصارت أموال المسلمين في يد الطلقاء، كان لا بد للأمة أن تبحث عنمن يذكرهم بسيرة النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بعد إعراض دام سنوات أوصلهم إلى ما أوصلهم إليه..

جاءت الخلافة إلى علي (ع) وهي تحبو محملاً بجرحات مشخنة من جراء اجتهدات السابقين، لم يبق من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه... أخيراً انكشف الغطاء وعرفوا الحل " ولا أبقي الله الأمة لمعضلة ليس لها أبو الحسن "اجتمعوا عليه وطلبوه منه أن يقبل الخلافة، أشار عليهم أن يبحثوا عن غيره لأنه كان يعلم بأنهم لن يستطيعوا معه صبراً على الحكم بالحق، وأنه لن يخاف في الحق لومة لائم كما قال في الأموال التي وزعها عثمان على محبيه وهي ملك للمسلمين عامة، " والله لو وجدته قد تزوجت به النساء وملك به الإمام لرددته فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق ".

هكذا سيكون علي ولن يعجب هذا الحال بعض الذين تعودوا على العطايا والهبات الملكية زمن الخلفاء إضافة إلى الذين لا يرغبون في شخص علي (ع) حاكماً. فألبوا الناس على قتاله، وحكم علي (ع) المسلمين في فترة اتسمت بالحروب التي كانت في صلاً بين الحق والباطل وقد أخبره الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) " تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل ".

يقول الإمام علي (ع) في أمر مبايعته:

" فما راعني إلا والناس كعرف الضيغ ينتالون علي من كل جانب، حتى

لقد وطئ الحستان وشق عطفاً مجتمعين حولي كريضة الغنم، فلما نهضت بالأمر "نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخر" ^١ لأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عَلَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقِنِ﴾ بلى: "والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حلّيت الدنيا في أعينهم وراقبهم زبر جها" الشقشيقية.

حرب الجمل:

كان طلحة والزبير ذوا حظوة حتى عهد عثمان، وكانا يطمعان في الكثير على عهد علي (ع)، وعندما لم يجدا بغيتهما عند إمام العدل أضمرا في نفسيهما أمراً وطلباً الإذن من علي (ع) بعد أن بايعاه بالذهب إلى مكة للعمره فأذن لهم وهو يعلم ما يضمران وقال لأصحابه: "والله ما أرادا العمرة ولكنهما أرادا الغدرة" ولحقاً بعائشة في مكة وحرضاها على الخروج.

عائشة بنت أبي بكر:

في النصف الثاني من حقبة خلافة عثمان بن عفان كانت السيدة عائشة "من أشد الناس على عثمان حتى أنها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله لم يبل وقد أبلـي عثمان سنته". وقالوا أنها كانت أول من سمي عثمان نعشلاً (اسم أحد اليهود بالمدينة)، وكانت تقول اقتلوا نعشلاً! قتل الله نعشلاً^٢. وكما تنقل إلينا المصادر التاريخية كانت السيدة عائشة بمكة، خرجت إليها

^١ أصحاب الجمل - الخوارج - صفين بالتوالي.

^٢ الطبرى ج ٣ / ٤٧٧.

قبل أن يقتل عثمان، فلما قضت حجها انصرفت راجعة، فلما صارت في بعض الطريق، لقيها ابن أم كلاب (أحد معارفها) فقالت له: ما فعل عثمان قال: قتل! قالت: بعدها وسحقا.

ولكن ما نعجب له هو مسيرها بجيشه جرار لقتال علي (ع) لأنه قتل عثمان كما تزعم، فكيف تطالب بقتل عثمان ثم تقود الجيوش للأخذ بأثره؟!

يقول الطبرى عندما لقيت عائشة ابن أم كلاب الذى أخبرها بمقتل عثمان قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور خير مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك، ردوني، فانصرفت إلى مكة وهى تقول: قتل والله عثمان مظلوما والله لأطلبين بدمه فقال لها ابن أم كلاب: ولم! فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعشلا فقد كفر^١.

وللرجل كل الحق في تعجبه هذا، ولكن بنظرة سريعة لتاريخ عائشة مع علي (ع) نجد أنها لم تكن على توافق معه منذ عهد رسول الله، وكلماتها التي ذكرناها آنفا تدلل على مدى بغضها لعلي (ع) والذي ترجم إلى الحرب والتأليب والتحريض بل وقيادة جيش لقتاله، وقد تقدم قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) " لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق" ونفس هذه المصادر التي ذكرت الحديث تخربنا عن بعض عائشة لعلي (ع) حتى أنها كانت لا تطيق ذكر اسمه^٢ وينقل الإمام أحمد بن حنبل "إن أبا بكر جاء مرة واستأذن على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبل الدخول سمع صوت عائشة عاليا وهي

^١ الطبرى ج ٣ - ٤٧٦ .

^٢ البخارى ج ١ ص ١٦٢ - ج ٣ ص ١٣٥ - ج ٥ ص ١٤٠ .

تقول للنبي (صلى الله عليه وآلها وسلم): والله لقد عرفت أن علياً أحب إليك
مني ومن أبي تعدها مرتين حتى ضربها أبوها^١.

مجموعة من الصفات النفسية كانت وراء موقف عائشة من أهل البيت (ع)
حتى أنها صرحت بعدم حبها للحسن (ع) عندما أرادوا دفعه عند جده
المصطفى (صلى الله عليه وآلها وسلم) فخرجت عليهم قائلة (لا يدفن في بيتي
من لا أحب)، ولعل أبرز تلك الصفات غيرتها العجيبة والتي لم تخف على
الجميع ولقد درستها في مناهجنا الدراسية. وهنالك عوامل أخرى كثيرة كانت
السبب في خروج عائشة على علي (ع) لعل أهمها موقف علي وأهل البيت (ع)
من خلافة أبيها، ووقفة الزهراء في وجهه أيضاً ومعلوم أن الزهراء (ع) زوجة
علي (ع) وأم الحسن والحسين وفوق ذلك هي البنت الوحيدة للنبي (صلى الله
عليه وآلها وسلم) من خديجة زوجته الأولى التي كانت تغير منها عائشة حتى
وهي في العالم الآخر... فتأمل، لم نجد ما يبرر خروج عائشة على الإمام علي
(ع) بل وجدنا أن ذلك خلاف الشرع وفقاً للدليل النقلي والعقلي وإجماع الأمة.
إن عائشة بخروجها تكون مخالفة لتصريح الآيات القرآنية التي تأمر نساء
النبي بالاستقرار في بيتهن ﴿وَقُرْنَ فِي بَيْوْتِهِنَّ وَلَا تَبْرُجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ
الْأُولَى﴾ وقد عمل كل نساء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) بذلك ما عدا
عائشة.

كما أن خروجها على الخليفة الشرعي فيه إشكال بغض النظر عن كونها
امرأة مأمورة بالبقاء في بيتها وذلك منهج أهل السنة والجماعة، والإمام علي (ع)
أجمعـتـ عـلـيـهـ الـأـمـةـ كـخـلـيـفـةـ لـالـمـسـلـمـيـنـ فـلـاـ يـجـوزـ لـهـ الـخـرـوجـ عـلـيـهـ وـقـتـالـهـ إـذـ أـنـ ذـلـكـ

^١ مستند أحمد بن حنبل ج ٤ / ٢٧٥.

يعتبر خروجا عن الدين بقولنا وبقولهم.

ثم إن العقل يحكم بتناقض موقفها فهي تارة تطالب بقتل عثمان وعندما يحدث ذلك تطلب ثأره، هذا شئ غريب وموقف غير مفهوم يحتاج إلى تأمل حتى نستطيع أن نحدد موقفنا... خصوصا وإنه قد قيل أن نصف الدين عند الحميراء.

وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بخروجها كما جاء في المستدرك قال: ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خروج بعض أمهات المؤمنين فضحت عائشة فقال: انظري يا عائشة أن لا تكوني أنت " ثم أخبر أن التي تخرج ستبعها كلاب الحوائب. وعندما نبحث عليها الكلاب قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: الحوائب قالت: ما أظنتي إلا راجعة فقال الزبير: لا بل تقدمي ويراك الناس قالت: ما أظنتي إلا راجعة سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول كيف بإحداكم إذا نبعتها كلاب الحوائب " ^١.

وهي في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نراها كما جاء في الآيات المباركة من سورة التحرير والتي فصلت في أمر زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبينت لنا أن نساء الأنبياء ليس من الضرورة أن يكن على قدر من الإيمان، بل يمكن أن يصرن على خلاف ما عليه أزواجهن من الأنبياء وليس ذلك بالأمر المستبعد والله تعالى يضرب لنا الأمثال لعلنا نعقل ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغريا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ ^٢.

^١ مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٩ - ١٢٠.

^٢ سورة التحرير: آية / ١١.

هذا المثل جاء في سورة التحرير التي تتحدث عن بعض أفعال عائشة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول تعالى ﴿إِن تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَّتْ قُلُوبَكُمْ وَإِن تَظَاهِرُوا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مُوَلَّاً وَجَبَرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرًا﴾^١. الآيات كما قال عمر نزلت في عائشة وحفصة كما ذكر البخاري^٢.

ويهددهن الله تعالى بالطلاق ﴿عَسَى رَبِّهِ إِنْ طَلَقَكُنْ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَاتَنَاتٍ تَابِيَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيَّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾^٣.

وأنا لا أريد الحديث عن سيرتها تفصيلا لأن المقام مقام جهاد وحرب وقيادة جيوش وهو خاص بالرجال ولكن لكي تتضح الرؤيا أوردننا ما أوردناه. أحد الأصدقاء كان يحاور بعض الوهابية عن جهاد المرأة فاحتدم النقاش بينهما وتعصب الوهابي في وجه هذا الأخ صارخا: "الجهاد للمرأة غير جائز ويعتبر تبرجا وهو حرام" فقال له: "إذا لماذا خرجت أمكم يوم الجمل". هذه هي أطراف حرب الجمل، علي (ع) خليفة المسلمين وولي أمرهم من جهة والجهة الأخرى على قيادتها عائشة وطلحة والزبير.

وقد كانت عائشة هي القائد الفعلي لجيشهما وكانت تتصرف فيه وكأنها الخليفة الشرعي. وأظنها بدأت تتوهم بأن في إمكانها أن تحل محل أبيها، ومما يؤيد ذلك ما ذكره ابن أبي الحديد "أن عائشة كتبت وهي في البصرة إلى زيد بن صوحان العبدى رسالة تقول له فيها: من عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر زوجة

^١ سورة التحرير: آية / ٥.

^٢ البخاري باب وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجها.

^٣ سورة التحرير: آية / ٦.

رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِلَى ابْنِهَا الْخَالِصِ زَيْدَ بْنَ صَوْحَانَ، أَمَا
بَعْدَ فَأَقَمَ فِي بَيْتِكَ وَخَذَلَ النَّاسَ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَلِيَلْعَنِي عَنْكَ مَا أَحَبُّ فَإِنَّكَ
أَوْثَقُ أَهْلِي عَنْدِي. وَالسَّلَامُ.

فَأَجَابَهَا الرَّجُلُ: مِنْ زَيْدَ بْنَ صَوْحَانَ إِلَى عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ
اللَّهَ أَمْرَكَ بِأَمْرٍ وَأَمْرَنَا بِأَمْرٍ: أَمْرَكَ أَنْ تَقْرِي فِي بَيْتِكَ، وَأَمْرَنَا أَنْ نَجَاهِدَ، وَقَدْ
أَتَانِي كِتَابُكَ تَأْمِيرِي أَنْ أَصْنِعَ خَلَافَ مَا أَمْرَنِي اللَّهُ بِهِ، فَأَكُونُ صَنَعْتُ مَا أَمْرَكَ
اللَّهُ بِهِ وَصَنَعْتُ أَنْتَ مَا بِهِ أَمْرَنِي، فَأَمْرَكَ عَنْدِي غَيْرَ مَطَاعٍ، وَكِتَابُكَ لَا جَوابٌ لَهُ.
هَكَذَا كَانَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ تَحَارِبُ الْإِمَامَ الْمُفْتَرِضَ الطَّاغِيَةَ بِمَنْظُورِنَا وَخَلِيفَةَ
الْمُسْلِمِينَ الْمُجَمَعِ عَلَيْهِ دُونَ بَاقِي الْخَلْفَاءِ بِمَنْظُورِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَانتَصَرَ
عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَعَقَرَ نَاقَتَهَا وَسَارَ فِيهَا بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ) مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ إِذْ قَالَ لَهُمْ "اذْهِبُوا فَأَنْتُمُ الظَّلَّمَاءُ" وَأَرْسَلَهَا عَلَيْيِ (عَ) إِلَى
الْمَدِينَةِ سَالِمَةً.

صفين

لَنْ أَتَحْدُثَ عَنْ صَفَّيْنِ فِي تَفَاصِيلِهِمَا إِنْمَا مَوْضِيَّنَا حَوْلَ قِيَادَةِ الْجَيْشِ الَّذِي
حَارَبَ عَلَيْهَا (عَ) مِنْ صَفَّيْنِ، لِأَنَّ الْقِيَادَةَ تَبَيَّنَ لَنَا الْفَالِصَلَ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ وَأَيْمَانِهِمَا الْحَقُّ
وَأَيْمَانِهِمَا الْضَّلَالُ. وَفِي صَفَّيْنِ يَكْفِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قِيَادَةَ الْجَيْشِ الْمُقَابِلِ لِمَعَاوِيَةَ
كَانَتْ مَتَمَثَّلَةً فِي عَلَيِّ (عَ) حَتَّى تَحْكُمَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَمَنْ مَعَهُمْ عَلَى خَطَا
فَادِحٍ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ وَجُودُ عُمَرَ بْنَ يَاسِرِ فِي جَيْشِ عَلَيِّ (عَ) تَذَكِّرَةً وَدَلَالَةً
عَلَى أَنَّ الْفَتَّةَ الْبَاغِيَةَ مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهِ إِذْ أَنَّهُ مِنَ الْمُتَفَقِّنَ عَلَيْهِ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لِعُمَارٍ "يَا عُمَارَ تَقْتَلُكُ الْفَتَّةُ الْبَاغِيَةُ" وَلَقَدْ اسْتَشَهَدَ
عُمَارٌ فِي صَفَّيْنِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

لم أقف على قول يفصل في حادثة إسلام معاوية وفي اعتقادي أن معاوية لم يجد له مكاناً وسط المسلمين إلا بعد توليه الشام من قبل عمر الذي أطلق له العنوان دون المحاسبة التي اشتهر بها وذلك تتمة للصفقة بين أصحاب السقية وبيني أمية كما تقدم ذكره عندما أراد أبو سفيان أن يحرض علياً (ع) على القتال. وعمر يريد أن يستمر الهدوء على عهد خلافته فأسكت بنى أمية بالشام وهم لا يهمهم كيف تكون الدولة الإسلامية بقدر ما يهتمون بوجود مكانة لهم في هذا الواقع الذي فرض عليهم ودخلوا فيه اضطراراً لا إيماناً برسالة الإسلام ونبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولقد وضح ذلك جلياً عندما تسلموا زمام السلطة فحاربوا علياً وأبناءه لأنهم امتداد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبما أن معاوية لا يستطيع أن يسب محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لجأ إلى سب علي (ع) وجعل ذلك سنة عند خطباء دولته، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول "من سب علياً فقد سبني".^١

والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أوضح من هو معاوية كما جاء في تاريخ الطبرى قال: رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أبا سفيان مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد أخوه يسوق قال: اللهم عن الراكب والقائد والسائق".

أما شخصية معاوية بمنظار علي (ع) فسوف نجدها في رسائله لمعاوية حيث جاء في رد للإمام علي على خطاب أرسله معاوية:

"أما بعد فقد أتنى منك موعظة موصلة، ورسالة محبرة نميتها بضلalker وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده، وقد

^١ المستدرك ج ٣ / ١٢٠.

دعاه الهوى فأجايه، وقاده الضلال فاتبعه فهجر لاغطا وضل خابطا "١.

في رسالة أخرى له يقول الإمام: "ومتى كنت يا معاوية من ساسة الرعية
وولاة أمر الأمة؟ بغير قدم سابق ولا شرف باسبق ونعود بالله من لزوم سوابق
الشقاء وأحذرك أن تكون متمنيا في غرة الأمانة مختلف العلانية والسرية.

ولقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانبا وخرج إلى واعف الفريقين من
القتال، لتعلم أينا المرين على قلبه والمغطى على بصره! فأنا أبو الحسن قاتل
جدا وأخيك وخالك شدحا يوم بدر وذلك السيف معى، وبذلك القلب ألقى
عدوي ما استبدلت دينا ولا استحدثت نبيا وإنى لعلى المنهاج الذي تركتموه
طائعين ودخلتم فيه مكرهين "٢.

رسالة محمد بن أبي بكر لمعاوية:

كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية: -

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن
صخر. سلام على أهل طاعة الله ممن هو مسلم لأهل ولاية الله.
أما بعد: - فإن الله جل جلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلق بلا
عنت ولا ضعف في قوته ولا حاجة به إلى خلقهم إلى أن قال: فكان أول من
أجاب للرسول وآب وصدق وافق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي
طالب فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم فوقاه كل هول وواساه
بنفسه في كل خوف، فحارب حربه، وسالم سلمه فلم ييرح مبتذلا لنفسه في
ساعات الأزل (الضيق الشديد) ومقامات الروع حتى برز سابقا لا نظير له في

^١ نهج البلاغة من رسائل أمير المؤمنين رقم ٧.

^٢ نفس المصدر رسالة ١٠.

جهاده، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو المبرز السابق في كل خير أول الناس إسلاما وأصدق الناس نية وأطيب الناس ذرية وأفضل الناس زوجة وخير الناس ابن عم وأنت اللعين ابن اللعين ثم لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على إطفاء نور الله وتجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتحالفان فيه القبائل، على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والشاهد لعلي مع فضله المبين وبشهد القديم أنصاره الذين ذكروا في القرآن فأثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار فهم معه عصائب وكتائب حوله: يجادلون بأسيافهم ويهرسون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتباعه والشقاء في خلافه، فكيف يالك الويل تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيه وأبو ولده، وأول الناس اتبعاه وآخرهم به عهدا، يخبره بسره، ويشركه في أمره وأنت عدوه وابن عدوه؟ فتمنع ما استطعت بباطلك وليمدد لك ابن العاص في غوايتك، فكان أجلك قد انقضى وكيدك قد وهي وسوف يستبين لمن تكون العاقبة العليا، واعلم أنك إنما تکايد ربك الذي قد أمنت كيده، ویئست من رحمته وهو لك بالمرصاد وأنت منه في غرور وبالله أهل رسوله الغناء والسلام على من اتبع الهدى ^١.

هذه الرسالة تتطابق وواقع معاوية الحقيقي في التاريخ، معاوية الذي جمع حوله الهمج والرعايع حتى أنه صلى بأهل الشام الجمعة يوم الأربعاء وأرسل علي (ع) إني جئت بقوم لا يفرقون بين الجمعة والأربعاء، إضافة إلى المصلحيين

^١ مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠.

والدها أمثال عمرو بن العاص.

ومما يثير العجب أن تجد كتابا باسم (رجال حول الرسول) يتحدث كاتبه عن عمار بن ياسر فيثبت أنه صحابي جليل به عرف أن الفتة الباغية فئة معاوية وبعد ذلك بصفحات يتحدث عن عمرو بن العاص - قادة الفتة الباغية فيثبت أيضا أنه صحابي جليل !!

والحديث عن عمرو بن العاص - داهية معاوية ويده اليمنى - طويل ومتشعب ويكتفينا دوره العجيب في قضية التحكيم التي لعب فيها دهاؤه ومكره الدور الكبير لتكون السبب المباشر لخروج الخوارج.

ولقد رفض عمرو مشاركة معاوية إلا مقابل جزء من دنيا معاوية فقبل معاوية أن يسترني منه دينه مقابل نصف دنياه. يقول المسعودي " وكان عمرو بن العاص قد انحرف عن عثمان لأنحرافه عنه وتوليه مصر غيره فنزل الشام، فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة علي كتب إلى معاوية يهلهل ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما كتب إليه: ما كنت صانعا إذا قشرت من كل شيء تمتلكه فاصنع ما أنت صانع، فبعث إليه معاوية فسار إليه، فقال له معاوية. بایعني، قال: لا والله لا أعطيك من ديني حتى أتال من دنياك، قال: سل، قال: مصر طعمة، فأجابه إلى ذلك وكتب له به كتابا، وقال عمرو بن العاص في ذلك " .

معاوي لا أعطيك ديني ولم أتل
به من دناكم فاظربن كيف تصنع
أخذت بها شيخا يضر وينفع^١
فإن تعطني مصر فارع صفة
وجاء في تاريخ الطبرى أن عمرو بن العاص قال لمعاوية " أما والله إن قاتلنا
معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها حيث تقاتل من تعلم

^١المصدر ج ٢ ص ٣٦٣

سابقته وفضله وقرباته ولكن إنما أردننا هذه الدنيا فصالحة معاوية وعطاف عليه^١.

هؤلاء هم قادة جيش معاوية في صفين باعوا دينهم بدنياهم وحاربوا إمام زمانهم وخليفة المسلمين ومع ذلك يأتي من يقول أن معاوية وعمرو بن العاص صحابة ويجب التسليم!!

وما جرى من عمرو بن العاص ومعاوية في المعركة يبين مدى جبنهم وحرصهم على الحياة الدنيا، يقول المسعودي "ثم نادى علي: يا معاوية علام يقتل الناس بيدي وبينك؟ هلم أحاكمل إلى الله. فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور، فقال عمرو لمعاوية: قد أنصفك الرجل، فقال له معاوية:

ما أنصفت وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله أو أسره، فقال له عمرو: ما يحمل بك إلا مبارزته، فقال معاوية: طمعت فيها بعدي وحقدتها عليه. ثم إن معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا أن يبرز إلى علي فلم يجد عمرو من ذلك بدا، فبرز فلما التقى عرفه علي فرفع السيف ليضرره به، فكشف عمرو عن عورته وقال: مكره أخوك لا بطل. فتحول علي وجهه عنه وقال: قبحت، ورجع عمرو لصاحبه^٢.

دنا عمار بن ياسر من عمرو أثناء المعركة فقال: يا عمرو بعت دينك بمصر تبا لك طالما بغيت في الإسلام عوجا^٣.

لقد كانت شخصيات الصحابة مكشوفة لدى بعضهم وكل واحد يعرف نفسيات الآخر ولقد تجلى ذلك في الحروب المتالية وهذا واقع لا يمكن أن ننكره ويجب علينا أن نميز فيه بين الفاسق والمؤمن.

^١ تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٥٦٠.

^٢ المسعودي ج ٢ ص ٣٦٩.

^٣ تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٧.

والحديث عن معاوية وصاحبه عمرو يطول بحيث لا يسع المجال لعرض تاريخهما الحافل بالعجائب ونقتصر على التذكير ببعض غرائب معاوية التي لا يستطيع أحد نكرانها.

بعض أفعال معاوية

* اغتصابه الخلافة بالقهر.

- قتل حجر بن عدي وأصحابه لأنهم رفضوا سب علي (ع) والبراءة منه ووقفوا في وجه من يفعل ذلك وقد قالت عائشة لمعاوية: الله الله في حجر وأصحابه وعاتبه وقالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) يقول: يقتل بعدي بعذراء (بالشام) سبعة رجال يغضب الله وأهل السماء لهم^١. وقال الإمام علي (ع): "يا أهل الكوفة سيقتل منكم سبعة نفر هم خياركم بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأخدود".

- جعل سب علي (ع) سنة يتبرك بها غربانه في أقطار حكومته.

- سفك دماء شيعة الإمام الطاهر علي (ع) واستباحة أموالهم وأعراضهم وقطع أصولهم بقتل ذراريهم وأطفالهم وحتى نسائهم، ولا أدرى أين كان ابن آكلة الأكباد والرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) يوصي الأمة بهم خيرا.

- اجتهاده وإلحاقه زياد ابن أبيه وقد قال الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) الولد للفراش وللعاهر الحجر.

- نقض كل المواثيق والعقود التي أبرمها مع الإمام الزكي الحسن بن

^١ الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ص ٣١٥.

علي (ع) بعد أن عقد معه صلحا، إلا أن معاوية وعندما هدأت له الأمور خطب في أهل الكوفة وقال: يا أهل الكوفة إني ما قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج. ولقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجرون ولكنني قاتلتكم لأنتم علىكم وعلى رقابكم^١ إلى أن قال: وكل شرط شرطته وكل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به".

- وختم صفحته السوداء مع الحسن (ع) بدس السم إليه فلقي الحسن (ع) ربه شهيداً مظلوماً، ولما سقي السم، وقام لحاجته ثم رجع فقال: لقد سقيت السم عدة مرات فما سقيت مثل هذه لقد لفظت طائفه من كبدي فرأيتني أقبله بعود في يدي.

وكان معاوية قد أطعم جعدة بنت الأشعث زوجة الحسن (ع) بالزواج من يزيد ابنه ثم طلب منها دس السم للحسن (ع)، ولما استشهد الحسن (ع) أرسل لها قائلاً: إننا نحب حياة يزيد ولو لا ذلك لوفينا لك بتزويجه.

- أما أعظم ما فعله فهو استخالفة يزيد وهو الخمير السكير، وسيأتيك خبره مع وجوه الصحابة وأفضل القوم.

إنبني أمية يبحثون عن هذه الفرصة منذ أن علاهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسيف ونصره الله عليهم وهم مشركون وأظهروا على جزيرة العرب بعد أن أكرمه بالنبوة وحباه بالرسالة، ولا يخفى عداءبني أمية لبني هاشم، فكيف بهم إذا كان النبي منبني هاشم والأوصياء والخلفاء منهم، وما كان في خلد معاوية يوم استقرت له السلطة وتم له الملك أن يتخذ ابنه ولي عهده ويأخذ له البيعة ويؤسس حكومة أموية مستقرة في أبناء بيته، فلم يزل يروض الناس لبيعة

^١ البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٣٤.

يزيد سبع سنين يرسل للأقطار بعد أن يويع له بالشام وسافر معاوية بنفسه إلى المدينة ومكة ساعياً وراء البيعة لابنه.

ونختم المطلب بقول الحسن البصري عندما سئل عن معاوية، قال: - أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منها إلا واحدة لكان موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منها وفيهم بقایا الصحابة وذوي الفضيلة، واستخلاقه ابنه يزيد بعده سكيراً خميراً يليس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الولد

للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجراً ويل له من حجر^١ " قالها مرتين " أقول ربما يداري الرجل بعض أفعال معاوية وإنما الموبقات كثيرة حدث عنها ولا حرج.

^١ الطبرى ج ٤ ص ٢٠٨ - ابن كثير ج ٨ ص ٣٣.

الفصل السابع

كريلاء امتداد للسقيفه

كيف يرون معاوية ويزيد:

في إحدى المرات التقى بعض الإخوة الشيعة مع مجموعة وهابية صدفة وكانت موجوداً ولم تكن الرؤية واضحة لدى وإن كانت ملامح الصواب بدأت تلوح لي، ويبدو أن هؤلاء الوهابية كان لهم حوار سابق مع الشيعة فبدأوا معهم النقاش حول قضية الحسين (ع) وكربلا ورأيت الوهابية وقد احتوشا الإخوة والشرر يتطاير من أعينهم وكأنهم يريدون القتال، تحدث أحد الشيعة عن عدم أحقيّة معاوية في تنصيب يزيد خليفة للمسلمين فذكر اسم معاوية مجرداً من الترضي عليه فصرخ أحدهم في وجهه قائلاً: -

قل رضي الله عنه هل هو أخوك حتى تذكره مجرداً؟!

فرد عليه الشيعي: هل أنت وأنا أفضل من علي (ع) وأكثر فهما منه؟ فشمر أحدهم عن ساعديه وكأنه ينوي ضربه وهو يقول: إسمعوا هذا هو دين الشيعة يشككون في كل شيء وهذا الرجل يسألنا سؤالاً بديهياً والإجابة عنه واضحة فلا أحد يرى أن هنالك أفضل من علي سوى الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم.

فالتفت إليه الشيعي وقال، أولاً فليتكلّم أحدكم، ثانياً: إذا أردت الحديث فافهم أولاً ما أقول ثم تحدث، وثالثاً إذا كان علي (ع) أفضل منا وهو كذلك بلا شك فهو أدرى منا بالأصول أليس كذلك؟!

قالوا بحذر: نعم فقال لهم: علي حارب معاوية، ليس فقط لم يترض عليه كما طالبونني بل قاتلة أشد قتال ولو ظفر به لألحقه بأجداده، قال أحدهم وهو يمضغ مسواكاً: نقول كما قال السلف تلك دماء عصمنا سيفانا فلنعصم ألسنتنا، ونحن نرى معاوية صحابياً جليلاً وأنه فعل خيراً عندما نصب يزيد ونرى

أن خروج الحسين بن علي كان خطأ منه وقد تاب يزيد.

قال الشيعي: قولك فنعصم منها ألسنتنا لا ينطبق عليك لأنك الآن تقول أن معاوية صحابي جليل إذا لقد أخطأ علي في حربه لمعاوية ثم من قال لك أنك لن تسأل عن تلك الدماء. لا بد أن يكون لكم موقف تجاه ما جرى، فهما جهتان إحداهما على حق والأخرى على باطل ووقفك الآن في وجهي اشتراك في تلك (الفتنة) كما تدعى.

أما عن الحسين بن علي فهو لم يخطئ كما تقول فهو كما قال عنه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): سيد شباب أهل الجنة وهو من أهل بيت النبوة وتعلم من جده كيف ينصر الحق، ويزيد تعلم من أبيه ما تعلم كما نقلت إلينا كتب التاريخ، قاطعه أحد الوهابية: يجب على المسلمين أن يقتلوهؤلاء الشيعة أينما وجدوهم فإنهم فتنه.

قال له أحد الشيعة وهو يبتسم: هكذا دائماً كان أعداء الشيعة باسم الحق يقتلون الحق وباسم الفتنة يحجبون الناس عن الحقائق وبالتالي أنت لا تفترق عن سلفك كثيراً، إنك تربية ذلك المنهج الذي تبناه معاوية ويزيد وآل أمية ومن إليهم. عندما وصل الحوار إلى هذا الحد أخذت أحدهم على جانب وأخبرته بأنني لست شيئاً ولكنني أسمع بهم فمنهم وماذا يقولون ولماذا تهاجمونهم بهذه الطريقة. فقال لي: يا أخي أبعدك الله عن أمثال هؤلاء إنهم مشركون زنادقة يسبون الصحابة ويقولون أن جبرائيل خان الأمانة وأعطى الرسالة لمحمد وهي في الأساس لعلي ابن أبي طالب كما أنهن يعبدون الحجارة ويقولون بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان...

قلت مندهشاً: من الذي قال لك؟!

قال مفتخرًا: نحن نعرفهم جيداً..

أحسست بغشيان بسبب كذب هؤلاء القوم. لقد قرأت بعض كتب الشيعة التي ألفها كبار علمائهم ورأيت بعض الإخوة الشيعة، لم أقرأ أو أسمع ما قاله هذا الوهابي . ولا أدرى كيف يدعون نصرة الحق وهم يكذبون بل يبالغون فيه إلى حد يؤسف له، صرخت في وجهه بلاوعي مني: ألا يمكنك أن تنصر الحق الذي تدعيه بدون أن تكذب وتفتري على القوم. فارتبك متعلما: كيف تقول لي مثل هذا الكلام؟! قلت: أنت الذي أجبرتني على ذلك أنا قرأت للشيعة وجلست معهم وأعرف جيدا ما يقولون وما ذكرته لي بعيد عنهم كل البعد فهم يوقدون الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) أكثر مني ومنك ويحترمون المقدسات الدينية ويؤمنون بالله ويدعونه ليل نهار، ثم إن كلامك هذا متناقض فهم إذا كانوا يؤمنون بجبرائيل كونه يحمل وحي الرسالة للرسول فكيف يبعدون الحجر، ثم إن مثل هذه التهم صارت قديمة لا يصدقها أحد والناس أكبر وعيا من أن تنطلي عليهم هذه الأكاذيب. قال: يبدوا أنك منهم! قلت: لست شيعيا ولو كنت فلا شيء يمنعني من التصريح بذلك لكنني الآن فقط عرفتكم، أنت لا تستطيعون الدفاع عن باطلكم إلا عن طريق الكذب، ومما يحزنني أنني كنت أعتقد بأن أنصار السنة "الوهابية" هم أكثر الناس ورعا وتقوى، لكن الآن تجلitem لي بحقيقةتكم. أدرت له ظهري فيما أرجع إلى الإخوة فقال لي: على كل حال يجب ألا تتأثر بكلام هؤلاء فإن في حديثهم سحرا يؤثر، ضحكت وقتلت له: هذا ما قالته قريش للنبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) عندما جاء بالقرآن، ورجعت إليه مرة أخرى قائلا له: - دعنا من كل ذلك فأنا أسألك حول قضية الحسين بن علي كمسألة واضحة لماذا تقولون فيها؟ سكت وكأنه يبحث عن إجابة ثم قال: لماذا تبحثون عن هذه الأشياء؟!

قلت: أجب على سؤالي ودع عنك السبب.

قال: معاوية صحابي جليل، ويزيد كان أميراً على المسلمين والحسين خرج على ولی أمر زمانه، ولو كان يزيد قد أخطأ فربما يكون قد تاب فلا داعي لأن نتحدث حوله ونشره به.

قلت مختتماً لهذا الحوار الذي لن يثمر عن شيء: أنت بهذا تلغى الآيات القرآنية التي شهرت بقبائل ونمرود وفرعون والسامری... وغيرهم من الطغاة أعداء الرسالات، وبقولك هذا تبرر لكل مخطئ في هذه الدنيا لأنه ربما يتوب، وبهذه العقلية تعطل الدين ويصبح كل التاريخ بلافائدة، كلمة أخيرة أقولها لك أنت لا ترتقون لمستوى الدفاع عن شريعة السماء لأنها لا تحتاج إلى مراوغة وكذب وافتراء وحديثي معك الآن إذا لم أصبح بسببه شيئاً فهو يبعدني عنكم أكثر فأكثر.

وحاول أن يعتذر قائلاً: على كل حال نصيحة لك لا تقرأ لهؤلاء ونحن سنكون بالمرصاد لهم.

قلت: إذا كانوا على حق فالله ناصرهم وإن كانوا على باطل فأنت أكثر بطاناً منهم، وتركته وانصرفت راجعاً إلى الإخوة فوجدت أن الوهابية لم تزل تدافع عن يزيد ومعاوية فتركتهم وانصرفت إلى بعض أشغالي أسفًا على حال هؤلاء المساكين الذين يرددون ما يقوله أحبارهم بلاوعي ولا فهم.

مع الحسين (ع):

قضية الحسين (ع) من أولى القضايا التي أخذت مساحة من دواخلي وعمقت جرحًا أحسست به منذ اللحظة الأولى التي بدأت فيها الحقائق تتكتشف مزيحة جهلاً ووهماً كنا نعيش بهما وتخطيط ذكي من أولئك الذين حرفوا الحقائق وفقاً لأهوائهم ورغباتهم وبتنا نحن نعيش في قصور من زجاج نحلم بأن

يعيد التاريخ نفسه لنعيش تلك الحياة المعصومة التي كان يعيشها الصحابة والرعيل الأول من التابعين الذين عاشوا في صدر الإسلام، ولا ننسى دور علمائنا الذين ظلوا يرددون ما وجدوه في التاريخ دون نظر وتحليل لما جرى فيه.

و قضية الحسين (ع) من القضايا التي أراد أعداء الإسلام أن لا تبرز للناس لأنها تمثل حلقة من حلقات الصراع بين الحق والباطل وتعتبر من أنصح صفحات التاريخ في قضية الجهاد والتضحية في سبيل رسالة السماء.

كثيراً ما كنت أسمع في مجتمعي السوداني أن فلاناً (مظلوم ظلم الحسن والحسين) ولكن من ظلمهم وكيف؟ وما هو أساس ذلك الظلم؟ وهل الحسن والحسين من الشخصيات الهامشية في الإسلام حتى لا نقف عند ما جرى لهم من هذه الأمة التي لم تحفظ النبي فيهم؟!.

غاية ما تعلمناه في مدارسنا أنه كانت هنالك مذبحة في منطقة كربلاء بطلها الحسين بن علي بدون ذكر لأسباب أو نتائج، ويبدو أن أهل السنة والجماعة لديهم قناعة بفتوى شريح القاضي "الحسين خرج عن حده فليقتل بسيف جده" أو أنهم يدفنون رؤوسهم في الرمال حياء مما فعله سلفهم (الصالح) في أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم).

استوقفتني قضية الحسين (ع) كثيراً كما استوقفتني قضية أمه الزهراء وأنا أبحث عن جهة الحق، قرأت وسمعت عن قصة الحسين (ع) وعشت معه تارة أبكي وأخرى أعن فيها من ظلمه وتارة أتأمل في واقع أمة كهذه، لم أسمع بمثل هذه البشاعة من قبل، أو سمعت ولكن كالعادة مخدراً بمقولة أن ما جرى في صدر الإسلام مروراً بالأمويين والعباسيين لا يجب علينا أن نبحث فيه، ولا أن نتساءل ما هو جذر المشكلة، لأن ذلك سيقودنا إلى نتائج ربما تحدث في أولئك المقدسين مما يجعل غضب الرحمن يصب علينا صباً.

و قضية الحسين (ع) ستصعننا أمام أسئلة كثيرة و علامات استفهام الإجابة عليها ستفضي بنا إلى أن الحسين قضية لم يقتل في كربلاء، بل إن أصل القضية يرجع إلى ما بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) هنالك كانت البداية، والنهاية كانت بجسد الحسين (ع) ليظهر يزيد بن معاوية أحقاداً بدرية كما جاء في التاريخ فحينما جاؤوه برأس الحسين (ع) قال:

جزع الخرج من وقع الأسل	ليت أشياخي بيدر شهدوا
ثم قالوا يا يزيد لا تشن	لأهلوا واستهلو فرحا
وعدلنا ميل بدر فاعتدل	قد قتلنا القرم من ساداتهم

إن القضية ليست خروج الحسين (ع) ضد أمير المؤمنين كما تسميه حاشية الضلالة عبدة الدينار والدرهم الذين باعوا دينهم من قبل لأبيه وأتموا الصفقة بقتلهم ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم)، إن القضية قضية عداء طبيعي بين الحق والباطل وعداء تاريخي بين الهاشميين والأمويين، وما يزيد إلا امتداد لأبيه الذي اكتسب شرعيته وملكه من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي اشتهر بقساوته ومساءلته للولاة فيما عدا معاوية "كسرى العرب" كما يقول عنه عمر لما عرف به من حبه للبذخ والترف واهتمامه بالمظاهر، وهكذا كان معاوية في وضع مريح جعله يمتلك امبراطورية مسلحة بالشام ادخلت نصرة الباطل فظهرت في صفين ضد علي ابن أبي طالب وفي النهاية أصبحت مقراً الحكم ببني أمية.

والحديث عن كربلاء ذو شجون، وما جرى فيها من أحداث يقرح الجفون ويفطر الفؤاد، لقد خرج أبو عبد الله الحسين (ع) ليصلاح في الأمة ويعيدها إلى رشدتها وذلك بإرجاعها إلى المنبع الحقيقي المتمثل في خلفاء رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) من أهل بيته المنصوص عليهم، وهذا هو يقول قبل خروجه

"إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسیر بسيرة جدي وأبى على بن أبي طالب".

لم تلتزم الأمة بوصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في استخلاف عليٍ فابتلاها الله تعالى برجل كمعاوية سلط على رقابهم مراهقاً فاجراً هو ابنه يزيد كما نجد في التاريخ الذي يحدثنا عن شخصية يزيد فيقول ابن كثير "كان يزيد صاحب شراب وفيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات". وقال صاحب الأغاني "كان يزيد أول من سن الملاهي في الإسلام من الخلفاء وأوّى المغنيين وأظهر الهتك وشرب الخمر".

وجاء في أنساب الأشراف " كان يزيد أول من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء والصيد واتخاذ القيان والغلمان والتفكه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعافرة بالكلاب والديكة ".

هذا يسير مما وجدناه في كتب التاريخ عن شخصية يزيد ولو لم يفعل إلا قتله الحسين وأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآلله وسلم) وبسبيه النساء الهاشميات لكافاه ليصاب بلعنات من السماء تلحقها لعنات من التاريخ الذي لم يحفظ لنا عن يزيد إلا الانحراف والمجون واللهو، وقتل الأبرياء والسلط على رقاب المسلمين إلى أن أهلكه الله، ولا عجب أن يظهر من يدافع عن يزيد ويكتب كتاباً ويطبعه باسم "حقائق عن أمير المؤمنين يزيد" فالتاريخ يعيد نفسه وسيستمر الصراع بين الحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن مما يؤسف له حقاً أن هنالك من يصدق هذه الترهات والخرافات ومحاولات الدفاع عن شخصيات سقطت عنها القناع ولم يرحمها التاريخ.

من هو الحسين (ع):

لولا أن منهج البحث يتطلب التعرض لسيرة يزيد لما طرقت لذكر شيء منها، ويكتفي أن نتعرّف على شخصية الحسين (ع) لندرك أن من قتله أو سكت على قتله أو رضي الله بذلك أو أسس أساساً لهذا الظلم والجور على أهل البيت (ع) هم أعداء للدين وللإسلام.

لقد جاء في الصحاح، الحديث المتواتر لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً". إن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الذي لا ينطق إلا صدقاً وعدلاً كرس في العقول مفهوم حب أهل البيت (ع) وليس ذلك بسبب القرابة الدموية كما بینا، إذ أنه لا يعقل وكيف تكون عواطفه مرتکزات تنطلق منها الأمة لتحديد معتقداتها وهو المبلغ لرسالة السماء وكل كلمة تنطق بها تمثل مفردة يحب النظر إليها بعين الاعتبار، ولقد قرن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حب الحسين بحب الله بلا قيد ولا شرط وذلك لا يكون إلا إذا كان الحسين يجسد الإرادة الإلهية والامتداد للنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في مسؤولية تحمل الرسالة والدفاع عنها، ولذلك قال الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة" وأهل الجنة في سن واحدة وفيها من كل الأمم من يستحقها ومع ذلك فهما سيداً أهل الجنة!.

ماذا نعرف عن الحسن والحسين اللذين يستحقان هذه المرتبة العالية "سيادة أهل الجنة"؟ سؤال وجهته إلى أكثر من شخص تثير في الإجابة عليه "هل الله سبحانه وتعالى جعل الجنة لأقرباء النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بدون عمل وإنجاز يستحقون به ذلك!!! إن الحسن والحسين إمامان أووصى بهما النبي (صَلَّى

الله عليه وآله وسلم) لأنهما من الأئمة الذين سيقع عليهم عبء مواصلة المسيرة
الرسالية على أن تلتقي حولهم الأمة لتأخذ منهم معالم دينها.

والحسين من أهل الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهير والombaلة إنه الإمام
البر التقى النبي ابن بنت المصطفى وثالث أولى الأمر المفروض علينا طاعتهم...
يذبح في كربلاء كما يفعل بالكبش ومع ذلك غيروا الحقيقة عن الناس أرادوا لنا
أن نعيش في جهل... أن لا نقرأ خلف السطور في كتب التاريخ... لماذا سمحت
الأمة لنفسها أن تقتل أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن الممهد
لذلك؟ لأن ظلم الحسين يجعلنا نتساءل عن ظلم الحسن والذي يعني التحدث عن
معاوية وذلك يقودنا بالبحث عما أسموه بالفتنة في عهد عثمان وهذا بلا شك
سيؤدي إلى هدم السقية على رؤوس أصحابها، وهذا ما يخشاه علماؤنا الأفاضل.

إن الحسين لم يقتل في كربلاء وحدها... يقول العلامة السيد هادي
المدرسي: إن للحسين قضيتان. "قضية الجسد المقطوع وقضية الحق المضيع"
صحيح أن جسد الحسين قطع في كربلاء وفصل الرأس عن الجسد.. ولكن
الحق مضيع منذ اغتيال أبو بكر منصة الحكم بلا حق وأبعد أبو الحسن عليا (ع)
ال الخليفة الشرعي... وعندما بلغ الأمر بالأمة أن يتسلط عليها شارب الخمر
وراكب الفجور ضحي الحسين بن نفسه وأهل بيته لينبه الأمة إلى خطورة ما هي
عليه وإلى ذلك يشير الإمام الحسين (ع) عندما أرادوا منه أن يبايع يزيد وهو في
المدينة قال: "نحن أهل بيته النبوة ومعدن الرسالة بنا فتح الله وبنا يختتم ويزيد
شارب الخمر وقاتل النفس ومثلي لا يبايع مثله".

وشيء متوقع أن تسمع الأمة بأن يذبح ابن بنت نبيها فلا تنصره، فهذا هو
ال الخليفة الأول أبو بكر يأمر بجمع الحطب حول بيته أم الحسين (ع) ليحرق أو
يعطوه الشرعية وهو هو عمر بن الخطاب يقف على باب دارها مهدداً بالحرق

حتى ولو كانت بنت المصطفى فيه كما مر.. فالقضية لها خلفية تاريخية منذ وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فالجراة التي جعلت أولئك يتطاولون على أولياء الله ويتحذرون منصب الخلافة هدفاً يهون في سبيله التنازل عن رسالة الإسلام حتى ولو أدى ذلك إلى قتل علي وفاطمة (ع) وهتك ستار بيت النبوة والنيل من بيت نزل فيه الوحي ومنه انطلقت الرسالة... كل هذا لا بد أن يترجم يوماً في صورة قبيحة ستظل نقطة سوداء في جبين الأمة وصفحة دموية في تاريخها إلا وهي واقعة الطف التي كان أبطالها هم أهل ذلك البيت الذي هتك حرمه الخلفاء بما أحدثوه من أمور مع أن العهد قريب والرسول لما يقرب أما في زمن يزيد فقد أحكمت القبضة للكفار والمنافقين وبدأوا يقطفون ثمار السقية، وتجلت أهدافهم لمحو رسالة السماء في أصبح صورها ظهر عاشوراء ٦١ هـ رفض الإمام الحسين عقد البيعة ليزيد وبدأ في الاستعداد وتحرك إلى مكة التي أتته فيها الكتب والرسائل من أهل الكوفة يطلبون منه القدوم، فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل فاجتمع عليه أهل الكوفة وبايده ثمانية عشر ألفاً، فلما علم يزيد بذلك عزل واليه على الكوفة نعمان بن بشير وولى عبيد الله بن زياد طالباً منه تبع مسلم وقتله فقدم عبيد الله وتبع الشيعة فثار عليه مسلم ولكن أهل الكوفة خذلوه عندما مارس معهم ابن زياد سياسة الترغيب والترهيب وبقي مسلم وحيداً يقاتل حتى قتل في تفاصيل مأساوية وقتل معه كبير الشيعة هناك هاني بن عروة وأرسل ابن زياد برأسهما إلى يزيد.

توجه الحسين إلى العراق بعد استلامه رسالة من مسلم قبل قتله تفيد بعدد من بائع وانتظارهم له، وقد حاول البعض أن يشيء الحسين (ع) عن الخروج إلا أنه كان يقول: ”والله لو أني كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم والله ليعدن علي كما اعتدت اليهود على السبت“

وانطلق غير مبال بأولئك الذين جبوا عن مواجهة الباطل وسكتوا عن نصرة الحق، انطلق ولسان حاله يقول: إن كان دين محمد لا يستقيم إلا بقتلي يا سيف خذني، وفي الطريق لقي الفرزدق فاستخبره الخبر فقال: إن القوم قلوبهم معك وسيوفهم عليك.

أرسلت الجيوش لقطع عليه الطريق وطلبوه منه إما البيعة أو القتل فرفض الإمام (ع) البيعة وقدم لهم خيارات أخرى رفضوها ثم خطب الحسين في ذلك الجيش "أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفًا لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله... إلى أن قال: وأنا أحق من غير".

رفضوا رجوعه أو التوجه إلى يزيد وتركتوه يسير مجاناً الطريق حتى يرسلوا

لابن زياد ليدلني برأيه، لقي الحسين (ع) رجلاً من أهل الكوفة فقال له: "فالا تنصرنا فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك".

نَزْوُلُ الرَّكْبِ الْمَقْدُسِ فِي كَرْبَلَاءِ:

حطت الركاب في كربلاء ومنع أهل البيت (ع) الماء وجاء الأمر من عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد قائد الجيش الرسمي للوالى: أما بعد فإني لم أبعثك إلى حسين لتکف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامه والبقاء ولا لتقعد له عندي شافعا، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سلما وإن أبوا فاز حف عليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك يستحقون، فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم... وليس عهدي في هذا أن يضر بعد الموت شيئاً ولكن على قول من قال: لو قد قتلتة فعلت هذا به! إن أنت مضيت لأمرنا فيك جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملاً وجنداً وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فإننا قد أمرناه بأمرنا والسلام.

أحاطوا به يوم عاشوراء - بأبي وأمي - ولم يكن معه إلا بضعة وسبعون نفساً ما بين طفل وشاب وشيخ وامرأة، خطب في أعدائه وحاول وعظهم وهدائهم إلى سبيل الرشاد ولكن هيئات لقد ختم الله على قلوبهم وحقت عليهم كلمة العذاب، وقد قال فيما قال: "تب لكم أيتها الجماعة وترحوا حين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين سلتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم! وحشتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم إلهاً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفسوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن، والرأي لما يستحصف ولكن أسرعتم إلينا كطيرة الدبا وتداعيتم علينا كتهافت الفراش، ثم نقضموها... فسحقاً لكم

يا عييد الأمة وشذاذ الآفاق ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الإثم ونفحة الشيطان ومطفئي السنن. ألا وإن الداعي ابن الداعي قد رکز بين اثنتين... بين السلة والذلة وهيئات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وظهرت وأنوف حمية ونفوس أبية لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ألا وإنني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر. أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إلى أبي عن جدي رسول الله " فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون، إنني توكلت على الله ربِّي وربِّكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربِّي على صراط مستقيم ".

ثم رفع يديه إلى السماء وقال: " اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كنسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقיהם كأساً مصبرة فإنهم كذبونا وخذلوا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك المصير ".
ثم قال (ع): والله لا يدع الله أحداً منهم إلا انتقم لي منه قتلة بقتلة وبصرفة بضربة وإنه لخير لي ولأهل بيتي وأشياعي.

هذا هو كلام أبي عبد الله الحسين (ع) فاقرأه وتأمل تحس فيه بشفافية الروح المؤمنة ودرك معنى الرسالية مما يؤكّد أن ثورة الحسين لم تكن لتغيير نظام حاكم فقط إنما صرخة لتنبيه الأمة للانحراف العقائدي وابتعادها عن أوصياء رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولكن من يستمع..

اصر القوم على تنفيذ جريمتهم وبدأوا القتال الذي تطايرت فيه الأيدي وتساقطت الرؤوس ولم يرحم كبير ولا صغير مثل أصحاب الإمام حبيب بن مظاهر وزهير بن القين وغيرهم.. أولئك الذين فهموا ماذا تعني نصرتهم للحسين (ع) وهم على علم بقتلهم فكانوا يتقاتلون في الدفاع عن ابن رسول الله.

في عز القتال ووسط ذلك الجو الملتهب بحرارة المعركة يصلي الإمام صلاة الخوف مع أصحابه فيقف أحد الأصحاب لحمايته ويستقبل السهام بصدره دفاعاً عن حجة الله على خلقه حتى إذا أصبح جسمه كالقندى من كثرة السهام سقط على وجه الأرض متتمماً "هل وفيت يا بن رسول الله".

وببدأ الشهداء يرثمون في أحضان الحور العين الواحد تلو الآخر، الهاشميون وأبناء علي (ع) وأبناء الحسن، ثم أبناء الحسين وكان آخرهم طفلاً رضيوا للحسين (ع) أخرجه لهم ليجودوا عليه بقطرة ماء بعد أن صار يتلوى من العطش، وقد جف ثدي أمه فاستقبله القوم بالسهام حتى ذبح في حجر أبيه.

وبقي الحسين وحيداً يلقي تارة نظرة إلى مخيم النساء بعد قليل سيصرن سبايا وهن بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتارة ينظر إلى القوم الذين احتوشوه استعداداً لقتله ويبكي! سأله أخته زينب لماذا البكاء؟ قال: أبكي لهؤلاء القوم الذين يدخلون النار بسببي هلرأيتم إنساناً يبكي على عدوه الذي يظلمه؟!.. لم يكن هذا إلا من الأنبياء.

ثم قاتلهم حتى قتل ونفذوا وصايا ابن زياد، ففصلوا الرأس عن الجسد ثم أمروا بالخيل لتطأ صدره الشريف.

هذه بعض تفاصيل رزية الأمة وما أعظمها من رزية بكت لها السماوات قبل الأرض، وبكى لها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم ولادة الحسين (ع)، وستظل ذكرها تدمي القلوب، وصدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما قال "إن للحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تطفأ أبداً".

ما زالت ذكرى أبي عبد الله (ع) عند شيعته محفوظة رغمما عن أنوف بعض الجهلة الذين صاروا على منابر العلماء يتحدثون عن الدين وهو منهم براء في غفلة من الناس.

ابن زياد ما يزال جاثما على صدر الأمة باسم جديد وشريح القاضي ما زال يفتني بلسان حديث: بکفر ونجاسة شيعة أبي عبد الله الحسين (ع) وطهارة اليهود ووجوب الصلح معهم^١ ، بل هم أفضل من شيعة الحسين (ع)، وما يزال التضليل والكبت كما فعل قاتلوا الحسين (ع) عندما جاءوا بالسبايا وتساءل الناس من هؤلاء فقالوا أنهم سبايا من الديلم فشمت الناس بهم ووصل الأمر ببعضهم أن فكر في امتلاك إحدى السبايا كجارية وهن ربيات بيت الوحي الذي حرمت على أهله الصدقة وأمر الله بمودتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا المُوْدَةُ فِي الْقُرْبَى﴾.

ولكن ما زالت خطبة زينب بنت علي (ع) تدوي في أسماع الشيعة وهي تخاطب يزيد الذي أدخل إليه رأس الحسين وهو متخذ مجلسا للشراب ووضع الرأس بين يديه فراح ثانيا الحسين بمحضره وهو ينشد:

خبر جاء ولا وحي نزل	لعبت هاشم بالملك فلا
منبني أحمد ما كان فعل	لست من خندف إن لم أنتقم
خطبـت عـقـيلـة الـهاـشـمـيـن زـينـبـ بـلـسـانـ يـفـرـغـ عنـ أـبـيـهاـ عـلـيـ (عـ)ـ خطـبـة طـوـيـلـةـ	
نـخـتـارـ مـنـهـاـ هـذـاـ المـقـطـعـ الـذـيـ جـعـلـ المـجـالـسـ تـعـقـدـ لـلـحـسـنـ فـيـ أـوـسـاطـ شـيـعـتـهـ	
إـلـىـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ وـإـلـىـ ماـشـاءـ اللهـ...ـ قـالـتـ فـيـمـاـ قـالـتـ مـخـاطـبـةـ يـزـيدـ "ـ فـكـدـ كـيـدـكـ	
وـاسـعـ سـعـيـكـ وـنـاصـبـ جـهـدـكـ فـوـالـلـهـ لـاـ تـمـيـتـ وـحـيـنـاـ وـلـاـ تـمـحـوـ ذـكـرـنـاـ وـلـاـ يـرـحـضـ	
عـنـكـ عـارـهـاـ،ـ وـهـلـ رـأـيـكـ إـلـاـ فـنـدـ وـأـيـامـكـ إـلـاـ عـدـدـ،ـ وـجـمـعـكـ إـلـاـ بـدـدـ،ـ يـوـمـ يـنـادـيـ	
الـمـنـادـيـ أـلـاـ لـعـنـةـ اللـهـ عـلـىـ الـظـالـمـيـنـ .ـ	

رغم توارثنا لعاداتبني أمية وقبولنا لها مثل الاحتفال بيوم عاشوراء الذي

^١ فتوى بعض العلماء حول التعاطي مع اليهود مثل ابن باز.

قتل فيه ابن بنت الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) نعيب على الشيعة إقامتها لمجالس العزاء الحسينية، ولا دليل لدينا سوى ادعاء عمر بن الخطاب لحرمة البكاء وهو القائل " كل الناس أفقه منك يا عمر ". لقد بكى رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) لقتل الحسين في يوم ولادته، كما بكته السماء بل حتى الجمادات كما جاء في كتب التاريخ، وبكاء النساء لمقتل حمزة أيضاً وتشجيع النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) لهن وإنعانتهن حينما قال: على مثل حمزة فلتبك البواكى، ولقد أقام عليه أهل المدينة مآتم العزاء فلم نر مستنكراً لذلك فيما وصل إلينا. والمحاولات التي يبتها المغرضون اليوم حول البكاء على الحسين ما هي إلا إحدى المحاولات لإسكات صوت الحق وإطفاء نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ولو لم يفعل الشيعة ذلك لإحياء ذكرى كربلاء لحاولوا طمسها كما فعلوا بحادثة الغدير ولقالوا لنا اليوم أن الذي قتل لم يكن الحسين بن علي (ع).

ويكفي فخر المجالس الحسين أنها ما فتئت تؤرق مضاجع الطغاة وتلهب في النفوس المؤمنة روح الجهاد ويكتفي قراءة خطبة واحدة من خطب الحسين (ع) ليسري مفعولها السحري في الأرواح المؤمنة.

لن أستطيع في هذه الوجيزة أن أستعرض كافة جوانب كربلاء ولكن يجب على الأمة ألا تغلق على نفسها مثل هذه الكنوز التي لا يعرفها إلا من هداه الله.

السجود على التربة الحسينية:

هنا لك مسألة مرتبطة بهذا البحث، كثير من الناس استشكل فيها على الشيعة، ومن خلال تجربتي الشخصية لم أجده عند أحد دليلاً شرعياً يؤيد إشكاله

اللهم إلا ما يتناقله ببعاوات الوهابية فيما يرتبط بالتوحيد والشرك الذي هم أبعد الناس فهما له، والمسألة هي السجود على التربة الحسينية... قال لي بعضهم " الشيعة يا أخي يعبدون الحجر ويصلون له " وكثيراً ما سمعت هذه الجملة لذا وجب على توضيح الأمر حتى لا نصبح كالهمج الرعاع أتباع كل ناعق نميل مع كل ريح.

أولاً: إن للسجود صيغتين:

أ - السجود للشئ.

ب - السجود على الشئ.

أما الأول فهو حالة من حالات الشرك بلا خلاف، والشيعة تحرم ذلك البينة لأنه سجود لغير الله وهذا لا يحتاج مني إلى كثیر عناء فلترراجع فتاوى علماء الشيعة في ذلك.

أما الثانية فالكل يسجد على شئ، والسجود لا يتحقق في الأساس إلا على شئ.

والشيعة يسجدون على التربة وليس للتربة، ويكون السؤال لماذا التربة الحسينية بالخصوص؟ وهذا السؤال سنجيب عليه في نقطتين: الأولى فيما يختص بالتربة كما هي والثانية بخصوص التربة الحسينية.

النقطة الأولى:

إن علماء مدرسة أهل البيت (ع) ومن أقوال أئمتهم يوجبون أن يكون موضع الجبهة في الصلاة من الأرض أو ما أنبته الأرض مما لا يؤكل ولا يلبس في الغالب.

أما فقهاء أهل السنة الأربعة فإنهم يجوزون السجود على كل شئ بما في

ذلك الأرض.

وعلماء الشيعة لهم ما يؤيد قولهم من مصادر أهل السنة نذكر منها: -

١ - حديث رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم).

"جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً" (بخاري ج ١٠٩ / ١).

٢ - قوله (صلى الله عليه وآلها وسلم):

"جعلت لي الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً" (بخاري

ج ١ / ٣٧١، مسلم ١ / ٣٧١).

٣ - وعن أبي سعيد الخدري في حديث جاء فيه:

"وكان سقف المسجد من جريد النخل وما نرى في السماء شيئاً فجاءت
قرعة فأمطرنا فصلى بنا النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) حتى رأيت الطين
والماء على جبهته وأرنبته (صلى الله عليه وآلها وسلم)" (بخاري ج ٢ / ٣٨٦).
وكثير من الأحاديث التي تؤكد على مسألة السجود على التربة.

النقطة الثانية: لماذا السجود على التربة الحسينية.

أولاً: السجود على التربة الحسينية يمثل حالة من حالات السجود على
الأرض وإجماع المسلمين على صحة السجود على الأرض وترابها قائم فلا
يوجد مبرر لاستثناء تربة الحسين (ع).

ثانياً: إن أئمة أهل البيت (ع) كانوا يؤكدون على مسألة السجود على
التربة الحسينية والإمام علي بن الحسين (ع) أول من سجد عليها وكل أئمة
أهل البيت (ع) كان يسجدون عليها ويؤكدون على "استحباب السجود عليها
كما جاء عن الإمام الصادق (ع)" إن السجود على تربة أبي عبد الله الحسين
يخرق الحجب السبع".

وتربة الحسين عبارة عن تراب من كربلاء يخلط بالماء ويصب في قوالب ثم يجفف ويوضع في موضع الجبهة للسجود عليه.

ثالثاً: هنالك دلالات كبيرة في السجود على تربة سيد الشهداء (ع) لا تخفي على الألمعي منها^١ :

١ - الدلالة العقائدية:

عمر بن سعد غداة يوم عاشوراء صلى بجيشه صلاة الصبح جماعة ثم قتل الصلاة في ظهيرة نفس اليوم بقتله سيد الشهداء، ونحن بصلاتنا على تربة الحسين نعلن أننا لا نصلّي صلاة ميّة مثل صلاة عمر بن سعد وأميره يزيد وأبيه ومن ولاه، لا نحن نصلّي صلاة الحسين وأبيه وجده وهذا ما يكرس مفهوم الولاء لأهل البيت (ع) عند شيعتهم ولهذا ركز الأئمة (ع) على التذكير بتربة الحسين (ع) التي يعني السجود عليها تمام التسليم والخصوص لله بانتهاج نهج أوليائه.

٢ - الدلالة التاريخية:

حاول البعض طمس معالم يوم الغدير الذي يوحي فيه لعلي (ع) بالخلافة، وعاشوراء كانت في عهد بنى أمية وما أدرك ما بنو أمية، والتربة الحسينية وثيقة تاريخية حية تحمل شواهد الجريمة التي نفذها الحكم الأموي يوم العاشر من محرم، وإذا كانت الأجهزة الظالمة عبر التاريخ قد مارست أساليب المصادرة لقضية كربلاء، وما زال امتدادهم إلى يومنا هذا، فإن الأئمة من أهل البيت (ع) رسخوا في وعي الأمة وفي وجدان الأجيال حالة التعاطي والارتباط بقضية الحسين (ع) من خلال الإحياء والرثاء والبكاء والزيارة وفي هذا المسار تأتي مسألة التأكيد على التربة الحسينية.

^١ التشيع - السيد عبد الله الغريفي.

٣ - الدلالة الجهادية:

التربة الحسينية إحدى صيغ التجذير للوهج الشوري والجهادي في حس الجماهير المسلمة، وهذا ما تحتاج إليه كل الأمة الإسلامية، خاصة ونحن نعيش فترة يواجه فيها المد الإسلامي بكل أنواع الحروب، والتعامل مع هذه التربة ليس تعاملاً مع كتلة ترابية جامدة وإنما هو تعامل مع مزيج متحرك من مفاهيم الثورة وقيم الجهاد ومضامين الشهادة، فمع كل ذرة من ذرات هذه التربة صرخة جهادية ونداء ثوري ومفهوم استشهادي لا يقوى الزمان بكل امتداداته ولا تقوى الأجهزة المتسلطة بكل إمكاناتها أن تجمد تلك الدلالات فالتربة الحسينية عقيدة وجihad وثورة وحركة واستشهاد.

الفصل الثامن

في دائرة النور

﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح
في زجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا
غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسه نار، نور على نور يهدى الله لنوره من
يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾

(سورة النور: آية / ٣٥)

من ركام الباطل إلى النور

من وسط ركام الباطل المظلم أسرعت إلى حيث النور وانكشف الغطاء عن البصر إثر الحجة تلو الأخرى والدليل يضاف إليه دليل والعقل يستنير ولا سبيل إلا أهل البيت (ع)، ودخلت دائرة النور والنور لا يرى إلا بنفسه، وسنا بريق كنوز أهل البيت يخطف الأبصار.

تأسفت لحال من لم يوفقه الله للاهتداء إليهم، ونظرة عامة إلى منهجمهم وكلماتهم وأحوالهم كافية للتدليل على أنهم هم أبناء الله على وحيه المنزل على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الأمانة العظمى التي لا يمكن أن يتحملها من يعتريه الشيطان بين الفنية والأخرى ولا يؤدي حقها من كان كل الناس أفقه منه ولا يستطيع حفظها من آثر هواه وهو عشيرته على التمسك بأبسط مفردات الحق.

أهل البيت (ع) كلماتهم نور لم أسمع بها عند الآخرين، منهجمهم في تربية الأمة وتوجيهها يجعلك تحس بمعنى خلافة الله في الأرض، لم يشهد التاريخ بأنهم تعلموا على أيدي أحد بل الكل يدعى الرجوع إليهم وما الفقهاء الأربع إلا نتاج جامعة الإمام الصادق العلمية في المدينة المنورة والتي تخرج منها أيضاً جابر بن حيان بعلم الكيمياء الذي أخذه من الإمام الصادق (ع)، ولا يسعني أن أستعرض ولو قطرة من بحار علومهم التي أخذ منها شيعتهم فكان تفوقهم على من سواهم في جميع المجالات، وموسوعة واحدة من مصادرهم الحديثية تكفي لتلتهم كل ما عند أهل السنة والجماعة من مصادر، وبحار الأنوار بمجلداته العشرة بعد المائة دلتنا على ذلك وحقاً إنه بحار من أنوار العلم.

وقد سعى المفسدون في الأرض إلى تشويه صورة مذهب أهل البيت (ع) وحاولوا ممارسة التضليل الإعلامي، ومن جملة ذلك الطعن في نهج البلاغة الجامع

بعض خطب ورسائل وكلمات أمير المؤمنين (ع) وهو هو بمنتهى الذي أعجز البلوغ وإن ما جاء فيه كاف لبيان صحة النسبة لأمير المؤمنين وعلى هؤلاء أن يأتونا بخطبة واحدة قالها أحد الخلفاء أو كلمة قصيرة تشبه الخطب الواردة في نهج البلاغة. قيل لأحد الإخوة أن نهج البلاغة وضعه الشري夫 الرضي فقال لهم إذا هو إمام مفترض الطاعة!!

ولأهل البيت (ع) تراث عظيم كان من الممكن أن تستفيد منه الأمة ولكنها أبت إلا نفوراً، وإحدى معاجزهم التي بهرتني، ذلك المنهج في الدعاء وكيفية التقرب إلى الله تعالى والأدب الرفيع في مخاطبة رب سبحانه، والقارئ للصحيفة السجادية وهي صحيفة كلها أدعية للإمام الرابع علي بن الحسين السجاد (ع) يتعجب لماذا لم يهتم علماء السنة بهذه الصحيفة هل لأنها واردة عن أحد الأئمة أهل البيت؟ أم لماذا!!.

أحد الإخوة الذين استبصروا، كان يميل للوهابية بعد أن عملوا على تزويقه أفكارهم ومعتقداتهم وقبل أن ينغمس معهم تماماً من الله عليه بأحد الأصدقاء والذي أعطاه بعض مؤلفات الشيعة ليقرأها، ولقد سمع من قبل عن الشيعة وحضر منهم، فطلب مني ومن بعض الإخوة جلسة حوار حول التشيع وما إليه فربينا به وجلسنا فدار النقاش حول معتقدات الشيعة وبعد نقاش طويل تنفس قائلاً: هذا الكلام حق لا لبس فيه ولكن لماذا يقولون عن الشيعة كل هذه الأقوال؟! قلت له: كما أن للحق أنصاراً يعملون على نصرته. فإن للباطل جنوداً وشياطين يوحون إليهم، ولا يمكن أن يعتمد الباطل لا على باطل. قال هذا الأخ وعلامات الأسف والتأثر واضحة عليه: لقد قالوا لنا إن الشيعة يخالفون المسلمين في كل شيء حتى الصلاة. كان وقت صلاة المغرب قد حان فقلت: الآن بإمكانك أن تصلي معنا

لتري هل صلاتنا تختلف كما يدعون.

توضأنا وصلينا وكان اليوم يوم خميس وبعد الصلاة وكما هو معروف عند الشيعة يستحب قراءة دعاء كميل وهو دعاء علمه أمير المؤمنين علي (ع) لأحد أصحابه وهو كميل بن زياد النخعي والشيعة يواطئون على قراءته.

قرأنا ذلك الدعاء وأحسست بانفعال هذا الأخ بالدعاء، حينها تألمت لهذه الأمة المحرومة من هذه الكنوز التي لم يدخل بها أهل البيت (ع) خصوصا فيما يختص بالأدعية التي تجعل الإنسان في عالم آخر وهو ينادي ربه. بعد الدعاء رأيت الدموع في عينيه وهو يقول بحرقة: خدعونا و قالوا لنا أن الشيعة لا يعرفون الصلاة والله نحن ما عرفنا الصلاة ولم نفهم الصلاة.

فقرات من أدعية أهل البيت (ع)

* من دعاء الصباح لأمير المؤمنين (ع).

"اللهم يا من دلع لسان الصباح بنطق تبلغه وسرح قطع الليل المظلم بغيابه تلجلجه وأتقن صنع الفلك الدوار في مقادير تبرجه وشعشع ضياء الشمس بنور تأججه، يا من دل على ذاته بذاته وتنتزه عن مجانته مخلوقاته وجل عن ملائمة كيفياته، يا من قرب من خطرات الظنو وبعد عن لحظات العيون وعلم بما كان قبل أن يكون، يا من أرقدني في مهاد أمنه وأمانه وأيقظني إلى ما منحني من منه وإحسانه، وكف أكف السوء عني بيده وسلطانه.." .

"افتح اللهم لنا مصاريع الصباح بمفاسيد الرحمة وال فلاح وألبسي اللهم من

أفضل خلع الهدایة والصلاح واغرس اللهم بعظمتك في شرب جناني ينابيع
الخشوع وأجر اللهم لهيتك من آماقي زفات الدموع وأدب اللهم نرق الخرق
مني بأزمة القنوع...".

* من دعاء يوم عرفة للإمام الحسين (ع): -

"الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع ولا لعطائه مانع ولا كصنعه صنع صانع
وهو الجود الواسع فطر أجناس البدائع وأتقن بحكمته الصنائع لا تخفي
عليه الطلائع ولا تضيع عنده الودائع جازي كل صانع ورايش كل قانع وراحم
كل ضارع ومنزل المنافع والكتاب الجامع بالنور الساطع وهو للدعوات سامع
وللكربات دافع وللدريجات رافع وللجبارة قائم فلا إله غيره ولا شئ يعدله
وليس كمثله شئ وهو السميع البصير اللطيف الخير وهو على كل شئ قادر،
اللهم إني أرغب إليك وأشهد بالربوبية لك مقرأ بأنك ربى وأن إليك مردي
ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً وخلقتني من التراب ثم أسكنتني
الأصلاب آمناً لريب المنون واختلاف الدهور والسنين..."

"اللهم اجعلني أخشاك كأنني أراك وأسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك
وخر لي في قضائك وبارك لي في قدرك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا
تأخير ما عجلت، اللهم اجعل غنائي في نفسي واليقين في قلبي والإخلاص في
عملي والثور في بصري والبصرة في ديني ومتعني بجوارحي واجعل سمعي وبصري
الوارثين مني وانصرني على من ظلمني. إلهي كيف أعزز وأنت القاهر وكيف لا
أعزز وأنت الأمر إلهي ترددت في الآثار يجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة
توصلني إليك... كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون
لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج
إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت
عين لا تركك عليها رقيباً وخسرت صفة عبد لم يجعل له من حبك نصيباً..."

* مناجاة الشاكرين: للإمام زين العابدين (ع):

بسم الله الرحمن الرحيم

”إلهي أذهلني عن إقامة شكرك تتابع طولك، وأعجزني عن إحصاء ثنائك
فيض فضلك، وشغلني عن ذكر مhammadك ترادر عوائدك، وأعياني عن نشر
عوارفك توالى أياديك، وهذا مقام من أتعترف بسبوغ النعماء، وقابلها بالتقدير،
وشهد على نفسه بالإهمال والتضييع، وأنت الرؤوف الرحيم البر الكريم، الذي
لا يخيب قاصديه، ولا يطرد عن فائه آمليه، بساحتك تحط رحال الراjin،
وبعرضتك تقف آمال المسترفين، فلا تقابل آماننا بالتخيب والائس، ولا
تلبسنا سربال القنوط والإblas، إلهي تصاغر عند تعاظم آلاتك شكري،
وتضاءل في جنب إكرامك إياتي ثنائي ونشرى، جللتني نعمك من أنوار الإيمان
حللا، وضررت على لطائف بررك من العز كللا، وقدلتني منتك قلائد لا تحل،
وطوقتني أطواقا لا تفل، فألاؤك جمة ضعف لسانى عن إحصائها، ونعماؤك
كثيرة قصر فهمي عن إدراكها فضلا عن استقصائها، فكيف لي بتحصيل
الشكر، وشكري إياك يفتقر إلى شكر، فكلما قلت لك الحمد وجب علي
لذلك أن أقول لك الحمد، إلهي فكما غذيتنا بطريقك وربتنا بصنعك، فتم علينا
سوابغ النعم، وادفع عننا مكاره النقم، وآتنا من حظوظ الدارين أرفعها وأجلها عاجلا
وأجلها، ولك الحمد على حسن بلائق وسبوغ نعمائك حمدا يوافق رضاك ويمتري
العظيم من بررك ونداك يا عظيم يا كريم، برحمتك يا أرحم الراحمين...“

* قيسات من نور آل محمد:

إن الفقه الشيعي هو الشجرة الطيبة الراسخة الجذور المتصلة الأسس
بالنبوة، والذي امتاز بالسعة والشمولية والعمق والدقة والقدرة على مسايرة

العصور المختلفة، والمستجدات المتلاحقة من دون أن يتخلى العدد المرسومة في الكتاب والسنة ويعتمد الفقه الشيعي إضافة إلى الكتاب والسنة العقل والإجماع الكاشف عن وجود النص أو موافقة المعموم.

إن الشيعة الإمامية قدمت في ظل هذه الأسس الأربع فقهاً يتناسب مع المستجدات، جاماً لما تحتاج إليه الأمة، ولم يغلق باب الاجتهاد^١ عندهم، بل ظل مفتوحاً طيلة القرون الماضية إلى يومنا هذا، فأنتج عبر العصور فقهاء عظاماً، وموسوعات كبيرة لم يشهد التاريخ لها ولهم مثيلاً، والمقام لا يتسع لبسط الكلام عن الفقه الجعفري كما أن مفهوم الاجتهاد عند الشيعة غير ما هو عند السنة، فليراجع معالم المدرستين ج ٢.

إلا أن هنالك بعض الاختلافات بين الفقه الجعفري وفقه أهل السنة والجماعة حاول البعض أن يتذرع بها ذريعة ليرمي التشيع بكل فرية وتشويه، وأنا لست بصدق بيان كل موضع الاختلاف، ولكنني سأختار بعض المفردات عند الفقه الشيعي يشير حولها الجاهلون شبهات لاتهام الشيعة، سأطرحها لأبين رأي الدين فيها ثم أترك للقارئ الحكم.

و قبل ذلك أقول أن الاختلاف ليس في الفروع فقط، بل هنالك خلافات جوهرية في الأصول العقائدية.. فالحديث عن التوحيد يطول، يلتقي فيه أهل السنة مع الشيعة ويفترقون، فالله سبحانه وتعالى في كتب أهل السنة والجماعة والتي بدورها الوهابيون في كتبهم يمشي ويتحرك من مكان إلى آخر وينزل ويصعد ويضحك وله يدان وقدمان وساق... الخ حتى أبعد الناس عن ربهم.

^١ المكلف إما مجتهد يستربط الأحكام الشرعية أو محاط أو مقلد لمرجع مجتهد جامع للشراطـ المذكورة في كتب الفقه.

أذكر هنا أن أحد الشباب الذين خدعوا بالوهابية جرى حوار بينه وبين أحد الإخوة وكان محور حديثهما التوحيد وكان هذا الوهابي مصرا على أن الله مكاناً وحيزاً يوجد في العرش فوق السماوات، فقال له الأخ: يعني إذا اخترت صاروخاً يسيراً أسرع من الصوّة واتجهت به إلى السماء هل بإمكانك الوصول إلى مكان الله وجوده هناك؟
قال: نعم!.. فضحك الأخ وقرر الصمت.

هذا حال التوحيد الذي من أجله بعث الأنبياء عند القوم، أما الشيعة فإن أئمتهم لم يتركوا لهم مجالاً ليشطوا عن الحق والمعرفة الصحيحة كما فعل غيرهم، وإنما تركوا لهم كنوزاً من المعارف الإلهية نزل بها الوحي على النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ويكتفي من ذلك ما جاء في نهج البلاغة عن علي بن أبي طالب (ع) يقول في إحدى خطبه مبيناً حقيقة التوحيد:
”الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود ولا وقت محدود ولا أجل ممددود فطر الخلق بقدرته ونشر الرياح برحمته، ووتد الصخور ميدان أرضه. أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له. وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادـة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهلـه، ومن جهلـه فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال (فيـم) فقد ضمنـه ومن قال (علام) فقد أخـلى منه كائـن لا عنـ حدـث،

موجود لا عن عدم... الخ " ١ .

وهنالك الكثير من المفارقات بين المدرستين تحتاج إلى مجلدات لاستقصائهما وعلى الجميع أن يبحث ليلى الله على حجة وسأذكر بعض المفردات الفقهية الخلافية لنرى مع من الحق.

* التقية:

ما أكثر ما شنع خصوم الشيعة عليهم في التقية التي غاب عنها عن أذهانهم ورسموا لها معاني من مخيلتهم الخربة فصاروا يتهمون بها الشيعة والتشيع، وعندما أوضح هنا معنى التقية وشرعيتها لا أنتصر للشيعة ومعتقداتهم بقدر ما أنصر القرآن ومفاهيمه التي تمسك بها الشيعة فكان صحة ما يعتقدون به فرعاً لأصل صحة القرآن الذي غابت بصائره عن العقول النجدية فناهت حتى أنها تكاد لا تفقه الفرق بين الطهارة والنجاسة.

البعض يردد أقوال الآخرين دون تمحيص ومعرفة غافلين عن خطورة استهزائهم بما لا يعلمون فيستهزئون من حيث لا يشعرون بالحق والقرآن وذلك ستكون عاقبته وخيمة، وما أكثر ما سمعت "أن الشيعة منافقون لأنهم يعتقدون بالتقية وهي تعني النفاق وإظهار خلاف الباطن" ضاربين بذلك الآيات القرآنية وسيرة الأنبياء عرض الحائط.

وقبل استعراض أدلة شرعية التقية من القرآن والسنة كما جاء في كتب أهل السنة والجماعة، والتي أرى أن الشيعة أعلم بها من أهلها، نتحدث عن معنى التقية وظروفها.

^١ نهج البلاغة الخطبة الأولى..

إن الشيعة ومنذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) عاشوا في اضطهاد وتشريد وتقتيل من قبل السلطات الجائرة التي تعاقبت، وبعد واقعة كربلاء أصبح الشيعة وحدهم المناؤين للحكام والمتصدرين لهموم الأمة باعتبار أن أئمتهم هم الحافظون للشريعة، لذلك كرسـت الحكومـات كل جهودها لضرـبـهمـ.

لهـذا السـبـبـ ولـغـيرـهـ عـرـفـ الشـيـعـةـ بـالـتـقـيـةـ دـوـنـ غـيـرـهـ مـنـ الفـرـقـ الـإـسـلـامـيـةـ

الـتـيـ كـانـ عـلـمـأـهـاـ وـمـنـ وـرـائـهـمـ العـامـةـ يـؤـيـدـونـ كـلـ سـلـطـانـ عـادـلـ أوـ جـائـرـ،ـ بـيـنـماـ

يـصـوـرـ لـنـاـ الإـلـاـمـ الـبـاقـ (عـ)ـ حـالـ الشـيـعـةـ آـنـذـاكـ يـقـوـلـ:ـ وـكـانـ مـنـ أـعـظـمـ ذـلـكـ

وـأـكـبـرـهـ زـمـنـ مـعـاوـيـةـ بـعـدـ مـوـتـ الـحـسـنـ (عـ)ـ فـقـتـلـتـ شـيـعـتـناـ بـكـلـ بـلـدـةـ وـقـطـعـتـ

الـأـيـديـ وـالـأـرـجـلـ عـلـىـ الـظـنـةـ وـكـلـ مـنـ يـذـكـرـ بـحـبـنـاـ وـالـانـقـطـاعـ إـلـيـنـاـ سـجـنـ أوـ نـهـبـ

مـالـهـ أوـ هـدـمـتـ دـارـهـ ثـمـ لـمـ يـزـلـ الـبـلـاءـ يـشـتـدـ وـيـزـدـادـ إـلـىـ زـمـانـ عـبـيدـ اللـهـ بـنـ زـيـادـ

قـاتـلـ الـحـسـينـ (عـ)ـ ثـمـ جـاءـ الـحـجـاجـ فـقـتـلـهـمـ كـلـ قـتـلـةـ وـأـخـذـهـمـ بـكـلـ ظـنـةـ وـتـهـمـةـ

حـتـىـ أـنـ الرـجـلـ لـيـقـالـ لـهـ زـنـديـقـ وـكـافـرـ أـحـبـ إـلـيـهـ مـنـ أـنـ يـقـالـ شـيـعـةـ عـلـيـ .ـ

هـذـاـ هـوـ الـحـالـ بـاـخـتـصـارـ وـعـنـدـ عـرـضـنـاـ لـلـأـدـلـةـ سـيـتـبـيـنـ بـإـذـنـ اللـهـ تـعـالـىـ أـنـ التـقـيـةـ

حـاجـةـ فـطـرـيـةـ وـكـلـنـاـ نـسـتـخـدـمـهـاـ فـيـ حـيـاتـنـاـ الـعـمـلـيـةـ خـصـوصـاـ أـوـلـئـكـ الـذـينـ

يـوـاجـهـونـ الطـوـاغـيـتـ فـيـ كـلـ مـكـانـ،ـ يـعـلـمـونـ بـأـهـمـيـتـهـاـ فـيـ مـسـيرـهـمـ الـجـهـادـيـةـ.

وـالـتـقـيـةـ فـيـ الـلـغـةـ مـعـنـاهـاـ الـحـذـرـ،ـ قـالـ اـبـنـ مـنـظـورـ فـيـ لـسـانـ الـعـرـبـ تـوـقـيـتـ

وـاتـقـيـتـ،ـ أـتـقـيـهـ تـقـيـ وـتـقـيـةـ وـتـقـاءـ:ـ يـعـنيـ حـذـرـتـهـ.

أـمـاـ التـقـيـةـ شـرـعاـ كـمـاـ عـرـفـهـاـ الشـيـخـ الـأـنـصـارـيـ مـنـ -ـ كـبـارـ عـلـمـاءـ الشـيـعـةـ

الـمـتـقـدـمـينـ -ـ فـيـ كـتـابـهـ الـمـكـاـسـبـ (ـالـتـحـفـظـ عـنـ ضـرـرـ الـغـيرـ بـمـوـافـقـتـهـ فـيـ قـوـلـ أوـ

فعلـ مـخـالـفـ لـلـحـقـ).

وـشـرـعـيـةـ التـقـيـةـ تـؤـخـذـ مـنـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ كـمـصـدـرـيـنـ لـلـتـشـرـيـعـ وـسـتـجـدـ أـنـ

الـعـقـلـ يـؤـيـدـ مـشـروـعـيـتـهـ.

*أَمَا مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ:

قوله تعالى ﴿لَا يَتَخَذُ الْمُؤْمِنُونَ كُفَّارًا أَوْ لِيَاءً مِّنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ فَإِنَّمَا يُفْعَلُ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَنْقُوا مِنْهُمْ تَفَاهَةً﴾ (آل عمران / ٢٨).
وواضح من قوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ تَنْقُوا مِنْهُمْ تَفَاهَةً﴾ شرعيه التقية وأن المؤمن إذا خاف من الكفار يجوز له مداراتهم تقية منه ودفاعا عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك.

يقول الفخر الرازى في تفسير هذه الآية:

(المسألة الرابعة) اعلم أن للتجارة أحکاماً كثيرة ونحن نذكر بعضها:
"الحكم الأول" إن التقية إنما تكون إذا كان الرجل في قوم كفار، ويحاف على نفسه وماله فيدار بهم بلسانه وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أن يظهر الكلام الموجه للمحبة والموالاة ولكن بشرط أن يضم خلافه وأن يعرض في كل ما يقول، فإن التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب.
"الحكم الثاني" هو أنه لو أفصحت بالإيمان والحق حيث يجوز له التقية كان ذلك أفضل.

"الحكم الثالث" إنما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعاداة، وقد تجوز أيضاً فيما يتعلق بإظهار الدين، فأما ما يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال والشهادة بالزور وقدف المحسنات وإطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز.

"الحكم الرابع" ظاهر الآية يدل أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالبين، إلا أن مذهب الشافعى رضى الله عنه أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة عن النفس.

"الحكم الخامس" التقية جائزة لصون النفس. وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) "حرمة مال المسلم كحرمة دمه" ولقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) "من قتل دون ماله فهو شهيد" ولأن الحاجة إلى المال شديدة، والماء إذا بيع بألفين سقط فرض الوضوء وجاز الاقتصار على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز هنا والله أعلم.

"الحكم السادس" قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتاً في أول الإسلام لأجل ضعف المؤمنين، فأما بعد قوّة دولة الإسلام فلا، وروي عن عوف بن الحسن أنه قال: التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيمة، وهذا القول أولى لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان^١.

يتضح من كلام الرازبي دلالة الآية على شرعية التقية، ويدرك ذات المعنى ابن كثير في تفسيره^٢.

﴿ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾
سورة النحل (١٠٦).

والتي نزلت في عمار بن ياسر، وكلنا يعرف قصة تعذيب كفار قريش له حتى قال ما طلبوه منه من تمجيد آلهتهم وغير ذلك، إلا أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشره وأبويه بالجنة وقال له إذا عادوا فعد بمثل ما قلت، ولا أعتقد أن هنالك أوضح من ذلك لفهم التقية والتي مارسها مؤمن آل فرعون كما جاء في القرآن ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ (سورة غافر: آية ٢٨).

^١ التفسير الكبير للفخر الرازبي ج ٨ / ١٣.

^٢ تفسير القرآن العظيم ج ١ / ٣٠٨.

* أما من السنة:

فقد أورد الرازبي نفلا عن البخاري في صحيحه من كتاب الأدب باب المداراة مع الناس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنا لنكشر في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم" ، كما نقل - الرازبي - أن مسيلة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: لأحدهما: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم نعم نعم، فقال: أفتشهد أنني رسول الله؟ قال: نعم. وكان مسيلة يزعم أنه رسولبني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر فقال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، قال: أفتشهاد أنني رسول الله؟ قال: إني أصم ثلاثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ^١.

كل ذلك يدل على مشروعية التقية وأنها حكم عام يشمل كل إنسان، وبضم حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرروا عليه" يكتمل المطلب.

والتقية كحكم لها ضوابطها وحدودها والشيعة فيما يرتبط بفروع دينهم لا يحتاجون لغيرهم للأخذ منهم ولقد جئنا بالأدلة حتى لا يطلق البساطة تهمهم بجهل. وإليك روایات عن طريق أهل البيت (ع) وهم الحجة على شيعتهم لا غيرهم:

* عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) قال: اتقوا على دينكم فاصحبوه بالحقيقة فإنه لا إيمان لمن لا تقية له إنما أنتم من الناس كالنحل في الطير لو

^١ تفسير الرازبي ج ٨ / ١٢.

أن الطير تعلم ما في أجوف النحل ما بقي منها شيء إلا أكلته ولو أن الناس
علموا ما في أجوفكم أنكم تحبونا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنجلوكم
في السر والعلانية رحم الله عبدا منكم كان على ولايتنا.

* عن الإمام محمد بن علي الباقي (ع): التقية في كل ضرورة وصاحبها
أعلم بها حين تنزل به.

* عنه أيضا: إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم فإذا بلغ الدم فلا تقية.

* وقال الإمام الصادق (ع): "من لا تقية له لا دين له".

وهذا قليل من كثير ورد عن طريق أهل البيت (ع) وعرفنا أصله في القرآن،
والعقل يذعن بذلك إذ أنه من البداهة أن التوقي والحدر مطلوبان في كل
الأحوال، ولا تكون التقية بذلك نفاقا كما حاول البعض أن يعرفها وكيف
يأمرنا الله بالنفاق.

كما أنها لا تجعل من الدين وأحكامه سرا من الأسرار كما ذهب إليه بعض
المستشرقين وأذيا لهم، فكيف تكون السرية عند الشيعة، وهذه كتبهم ليس
دونها حاجز أو حجاب، فليبحث الجميع وليفتش. هذه النجف أمامكم وتلك
قم فارحلوا إليها واتزلوا على مكاتبها فلن تجدوا دونكم سترا أو ممانعة، أي
الكتب أحببت فهي تحت يدك وفي متناولها وفيها أمهات الكتب ومصادر
الأحكام لم تبق مسألة إلا وفصلت ولم تطرح قضية إلا وحلت وعلماؤهم
شهرتهم عمت أرجاء المعمورة.

وفي الخاتمة أورد قصة لأحد الأصدقاء المهدتدين، التف حوله عدد من
الشباب يحاولون إجباره على أن يعترف بأن التقية نفاق فقال لهم: عرفوا لي
النفاق. قالوا: هو إضمار الكفر وإظهار الإيمان، قال لهم: أما التقية فهي إظهار
الكفر وإضمار الإيمان كما جاء في القرآن فهل لديكم دليل بحرمة ذلك؟

فسكتوا. وقد قال الإمام علي (ع) "لو سكت الجاهل ما اختلف حول الحق اثنان" (*).

الوضوء:

إن الوضوء واجب، وبنقتصانه بلا سبب تكون الصلاة باطلة، هذا ما اتفق عليه المسلمون، إلا أن هنالك اختلافاً في كفيته والتي بلا شك يتوقف عليها صحة صلاة الجميع، والشيعة تبعاً لأئمتهم يعتقدون بصحة الوضوء الذي يتبعدون به ووضوء غيرهم غير تمام ولا تصح به الصلاة ولهم أدلة على ذلك من القرآن والسنة.

وبالرغم من أن هذه المسائل التي ذكرناها فرعية تتبع الأصل إلا أن بعض الكتاب والمرتضى والمأجورين أبوا إلا أن يدخلوا الناس في مباحث فرعية لإلهائهم الناس عن الالتفات إلى الاختلاف في المنبع والذي يؤدي إلى الاختلاف في طعم الماء بسبب ذلك إلا أن علماء الشيعة لم يتواتروا في إثبات حتى فروع دينهم من كتب العامة. هنا تكمن قوة الحجة.

هناك اختلاف بين مدرسة أهل السنة والجماعة ومدرسة أهل البيت (ع) حول حكم الأرجل في الوضوء بالإضافة إلى كيفية غسل الأيدي.
أما الأخيرة فإن الشيعة يرون أن الغسل في اليدين يبتدىء بالمرفقين وينتهي بأطراف الأصابع ولا يسوغ الابتداء بأطراف الأصابع والانتهاء بالمرفقين، ولو فعل المتصوّر بذلك بطل وضوؤه وقد أخذوا ذلك من الممارسة العملية لوضوء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي بينه الأئمة (ع) فيما ورد عنهم:

^١ فليراجع كتاب إسلامنا في التوفيق بين الشيعة والسنّة - التشيع - لعبد الله الغريفي.

سئل الإمام الباقر (ع) عن وضوء رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فدعا بطشت أو بتور فيه ماء فغسل كفيه، ثم غمس كفه اليمنى في التور فغسل وجهه بها واستعن بيده اليسرى بكفه على غسل وجهه، ثم غمس كفه اليسرى في الماء فاغترف بها من الماء فغسل يده اليمنى من المرفق إلى الكف لا يرد الماء إلى المرفقين ثم غمس كفه اليمنى في الماء فاغترف بها من الماء فأفرغه على يده اليسرى من المرفق إلى الكف لا يرد الماء إلى المرفق كما صنع باليمنى ثم مسح رأسه وقدميه إلى الكعبين بفضل كفيه لم يجدد ماء^١.

ومن خلال آية الوضوء نستطيع أن نتعرف على الكيفية ثم نرى ما هو حكم الرجال ونأتي بالأدلة من الطريقين. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسِحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (سورة المائدة: آية ٦).

قد يقال بأن دلالة الآية صريحة في بيان كيفية الوضوء ووجوب غسل اليدين بدءاً بالأصابع وإنتهاء بالمرفقين، ولكن بقليل من التأمل نقول أن اليد مشتركة بين الأصابع إلى الزند إلى المرفق وإلى الكتف، فإذا قيل اغسلوا أيديكم يكون مجملأ ومهما يحتج إلى مفسر يعين حد المغسول به فجاءت إلى المرافق وإلى^٢ هنا لبيان حد المغسول به لا لبيان كيفية الغسل والآية ناظرة إلى ما هو متفاهم عرفاً إذ أنه إذا قيل لشخص اغسل هذا البيت أو ضع عليه طلاء إلى السقف فهل يبدأ من تحت إلى أعلى أم العكس؟ ولعل فتاوى الأئمة الأربعية بالجواز لا بالوجوب في الابتداء بالأصابع يؤكّد هذا المعنى ولو كانت إلى^٣ جاءت لبيان كيفية الغسل لوجب على الأئمة الأربعية أن يفتوا بوجوب ذلك.

^١وسائل الشيعة ج ١ / ٢٧٥

ولفظ **إلى** يستخدم أحياناً بمعنى "مع" كقوله تعالى **﴿وَلَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾**.

والشيعة اتبعوا بالإضافة إلى النص من هم أعرف بالقرآن من غيرهم.

* حكم الأرجل:

أما حكم الأرجل فهو أوضح من مسألة كيفية غسل اليدين ومن خلال نفس الآية وهو وجوب المسح، ولا معنى للقول بالغسل وهو مخالف للآية الكريمة بالإضافة إلى السيرة العملية لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وفيما يلي بيان ذلك.

في قوله تعالى **﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾** وردت قراءتان مشهورتان: -
القراءة الأولى:

﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالجر وهي قراءة ابن كثير وحمزة وأبي عمرو وعاصم (في رواية أبي بكر عنه) كما ذكر ذلك الرازمي في تفسيره^١ وبناء على هذه القراءة فالأرجل معطوفة على الرؤوس فوجب مسحهما كما وجب ذلك في الرؤوس، يقول الرازمي:

اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما، فنقل القفال في تفسيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقي: أن الواجب فيما المسوح، وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبرى: المكلف مخير بين المسوح والغسل.

أما القراءة الثانية وهي قراءة "أرجلكم" بالنصب وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه كما ذكر ذلك الرازمي، وبناء على هذه القراءة

^١ تفسير الرازمي ج ١٦١ / ١١.

يكون حكم الأرجل المسح أيضا، لأنها معطوفة على الرؤوس المنصوبة محل المجرورة لفظا فقوله تعالى ﴿بِرُؤُوسِكُم﴾ لها حالتان:

- النصب محل لأنها مفعول به.

- الجر لفظا لأنها مسبوقة بحرف الجر.

فالأرجل المعطوفة على الرؤوس يجوز فيها حالتان.

- النصب عطفا على المحل.

الجر عطفا على اللفظ. والعلف على المحل وارد في لغة العرب فيقال ”

ليس فلان بعالٍ ولا عاماً“ بنصب عامل عطفا لها على محل عالم.

كما أنه لا يصح عطف الأرجل على الوجوه والأيدي، حيث لا يجوز العطف على الأبعد مع إمكان العطف على الأقرب، وكذلك لوجود الفاصل الأجنبي، فلا يصح أن يقال (ضربت زيداً ومررت بيكر وحالداً) بعطف خالد على زيد لوجود الفاصل وهو ”مررت بيكر“ كذلك في آية الوضوء لا يصح عطف ﴿أَرْجُلَكُم﴾ على ﴿وَجْهَكُمْ وَأَيْدِيكُم﴾ لإمكان العطف على الأقرب وهو ﴿رُؤُوسَكُم﴾ ولو وجود الفاصل الأجنبي وهو جملة ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُم﴾.

* أخبار من مصادر سننية توضح وجوب المسح دون الغسل:

١ - في مسنن الإمام أحمد عن علي قال ”كنت أرى باطن القدمين أحقر بالمسح من ظاهرهما حتى رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمسح

ظاهرهما "١ .

٢ - أخرج الحكم في المستدرك بسنده إلى رفاعة بن رافع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "إنها لا تتم صلاة أحد حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله عز وجل يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح رأسه ورجليه إلى الكعبين "٢ ، قال الحكم هذا حديث صحيح على شرط الشيفين، وقد أخرجه بخمسة أسانيد صحيحة.

٣ - أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي مال الأشعري أنه قال لقومه اجتمعوا أصلبي بكم صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فلما اجتمعوا قال: هل فيكم أحد غيركم قالوا: إلا ابن أخت لنا، قال: ابن أخت القوم منهم، فدعى بجفنة فيها ماء فتوضاً وتمضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثة وذراعيه ثلاثة ومسح برأسه وظهر قدميه ثم صلى بهم "٣ .

٤ - أخرج ابن ماجة في سننه قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) "لا تتم الصلاة لأحد حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين "٤ .

٥ - وأخرج أيضاً عن الربيع قالت: أتاني ابن عباس عن هذا الحديث تعني حديثها الذي ذكرت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) توضاً وغسل رجليه فقال ابن عباس: "إن الناس أبوا إلا الغسل ولا أجد في كتاب الله إلا المسع "٥ .

^١ مسند أحمد بن حنبل ج ١ / ٩٥.

^٢ المستدرك ج ١ / ٢٤٢.

^٣ مسند أحمد بن حنبل ج ٥ / ٣٤٢.

^٤ سنن ابن ماجة ج ١ / ١٥٦.

^٥ سنن ابن ماجة ج ١ / ١٥٦.

هذا هو حكم الأرجل في الوضوء "المسح" ، وقد قال ابن عباس للذين يقولون بالغسل: ألا تتدبرون القرآن لقد أبدل الله تعالى الغسل مسحا في التيمم وأسقط المسع في آية التيمم فما لكم لا تفهون؟!...
يقول تعالى في نفس آية الوضوء من سورة المائدة ﴿وَإِن كُنْتُمْ جَنِبًا فَاطْهُرُوهَا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضِيًّا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامْسَتْ النِّسَاءُ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَمِمُّوْا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامسحُوهَا بِوْجُوهِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ مِّنْهُ﴾ (سورة المائدة: آية / ٦) فتأمل.. .

* الجمع بين الصلاتين:

هو الجمع بين صلاتي الظهر والعصر ويسمى عند الفقهاء بالظهرتين، والمغرب والعشاء ويسمى بالعشائين بالإضافة إلى صلاة الصبح. والأدلة على ذلك كثيرة ومتواترة من القرآن الكريم وعن طريق المدرستين. يقول الله تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدَلْوِكَ الشَّمْسِ إِلَى غُسْقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (سورة الإسراء: آية / ٧٨). الدلوك: معناها الزوال.

الغضق: فيه قولان:

أ - أول ظلمة الليل.

ب - شدة الظلمة في نصف الليل.

قرآن الفجر: صلاة الفجر.

وببناء على تفسير الغسق بأول الليل يكون النص قد حدد ثلاث أوقات للصلاة:
الوقت الأول: الزوال وهو بداية الوقت للظهر والعصر معا.

الوقت الثاني: أول الليل وهو بداية الوقت للمغرب والعشاء معاً.

الوقت الثالث: الفجر وهو الوقت الخاص بالصبح.

وبناء على تفسير الغسق بنصف الليل يكون النص دالاً على جواز الجمع فوقت الفرائض الأربع: الظهر والعصر والمغرب والعشاء ممتد من الزوال إلى نصف الليل فالظهر والعصر يشتراكان في الوقت من الزوال إلى الغروب إلا أن الظهر قبل العصر، ويشتركان المغرب والعشاء في الوقت من الغروب إلى نصف الليل غير أن المغرب قبل العشاء، أما فريضة الصبح فقد اختصها الله بوقتها المنوه به في قوله تعالى ﴿وَقَرَآنِ
الْفَجْرِ﴾^١.

يقول الفخر الرازمي في تفسيره لهذه الآية " يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات: وقت الزوال ووقت أول المغرب ووقت الفجر، وهذا يتضمن أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركاً بين هاتين الصالاتين وأن يكون أول المغرب وقتاً للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصالاتين فهذا يتضمن جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقاً ".^٢

إلا أن الرازمي يعقب قائلاً " إلا أنه دل الدليل على أن الجمع جائز بعدن السفر وعدن المطر وغيره ".^٣

ونحن نرد عليه قوله الأخير للأدلة التي تواترت عن طريق أهل السنة والجماعة والتي أكدت على جواز الجمع مطلقاً في الحضر ودون عذر، وأهل البيت (ع) قالوا أيضاً بذلك وأهل البيت أدرى بما فيه.

^١ التشيع - السيد عبد الله الغريفي.

^٢ تفسير الفخرى الرازمي ج ٢١ / ٢٧.

الأدلة من السنة:

- ١ - عن سهل بن حنيف قال: سمعت أبا أمامة يقول: صلينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر ثم خرجنا حتى دخلنا على أنس بن مالك فوجئناه يصلي العصر فقلت: يا عم ما هذه الصلاة التي صليت؟ قال: العصر وهذه صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التي كنا نصلی معه^١.
- ٢ - عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال: "إن النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) صلى بالمدينة سبعاً وثمانية الظهر والعصر، والمغرب والعشاء"^٢.
- ٣ - خطب ابن عباس يوماً بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم وجعل الناس يقولون الصلاة، الصلاة فجأةً رجل من بنى تميم لا يفتر ولا ينشي الصلاة الصلاة، فقال ابن عباس: أتعلمني الصلاة لا أم لك! ثم قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) جمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، فقال عبد الله بن شقيق (راوي الحديث) فحاك في صدره من ذلك شئ فأتيت أبا هريرة فسألته فصدق مقالته^٣.
- ٤ - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: صلی رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) الظهر والعصر جمیعاً بالمدينة من غير خوف ولا سفر، قال أبو الزبیر فسألت سعیداً لـم فعل ذلك؟ قال: سألت ابن عباس كما سألتني فقال: أراد أن لا يحرج أحداً من أمهـه^٤.
- ٥ - عن ابن عباس قال: جمع رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بين

^١ البخاري ج ٢٨٨ / ١.

^٢ المصدر ج ١٨٦ / ١.

^٣ مسلم ج ٢ / ١٥٢ باب الجمع بين الصالاتين في الحضر.

^٤ مسلم ج ٢ / ١٥٢ نفس الباب.

الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر، قال الراوي:

قلت لابن عباس: لم فعل ذلك. قال: كي لا يحرج أمته^١.

* الأدلة من طريق أهل البيت (ع):

هذا هو حال الجمع بين الصالحين كما هو واضح إطلاقه في كل الأحوال تخفيفا للأمة، وذلك ما جاءت به كتب أهل السنة والجماعة، أما ما جاء عن أهل البيت (ع) فكثير نختار منه:

١ - عن الإمام الصادق (ع) قال:

صلى رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعة من غير علة، وإنما فعل ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ليتسع الوقت على أمته^٢.

٢ - عن الإمام الباقر (ع) قال: "إذا زالت الشمس دخل الوقتان الظهر والعصر فإذا غابت الشمس دخل الوقتان المغرب والعشاء الآخرة".

٣ - وبتفصيل أكثر يقول الإمام الصادق (ع) "إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الظهر حتى يمضي مقدار ما يصلني المصلي أربع ركعات، فإذا مضى ذلك فقد دخل وقت الظهر والعصر حتى يبقى من الشمس مقدار ما يصلني المصلي أربع ركعات، فإذا بقي مقدار ذلك فقد خرج وقت الظهر وبقي وقت العصر حتى تغيب الشمس". وقال: "إذا غابت الشمس فقد دخل وقت المغرب حتى يمضي مقدار ما يصلني المصلي ثلاث ركعات، فإذا مضى ذلك فقد دخل

^١ المصدر ج ٢ / ١٥٢.

^٢ وسائل الشيعة ج ٣ / ١٠١.

وقت المغرب والعشاء الآخرة حتى يبقى من انتصاف الليل مقدار ما يصلى المصلي أربع ركعات، وإذا بقي مقدار ذلك فقد خرج وقت المغرب وبقي وقت العشاء إلى انتصاف الليل ”. وسائل الشيعة.

وهكذا تكون الصلاة خمس صلوات واجبة مفروضة في اليوم والليلة هي الفجر ووقته معلوم والظهر والعصر لهما وقت مشترك يجوز الجمع فيه على أن يقدم الظهر وأيضاً للمغرب والعشاء وقت مشترك يجوز الجمع فيه على أن يقدم المغرب على العشاء، وهذا ما يؤمن به الشيعة ويعملون به، وهو الحق.

* الزواج المنقطع " المتعة " :

باسم الشرف والكرامة أخذ البعض يطعن في أحكام الله التي شرعها في كتابه وبلغها نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي التزم بها شيعة أهل البيت (ع) فكان جزاؤهم التشنيع والاتهام والإشاعات والكذب عليهم.

وبلغ ذلك حده في زواج المتعة الذي جاء به القرآن وقال به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه، وعلى مشروعيته أكد أهل البيت (ع).

ولنا حديث حول هذا الموضوع، ولكن قبل ذلك نستعرض بعض الأدلة التي تحسن الأمر تماماً إذا كان أهل السنة والجماعة يؤمّنون بكلام الله تعالى وقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم نعرج لنتعرف على أقوال أولئك الذين ظنوا بأنهم بلغوا شيئاً بعيداً من معرفة ما يضر المجتمع وما يصلحه.

الدليل القرآني:

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَتُوْهُنَّ أَجْوَرُهُنَّ فَرِيْضَةً﴾ (سورة

ذكر الرازي في تفسيرها^١، أنه روی أن أبي بن كعب كان يقرأ ﴿فَمَا استمتعتم به مِنْهُنَّ﴾ - إلى أجل مسمى - ﴿فَاتَّوْهُنَّ أَجْوَرُهُنَّ﴾ وهذه أيضاً قراءة ابن عباس والأئمة ما أنكرت عليهما في هذه القراءة فكان ذلك إجماعاً من الأئمة على صحة هذه القراءة، ويقل الرازي أثناء بحثه حول آية المتعة عن عمران بن حصين أنه قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى ولم تنزل بعدها آية تنسخها وأمرنا بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم ينهنا عنها ثم قال رجل برأيه ما شاء^٢. ومثله يروي الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤ / ٤٣٦، كما قال بنزل هذه الآية في المتعة مجاهد فيما أخرج الطبرى.

وفي الدر المنشور عن الحكم أنه سئل عن هذه الآية (آية المتعة) أمنسوخة قال: لا، وقال علي: لو لا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي^٣.

وأعتقد أن مفهوم هذه الآية حول المتعة واضح جداً ومن خلال سياق الآيات نستطيع أن نتعرف على أنواع الزواج التي شرعت في الشريعة الإسلامية، وقد أكد على ذلك تواتر الروايات التي جاءت تبيين الآية، وتأييدها مجموعة من الأحاديث التي جاءت في الصحاح.

إلا أن علماء العامة وكما تعودنا منهم كثرة محاولات التضليل وتشويه صورة الشيعة، أنكروا المتعة وتبأوا منها وهم يحسبون أنهم بذلك يضربون التشيع، وغفلوا أو ربما عن وعي أنهم بذلك قد ضربوا القرآن الحكيم وطعنوا في

^١ تفسير الرازي ج ١٠ / ٥١.

^٢ المصدر ج ١ / ٤٩.

^٣ الدر المنشور للسيوطى ج ٢ / ٤٨٦.

الحكمة الإلهية للتشريع، وكأنما أرادوا أن يفرضوا على الله شريعة تلائم عقولهم التي لم تستوعب مضامين الرسالة وروحها، فصعب عليهم التعرف على الحق والتسليم له، وكان بينها وبين الحقيقة حجاب الكبر والغطرسة وادعاء العلم، والله يعلم وهم من جهل مركب في طغيانهم يعمهون.

أقول ذلك وأتألم لحال الأمة التي أصبح علماؤها أكثر الناس جهلا بأمور دينهم.. قرأت كتبهم واستمعت إلى علمائهم حول الزواج "المؤقت" ، فوجدت أن أفضل من تحدث عنه قال إنه تقنين للزنا، وبقولهم هذا يكون الله تعالى ورسوله قد شرعا الزنا - حاشا الله ورسوله - حتى ولو صدقت دعواهم بنسخه أو تحريميه بعد تشريعه تكون هنالك فترة زمنية مارس فيها المسلمين الزنا مقتننا..

والآن لنر الأدلة المأخوذة من الصاحح، هل قالت عن المتعة أنها زنا؟!
عن عبد الله بن مسعود قال: "كنا نغزو مع رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل معين" ^١.

عن سلمة بن الأكوع عن النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قال: "أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاثة ليال فإن أحبا أن يتزايدا أو يتداركا.
تزايدها أو تتداركا" ^٢.

عن جابر بن عبد الله وسلمـة بن الأكوع قالـا: كـنا في جـيش فأـتـانـا رسول الله (صـلى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ سـلمـ) فـقـالـ: "قدـ أـذـنـ لـكـمـ أـنـ تـسـتـمـتـعـواـ فـاسـتـمـتـعـواـ" ^٣.

^١ صحيح مسلم ج ٢ باب نكاح المتعة وأخرجه البخاري ج ٨ / ٧

^٢ البخاري ج ٢٥ / ٧

^٣ البخاري ج ٧ / ٢٤ باب نكاح المتعة.

عن جابر بن عبد الله قال: "كنا نتمتع على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبى بكر وعمر حتى نها عمر عنها أخيراً يعني متعة النساء" ^١.

عن جابر بن عبد الله قال: "تمتنا متعتين على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحج والنساء فنها عمر عنهم فانتهينا" ^٢.

كما ذكر الرazi أنه روى أن عمر قال على المنبر: "متعان كانتا مشروعتين في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنا أنهى عنهم متعة الحج ومتعة النكاح".

هذه وغيرها من الأحاديث والروايات تبين أن زواج المتعة زواج شرعي وأن تحريمـه لم يكن من الله ورسولـه إنما قال فيها الرجل "عمر" بما شاء، ونحن غير ملزمـين بقولـه عمر الذي ارتـاه ونقبل بشهادـته فيما يخصـ حلـيتها، لأنـ القرآنـ أمرـنا بأـخذـ ما قالـه لناـ الرسـولـ (صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ)ـ وماـ شـرـعـهـ أـمـاـ ماـ قـالـهـ عمرـ إـذـاـ خـالـفـ كـتـابـ اللهـ وـسـنـةـ رـسـوـلـهـ فـنـضـرـبـ بـهـ عـرـضـ الـحـائـطـ،ـ وهـنـالـكـ مـنـ هـوـ أـعـلـمـ مـنـ وـكـانـ يـرـجـعـ إـلـيـهـ فـيـ الـمـعـضـلـاتـ وـقـدـ قـالـ بـحـلـيتهاـ وـهـوـ الإمامـ عـلـيـ (عـ)ـ الـذـيـ يـنـقـلـ قـوـلـهـ السـيـوطـيـ فـيـ الدـرـ المـشـورـ "لـوـلـاـ أـنـ عـمـرـ نـهـيـ عـنـ المـتـعـةـ مـاـ زـنـيـ إـلـاـ شـقـيـ".ـ

وهـذاـ يـنـقـلـنـاـ لـنـخـوـضـ قـلـيلـاـ فـيـ الـحـدـيـثـ عـنـ الـمـجـتـمـعـ،ـ وـمـاـ سـبـبـهـ تـحـرـيمـ زـوـاجـ المـتـعـةـ مـنـ مـشـاكـلـ.

إنـ مشـكـلةـ الـجـنـسـ مـنـ أـكـثـرـ الـمـشـاكـلـ عـمـقاـ وـتـعـقـيدـاـ وـتـأـثـيرـاـ فـيـ الـمـجـتـمـعـ

^١ مـسـنـدـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ جـ ٣ / ٣٠٤ـ.

^٢ مـسـنـدـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ جـ ٣ / ٣٥٦ـ.

الإنساني بما تحمله من مضاعفات خطيرة تؤثر في مسار حياة الإنسان ومن أبرز هذه المضاعفات الانحرافات الجنسية وإشاع الغريزة بصورة غير مشروعة مما ينعكس سلبا على المجتمع، بالإضافة إلى الانعكاسات النفسية والاكتئاب والانطواء وسائر التوترات التي تكون نتاجا للممارسة المنحرفة للجنس أو كبت هذه الغريزة والتي تعتبر متأصلة في تكوين الإنسان ولا تنفك عنه، وغير ذلك من المشاكل التي درسها علماء النفس والتربية والاجتماع والسياسة.

والإنسان كما يحتاج للغذاء يحتاج للقنوات التي من خلالها يشع غريزته الجنسية، وكما هو واضح في مجتمعاتنا - والسودان أبرز المصاديق - تأخرت سن الزواج نسبة لظروف كثيرة بعضها يرتبط بالناحية المادية وبعضها يرتبط بالاستعداد الذاتي للإنسان لتحمل مسؤولية تكوين العائلة، فأصبح الرجل يتزوج فوق سن الثلاثين، وبين هذه السن وسن البلوغ التي تبدأ معها الحاجة للجنس سنين طويلة فتبذر الحاجة إلى وجود حلول في هذه الفترة والحل ربما يكون بأحد أمرين: أما إسكات نداء الجنس بالوعظ والإرشاد والتخييف والتحذير وهذه الوسيلة ربما يكون لها تأثير في الواقع الخارجي ولكن تبقى المشكلة في داخل كيان الإنسان تحتاج إلى حل، والحل الآخر يكمن في الإباحة الجنسية وهذا ما لا يقبله عاقل يؤمن بالقيم الدينية والمثل والمبادئ الإنسانية كما أنه يترتب عليه مضاعفات خطيرة في حياة الإنسان وسلوكه إضافة إلى كثير من السلبيات على مستوى الفرد والمجتمع.

يقول العالم النفسي " برتراندرسل " : (إن سن الزواج قد تأخرت بغير اختيار وتدبير فإن الطالب كان يستوفي علومه قبل مائة سنة أو مائتين في نحو الثامنة عشرة أو العشرين فيتأهل للزواج في سن الرجولة الناضجة، ولا يطول به عهد الانتظار إلا إذا آثر الانقطاع للعلم مدى الحياة، وقل يؤثر ذلك بين المئات والألف من الشباب).

وأما في العصر الحاضر فالطلاب يتخصصون لعلومهم وصناعاتهم بعد الثامنة عشرة أو العشرين، ويحتاجون بعد التخرج من الجامعات إلى زمن يستعدون فيه لكسب الرزق من طريق التجارة والأعمال الصناعية والاقتصادية، ولا يتسعن لهم الزواج وتأسيس البيوت قبل الثلاثين، فهنالك فترة طويلة يقضيها الشاب بين سن البلوغ وسن الزواج لم يحسب لها حساب في التربية القديمة، وهذه الفترة هي فترة النمو الجنسي والرغبة الجامحة وصعوبة المقاومة للمغريات، فهل من المستطاع أن نسقط حساب هذه الفترة من نظام المجتمع الإنساني كما أسقطها الأقدمون وأبناء القرون الوسطى؟ إننا إذا أسقطناها من الحساب فسيكون نتيجة ذلك شيوخ الفساد والعبث بالنسل والصحة بين الشباب والشابات) ^١

وفي الواقع إن كلمة المؤمنين علي (ع) لخصت معاناة الأمة من جراء تحريم الزواج المؤقت، قال علي (ع) " ما كانت المتعة إلا رحمة من الله رحم بها أمة محمد ولو لا نهي عمر ما زنى إلا شقي ".

هذه الرحمة الإلهية تعني أن المتعة تحمي الإنسان من كل المضاعفات الخطيرة

^١ الزواج المؤقت ص 11 محمد تقي الحكيم.

التي تفرزها مشكلة الجنس، ولا تبقى للزنا أثراً في مجتمعاتنا إلا لدى من تجدرت عنده نزعات الشذوذ الخلقي، ومع المتعة لا يبقى أي داع لتحليل العادة السرية، كما أفتى بذلك بعض علماء الدين المعاصرين.

وقد وقع في يدي صدفة كتاب طبع في السعودية طباعة فاخرة عنوانه الإسلام والجنس يقول فيه الكاتب: "وفي حالات الاضطرار يجوز للمسلم ممارسة العادة السرية لأنَّه لا حرج في الدين" ولكن لم يبين لنا هذا العلامة حدود الاضطرار وملأكه ونحن نشاهد في بلداننا كل أنواع المحفزات من خلاعة وتبرج فهل نعمل بفتواه والرجل يعيش بعد البلوغ عشرين عاماً بلا زواج؟!.. في حواراتي المختلفة مع بعض الإخوة كثيراً ما يربطون المتعة بالزنا ويدور نقاشهم عن الآثار بعيداً عن أصل مشروعيتها.

ولقد ثبت أنها شرعت، والحديث عن نسخها يفتقد للدليل القوي، وما جاء من روايات وأحاديث متهاجمه ومتضاربة لا يقوى على النهوض لمستوى دليل في مقابل ما أوردناه، أما نهي عمر عنها فلا يجدي في مقامنا هذا كما بينا خصوصاً وأن هنالك من نادى بحليتها من الصحابة.

أما كون المتعة زنا، فهذا قول غريب يقودنا إلى إشكالات أشرنا إليها، والزنا هو ممارسة الجنس بصورة غير مشروعة والمتعة غير ذلك فهي لا تختلف عن الزواج إلا في بعض الآثار سند كرها إن شاء الله..

وهنالك من يقول بعدم قبول المجتمع لها، أقول إن تشريع الله تعالى لا يخضع لمدى قبول المجتمع له أو رفضه، إنما يجب أن يخضع المجتمع لأحكام الله فتكون حاكمة عليه، وما أكثر رفض المجتمعات قديماً وحديثاً للأحكام السماوية؟! فاجأت أحدهم بالسؤال: هل تقبل أن يتزوج أبوك زوجة أخرى وأمرك

موجودة؟ فأجاب بسرعة: لا! قلت: ولم وقد شرع الله له في القرآن أن يتزوج أربعة؟!

وهنالك بعض الشبهات الجانبية تثار حول هذا الموضوع لا تقدح في صحته، أما التعامل مع هذا الحكم كيف يكون فذلك بحث آخر، مثلاً ربما يقال أنه بعد انتهاء مدة عقد المتعة من الذي يضمن ألا تتزوج المرأة قبل تمام العدة؟ أقول إن للشريعة الإسلامية والرسالات السماوية عموماً مميزات تفوق بها على القوانين الوضعية لضبط المجتمع وأهم هذه المميزات والتي تعتبر ضمانة لعدم الاتصال بالقانون هي الإيمان والتقوى، إذ أن أحكام الشريعة الإسلامية نزلت ليطبقها من يؤمن بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب، وإلا ما هو الضمان أن يكون ابن الذي يأتي من زوجتك هو من صلبك، وكيف يمكننا أن نثق بأن المرأة المطلقة اعتدت كامل أيامها، وكيف يتسرى لك أن تعلم أنك ابن أبيك إن كثيراً من الأشياء تحكم فيها القيم والمبادئ والأخلاق والإيمان والتقوى والورع وتبقى المشكلة في ذات الإنسان وليس في التشريع، وإذا فقد الالتزام النابع من الإيمان لم تكن الأحكام المجردة مانعة من انتهاك الحرمات وحدوث الفوضى، وهذا تشريع ملك اليمين فهل نعتبره زنا أيضاً وأن المجتمع لا يقبله وبالتالي نلغيه؟ وبعد قرون نكتشف أن زواج الرجل بأربع زوجات لا يلائم المجتمع فلغيه وهكذا. إن حلال محمد حلال إلى يوم القيمة وحرامه حرام إلى يوم القيمة.

وإليك بيان تفصيلي عن الزواج المؤقت الذي لا يفترق عن الزواج الدائم إلا في بعض الآثار.

ما المقصود بالزواج المؤقت^١ :

- عقد زواج بين الرجل والمرأة ضمن شروط شرعية محددة من أهمها:-
- ١ - الایجاب والقبول.
 - ٢ - تحديد المدة ضمن صيغة العقد.
 - ٣ - تحديد المهر.
 - ٤ - إذن الوالبي إذا كانت البنت بكرًا على رأي الكثير من الفقهاء.
 - ٥ - انتفاء الموانع الشرعية من النكاح، كالنسب أو السبب أو الرضاع أو الأحسان أو العدة أو غير ذلك.
 - ٦ - لا يجوز للمسلمة أن تتمتع بالكافر، كما لا يجوز للمسلم أن يتمتع بالمشاركة غير الكتابية.

العناصر المشتركة بين الزواج الدائم والزواج المؤقت:-

- ١ - العقد الشرعي المشتمل على الایجاب والقبول اللفظيين.
- ٢ - الآثار الشرعية المترتبة على العقد إلا ما استثنى الأدلة الخاصة.
- ٣ - أحكام الأولاد واحدة في الزوجين.
- ٤ - العدة واجبة على المرأة مع الدخول وعدم اليأس في الحالتين وبالنسبة للوفاة تجب العدة حتى وإن كانت المرأة صغيرة أو يائسة أو غير مدخول بها.

^١ التشيع السيد عبد الله الغريفي ص ٥٣٢

* عناصر الاختلاف بين الزوجين: -

- ١ - في الزواج المؤقت تحدد المدة والأجل وفي الدائم لا تحديد للمدة والأجل.
- ٢ - في المؤقت يشترط ذكر المهر وفي الدائم لا يشترط ذلك.
- ٣ - في المؤقت لا طلاق بل تبين المرأة بانتهاء المدة أو بهبة المدة لها أو الوفاة، وفي الدائم لا تبين المرأة إلا بالطلاق أو الوفاة إلا في الحالات الاستثنائية كالارتداد والفسخ فتبين المرأة بلا طلاق.
- ٤ - في المؤقت لا توارث بين الزوجين إلا مع الشرط عن بعض الفقهاء، وفي الدائم يتوارث الزوجان إلا في حالات استثنائية كالقتل أو كون الزوجة غير مسلمة.
- ٥ - في المؤقت لا نفقة للزوجة إلا مع الشرط ضمن العقد وفي الدائم تجب النفقة إلا في الحالات الاستثنائية كالنشوز.
- ٦ - في المؤقت لا قسم للزوجة ولا تجب مضاجعتها ولا مقاربتها في كل أربعة أشهر مرة وفي الدائم يجب ذلك.
- ٧ - في المؤقت تستحق المرأة المهر كاملا وإن لم يدخل بها إذا لم يكن ذلك بسبب مانع من قبلها، وفي الدائم لا تستحق المهر كاملا إلا مع الدخول. هذا هو زواج المتعة كما شرعه الدين وهو رحمة الله تعالى للإنسان الذي خلق ضعيفا، وقد قال تعالى في سورة النساء بعد بيان أنواع الزواج المختلفة بما فيها الزواج المؤقت ﴿يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَخْفَفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾^١

^١ سورة النساء: آية / ٢٨ .

ولكن أبنت الأمة كعادتها إلا أن تضيق على نفسها كما فعلت أمةبني إسرائيل.
ونتوج بحثنا بروايات

عن أهل البيت (ع) : -

عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر الباقر (ع) عن المتعة فقال: "نزلت في القرآن ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ... الْآيَة﴾".
عن الإمام الصادق (ع): قال "المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنة من رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)".

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: سألت أبا عبد الله هل نسخ آية المتعة شيء؟ قال: لا، ولو لا ما نهى عنها عمر ما زنى إلا شقي".
ونذكر هنا بعض الملاحظات للذى يدعى بأن آية المتعة منسوخة بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفِرْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُون﴾ (سورة المؤمنون: آية ٥ - ٧).

أولاً: إن هذه الآية جاءت في سورة المؤمنون وهي مكية وآية المتعة جاءت في سورة النساء وهي مدنية فكيف يكون المتقدم نزولاً ناسخاً للمتأخر!
أما ما ذكروه بأن الآية حددت نوعين من النكاح فقط: الزواج وملك اليمين..

فالمتعة أيضاً زواج كما بينا والأمر واضح، وبالنسبة للروايات التي تحرم المتعة فهي غير صحيحة لتعارضها مع الأحاديث القائلة بحليتها كما أن أخبار

التحریم أخبار آحاد، والنمسخ لا يثبت بأخبار الآحاد، ثم إن هنالك تناقضًا واضحًا في روایات التحریم فبعضها يقول بأن التحریم صدر يوم خیر وأخری في يوم الفتح وثالثة في تبوك ورابعة في عمرة القضاة وخامسة في حجة الوداع... الخ. وأخيراً إن روایات التحریم معارضه بروایات أهل بيت النبوة (ع) المتواترة والدلالة على إباحة المتعة إلى يوم القيمة.

خاتمة

في ظل أمواج الفتنة أحوج الإنسان إلى أن يجد سفينية النجاة لتأخذ به إلى بر الأمان، وما أحوجه إلى التعرف على المعتقد السليم الذي من خلاله يستطيع أن يعيش واقع حياته اليومية باطمئنان حتى يلقى الله وقد وفى بعهده وميثاقه.

وتبقى مشكلة التعصب الأعمى وعدم التسليم للحق والتمرد عليه تكبراً مما يجعل بيننا وبينه حجاباً إذا أردنا التمسك به والبحث عنه، إذ أنه لا بد من التأكد مما نحن عليه، على ألا يكون التوارث أباً عن جد هو المرتكز لفهم فلسفة الحياة، ولا يمكن أن نحقق العبودية في أنفسنا وهي غاية الخلق^١ إلا عبر الطريق الذي أمرنا الله به ولا يمكن أن تكون الوراثة التي نبذها القرآن هي الضمانة لصحة ما نعتقده والمسلمون انقسموا لفرق ومذاهب كل يدعى وصلاً بليلي، والظلمات كثيرة والنور واحد وهذا هو مقصود حديث الفرقة الناجية، فليصبح الإنسان كالمحجون وهو يبحث لكي يختار الصواب.

^١ الآية (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

إن الأمة الإسلامية تعيش تحدياً حضارياً في كل الجوانب لم يترك العدو لها مجالاً إلا وحاول من خلاله أن يبث سمومه، وفي واقعنا المعاش نجد الكثير من المذاهب التي تلبست بلباس الدين ودعت إليه بينما كانت تخدم مصالح الأعداء وتحمل في داخلها معالو هدم رسالة السماء، وأبرز مصداق لذلك الوهابية التي انتشرت في طول البلاد الإسلامية وعرضها مستغلة الظروف الاقتصادية في الدول النامية ولم تعتمد على المعتقد السليم ولا على الفكر الصحيح أو المنطق في الحوار بل ظهرت عبر مؤسساتها وأموالها، جاعلة الدين كتلة جامدة لا تتفاعل وواقع الحياة، لذلك تتركها دوائر الاستعمار لتسرح بينما تصب على الشيعة كل أنواع التضليل.

هناك كثير من الأسباب تقف حائلاً بين المرء والحقيقة عليه أن يتجاوزها وقد حاولت ذلك فكان الانتقال عبر محطات التاريخ للوقوف على المنعطفات الخطيرة التي مرت بها الأمة الإسلامية فتفرقت شيعاً وأحزاباً، لم يكن همي سوى الحقيقة.. الحقيقة وحدها دون الالتفات إلى ما سيعرضني من مشاكل في سبيل ذلك، ولقد حاول البعض عندما انهزم بالدليل والبرهان أن يتهمني تارة بالشيوعية وهي التي لم يستطع نسفها غير علماء الشيعة بقيادة الشهيد الصدر فكيف يلتقي الشيعي مع الشيوعي اللهم إلا إذا اشتبهت الأحرف على السامع وتارة يقولون عنا جمهورين، هذه الجماعة التي ولدت فكرتها ميتة لأنها عارضت كل شيء القرآن والسنة والعقل، قامت باجتهاد فرد وانتهت بانتهائه من على مسرح الحياة، أما التشيع فأنا لم أنتجه من محض خيالي، إنما وجدت أنه ولد حينما ولدت الرسالة، وشهد الأعداء قبل الأصدقاء بأهلية أهل البيت (ع) لتحملأمانة السماء والتاريخ يشهد لهم بذلك فما ذنبي إذا كان الدليل يأخذ بعنقي إلى

حيث النور، ومن يملك دليلاً خلاف قولنا وإذا كان هنالك حق غير مذهب أهل البيت (ع) فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

وتارة أخرى يتهموننا بأننا نسعى لإثارة الفتنة، ولعمري متى كان البحث عن الحق إشارة للفتنة؟ ومتى كان كشف الزيف دلالة على ذلك؟ أن الذين يوزعون هذه التهم إنما يبررون لأنفسهم ويحاولون الانتصار لها بعد هزيمتها داخلياً.

عندما بدأت بحثي لم يقم في نفسي أن أطرحه للآخرين وإنما هو تكليف شرعي وتلهف للكشف عن الحق الذي به قامت السماوات والأرض، وظماً لارتواء من منابع الرسالة الصافية التي لم تقدرها الجاهلية بأنجاسها، ووجدته بحمد الله عذباً ثجاجاً في ولاية علي بن أبي طالب (ع) وأتباعه الذين قال فيهما رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) "والذي يعني بالحق نبياً لو أن رجلاً لقيه الله تعالى سبعين نبياً ثم لم يلقه بولاية أولي الأمر من أهل البيت ما قبل الله منه عدلاً ولا صرفاً".

كما روى الإمام الصادق (ع) عن أبيه عن جده (ع) قال: مر أمير المؤمنين (ع) في مسجد الكوفة ومعه خادمة قبر رجلاً قائماً يصلي فقال: يا أمير المؤمنين ما رأيت رجلاً أحسن صلاة من هذا. فقال علي (ع): يا قبر فوالله لرجل على يقين من لا يلتقط أهل البيت خيراً من له عبادة ألف سنة، ولو أن عبد الله ألف سنة لا يقبل الله منه حتى يعرف ولا يلتقط أهل البيت، ولو أن عبد الله ألف سنة وجاء بعمل اثنين وسبعيننبي ما يقبل الله منه حتى يعرف ولا يلتقط أهل البيت وإلا أكبه الله على منخريه في نار جهنم" وغيرها من الروايات التي تجعل الإنسان يقف متاماً وهو يحاول أن يهتدى إلى الطريق.

وعلى فرض عدم صحة هذه الروايات، يجب على الإنسان دفعاً للضرر المحتمل - كما يقولون - أن يبحث عن الحق أنى كان، ولقد ادعى أهل البيت (ع) حق الولاية وتواتر المنقول عنهم أن أعمال العبد يتوقف قبولها على ولايتهم وبدونها يسقط عمله. بينما لا نجد أن أحداً من الصحابة ادعى مثل هذا الحق وبالخصوص الخلفاء الثلاثة فالإيمان بهم وبالتالي ليس من أصول الدين إنما هو أمر فرعوي يحتاج إلى نقاش.

أخيراً

إن الاهتداء إلى الحق ليس عبقرية ذاتية، إنما نعمة من الله تعالى ينعم بها على من يشاء من عباده، وما على الإنسان إلا التوجه المخلص لله تعالى حتى يريه الحق حقاً فيتبعه ويريه الباطل باطلاً فيجتنبه، ولقد تكفل البارئ عز وجل بهداية المجاهدين فيه إلى سبله.

خطبة فاطمة (ع) شعلة الحق

إنها خطبة يعجز الإنسان عن وصفها، ويؤمن ويصدق بأنها معجزة احتجت بها أمام الخليفة الأول أبي بكر، ودقة معانيها وقوتها بيانها تؤكد صحة نسبتها للطاهرة المعصومة فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وأذكر جزءاً منها في هذا المقام تتمة للفائدة.

قالت سلام الله عليها:

"الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألمـهم، والثناء بما قدم، من

عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداتها وتمام من أولاتها، جم عن الاحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدتها، وتفاوت عن الادراك أبداها، ونديهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها واستحمد إلى الخلق بياجزالها، وثى بالذنب إلى أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلاها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكير معقولها، الممتنع من الأ بصار رؤيتها، ومن الألسن صفتة ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شئ كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امثّلها كونها بقدرتة، وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتا لحكمته، وتتبّعها على طاعته، وإظهارا لقدرته، تعبدا لبريته وإعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته ذيادة لعباده من نقمته، وحياشة لهم إلى جنته .

وأشهد أن أبي محمدا عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابعثه، إذ الخلاق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة علمًا من الله تعالى بمايل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور ومعرفة بموقع الأمور.

ابعثه الله إتماما لأمره، وعزيزمة على إمضاء حكمه، وإنفاذًا لمقادير رحمته، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فثار الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها^١ ، وجلى عن الأ بصار غممها وقام في الناس بالهداية فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العمایة، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى

أي مبهماتها وهي المشكلات من الأمور.

الصراط المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رأفة و اختيار، ورغبة وإيثار محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من تعب هذه الدار في راحة قد حف بالملائكة الأبرار ورضاوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيه وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ثم التفتت سلام الله عليها على أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم. كتاب الله الناطق والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، متجليّة ظواهره مغبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه به تقال حجج الله المنورة، وعزائم المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه المohoبة، وشرائعه المكتوبة.

جعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك، والصلوة تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تركيّة للنفوس، ونماء للرزق، والصيام تثبيتا للإخلاص، والحج تشييدا للدين، والعدل تنسيقا للقلوب، وطاعتنيا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا من الفرقنة والجهاد عزا للإسلام والصبر معونة على استيصال الأجر، والأمر والنهي عن المنكر مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنمة للعدد، والقصاص حقا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين، تغييرا للبغس، والنهي عن شرب الخمر، تنزيها عن الرجس واجتناب القذف، حجابا عن اللعنة، وترك السرقة، إيجابا للعفة، وحرم

الله الشرك إخلاصا له بالربوبية فاتقوا الله حق تقatesه، ولا تموتن إلا وأنتم
مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فإنه إنما يخشى الله من عباده
العلماء.

ثم قالت: أيها الناس اعلموا، أني فاطمة وأبى محمد (صلى الله عليه وأله وسلم) أقول عوداً وبدعاً ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً، لقد جاءكم رسول الله من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تعزوه وترغبوا تجدوه أبي دون نسانكم، وأخاً ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزى إلينه (صلى الله عليه وأله وسلم) فبلغ الرسالة صادعاً بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثجهم آخذًا بأظمامهم داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام وينكت الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، فتضري الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شفاق الشياطين، وطاح وشيط النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع وقبضة العجلان، وموطن الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد والورق، أذلة خاسئن، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فائقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وأله وسلم) بعد الليا والتي وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها فلا ينكر حتى يطأ جناحها بأحمسه، ويحمد لهبها بسيفه مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، م جداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم

في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون تربصون بنا الدواير وتتوكرون
الأخبار وتنقصون عند النزول وتفرون من القتال.

... ثم تنتقل الصديقة (ع) للحديث عن الانقلاب كما وضحتنا ثم تحدثت عن
منعها الإرث ولقد ذكرنا كلماتها في بداية البحث وبعد ذلك رمت بطرفها نحو
الأنصار وقالت:

يا معاشر النقيبة وأعضاد الملة وحضرنة الإسلام ما هذه الغمiza في حقي
والسنة عن ظلامتي. أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) أبي يقول:
" المرء يحفظ في ولده "؟ سرعان ما أحذتم وعجلان ذا إهالة لكم طاقة بما
أحاول وقوـة على ما أطلب وأزاول، أتفـلـون مات محمد (صلى الله عليه وآلـه
وسلم)؟ فخطـبـ جـلـيلـ: استـوـسـعـ وهـنـهـ واستـنـهـ فـنـهـ، وانـفـقـ رـتـقـهـ، وـأـظـلـمـتـ
الـأـرـضـ لـغـيـبـتـهـ وـكـسـفـتـ الشـمـسـ وـالـقـمـرـ، وـأـنـتـرـتـ النـجـومـ لـمـصـيـبـتـهـ، وـأـكـدـتـ الـآـمـالـ
وـخـشـعـتـ الـجـبـالـ، وـأـضـيـعـ الـحـرـيمـ، وـأـزـيلـتـ الـحرـمـةـ عـنـ مـمـاتـهـ فـتـلـكـ وـالـلـهـ النـازـلـةـ
الـكـبـرـىـ، وـالـمـصـيـبـةـ الـعـظـمـىـ لـاـمـلـهـ نـازـلـةـ وـلـاـ بـانـقـةـ عـاجـلـةـ، أـعـلـنـ بـهـ كـتـابـ اللهـ
جـلـ شـنـاؤـهـ فـيـ أـفـيـتـكـمـ، وـفـيـ مـمـاسـكـ وـمـصـبـحـكـمـ، هـتـافـاـ وـصـراـخـ، وـتـلـاوـةـ وـأـلـحـاـنـ،
وـلـقـبـلـهـ مـاـ حـلـ بـأـبـيـاءـ اللهـ وـرـسـلـهـ حـكـمـ فـصـلـ وـقـضـاءـ حـتـمـ:

﴿ وـمـاـ مـحـمـدـ إـلـاـ رـسـلـ قـدـ خـلـتـ مـنـ قـبـلـهـ الرـسـلـ أـفـإـنـ مـاتـ أـوـ قـتـلـ اـنـقـلـبـتـ
عـلـىـ أـعـقـابـكـمـ وـمـنـ يـنـقـلـبـ عـلـىـ عـقـبـيـهـ فـلـنـ يـضـرـ اللـهـ شـيـئـاـ وـسـيـجـزـيـ اللـهـ
الـشـاكـرـيـنـ ﴾ أـيـهـاـ بـنـيـ قـيـلـهـ أـهـضـمـ تـرـاثـ أـبـيـ؟ وـأـنـتـ بـمـرـأـيـ مـنـيـ وـمـسـعـ وـمـنـتـدـىـ
وـمـجـمـعـ تـلـبـسـكـمـ الـدـعـوـةـ، وـتـشـمـلـكـمـ الـخـبـرـةـ، وـأـنـتـ ذـوـ الـعـدـدـ وـالـعـدـةـ وـالـأـدـاـةـ وـالـقـوـةـ
وـعـنـدـكـمـ السـلاـحـ وـالـجـنـةـ توـافـيـكـمـ الـدـعـوـةـ فـلـاـ تـجـبـيـونـ، وـتـأـتـيـكـمـ الـصـرـخـةـ فـلـاـ تـعـيـنـونـ،
وـأـنـتـمـ مـوـصـوفـونـ بـالـكـفـاحـ، مـعـرـوفـونـ بـالـخـيـرـ وـالـصـلـاحـ، وـالـنـخـبـةـ الـتـيـ اـنـتـخـبـتـ

والخيرية التي اختيرت لنا أهل البيت.

ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتم و الغدرة التي
استشعرتها قلوبكم، لكنها فيضة النفس و نفثة الغيظ و بثة الصدر
و تقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر نقبة الخف باقية العار،
موسومة بغضب الجبار، و شنار الأبد موصلولة بنار الله الموقدة التي تطلع على
الأفندة، فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقذون وأنا ابنة
نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون " ^١ .

^١ مقاطع من خطبة الزهراء من كتاب الإحتجاج للطبرسي.

المصادر

- ١ القرآن الكريم .
- ٢ تفسير القرآن العظيم / ابن كثير .
- ٣ التفسير الكبير / الفخر الرازي .
- ٤ في ظلال القرآن / سيد قطب .
- ٥ صفوة التفاسير / محمد علي الصابوني .
- ٦ صحيح الخاري .
- ٧ صحيح مسلم .
- ٨ صحيح الترمذى .
- ٩ سنن أبي داود .
- ١٠ سنن ابن ماجه .
- ١١ مسنن أحمد بن حنبل .
- ١٢ المستدرك / الحاكم .
- ١٣ الإصابة في تمييز الحصابة / ابن حجر العسقلاني .
- ١٤ أسد الغابة في معرفة الصحابة / ابن الأثير .
- ١٥ نهج البلاغه .
- ١٦ وسائل الشيعة / الحر العاملي .
- ١٧ الإحتجاج / الطبرسي .

- ١٨ السيرة النبوية / ابن هشام .
- ١٩ تاريخ الأمم و الملوك / الطبرى .
- ٢٠ البداية و النهاية / اين كثير .
- ٢١ الإمامة و السياسة / ابن قتيبة .
- ٢٢ الكامل في التاريخ / ابن الأثير .
- ٢٣ تاريخ ابن خلدون .
- ٢٤ تاريخ العقوبي .
- ٢٥ المغازى للواقدي .
- ٢٦ مروج الذهب / المسعودي .
- ٢٧ شرح نهج البلاغه / ابن أبي الحديد المعزلي .
- ٢٨ الملل و التحل / الشهريستاني
- ٢٩ العقد الفريد / ابن عبد ربه الأندرسي .
- ٣٠ الغدير / العلامة الأميني .
- ٣١ الفكر الإسلامي مواجهة حضارية / العلامة السيد محمد تقى المدرسي .
- ٣٢ التشيع نشوؤه — مراحله — مقدماته / السيد عبدالله الغريفي .
- ٣٣ دور الشيعة في بناء الحضارة الإنسانية / جعفر السبحاني .
- ٣٤ الزواج الموقت / محمد تقى الحكيم .

الفهرس

٥	الإهداء
٧	المقدمة

الفصل الأول

١٥	لماذا هذا الكتاب
----------	------------------

الفصل الثاني

٢٩	البحث في التاريخ ضرورة
٢٩	أولاً: التاريخ في القرآن
٣٠	ثانياً: التاريخ ضرورة للحاضر
٣٢	ثالثاً: نماذج من انحرافات الأمم السابقة في القرآن الحكيم
٣٧	القصة الأولى بلعم بن باعوراء مع نبية موسى (ع)

الفصل الثالث

٤٧	الشيعة و التشيع
٥٠	التشيع و الفرس
٥١	ظلال التشيع في السودان

الفصل الرابع

٥٩	حوار في بداية الطريق.....
٦٤	البداية.....
٦٤	بنور فاطمة اهتديت.....
٦٦	ماذا بين أبي بكر وفاطمة (ع).....
٦٩	فاطمة (ع) في القرآن.....
٧٣	فاطمة (ع) بلسان أبيها.....
٨١	موقف الزهراء (ع) هو "الفيصل".....
٨٣	عصمة الزهراء (ع).....
٨٧	بماذا طالبت الزهراء (ع).....
٨٩	أولاً: المطالبة باسترداد فدك التي لها ملكيتها.....
٩٠	ثانياً: مطالبتها بإبرת الرسول (ص).....
٩١	ثالثاً: المطالبة بسمهم ذي القربي
٩٩	فدرك الرمز.....
١٠٥	الخلفاء واقتحام الدار.....
١١٨	استشهاد الزهراء (ع).....
١٢٥	الزهراء صرخة مدوية عبر التاريخ.....

الفصل الخامس

١٢٩.....	تمهيد.....
١٣٠	بالشوري أم بالتعيين.....
١٣٠	مفهوم الشوري عند أهل السنة و الجماعة غير واضح.....
١٣٣.....	التعيين ضرورة.....
١٣٦.....	علي بن ابي طالب أول خليفة للنبي (ص).....
١٣٧.....	١ - حديث الغدير.....
١٤٠.....	٢ - حديث المنزلة.....
١٤٠	٣ - حديث الإنذار.....
١٤١.....	٤ - حديث الراية.....
١٤٤.....	مناظرة للمأمون العباس في فضل علي (ع).....
١٥٣.....	أهل البيت (ع) هم أولوا الأمر بعد النبي (ص).....
١٥٦.....	حوار حول العصمة في حديث الثقلين.....

الفصل السادس

١٦٥.....	الإنقلاب.....
١٦٥.....	ماذا حدث؟.....
١٦٩.....	مع عدالة الصحابة.....
١٦٩.....	القرآن و عدالة الصحابة.....

السنة و عدالة الصحابة.....	١٧٤
الصحابة عند شيعة أهل البيت (ع).....	١٧٦
مصيبية الأمة.....	١٧٨
حديث العشرة المبشرين المزعوم.....	١٧٨
السقيفة.....	١٨٠
علي (ع) و الخلافة.....	١٨٢
خلافة علي (ع).....	١٨٩
حرب الجمل.....	١٩٠
عاشرة بنت أبي بكر.....	١٩٠
صفين.....	١٩٥
رسالة محمد بن أبي بكر لمعاوية.....	١٩٧
بعض أفعال معاوية.....	٢٠١
اغتصابه الخلافة بالقهر.....	٢٠١

الفصل السابع

كيف يدون معاوية و يزيد.....	٢٠٧
مع الحسين (ع).....	٢١٠
من هو الحسين (ع).....	٢١٤
نزول الركب المقدس في كربلاء.....	٢١٨

السجود على التربة الحسينية.....٢١٢

الفصل الثامن

من ركام الباطل إلى النور.....٢٢٩

فقرات من أدعية أهل البيت (ع)

من دعاء الصباح لأمير المؤمنين (ع).....٢٣١

من دعاء يوم عرفة للإمام الحسين (ع).....٢٣٢

مناجاة الشاكرين للإمام زين العابدين.....٢٣٣

قبسات من نور آل محمد.....٢٣٣

التقية.....٢٣٦

أما من الكتاب العزيز.....٢٣٨

أما في السنة.....٢٤٠

الوضوء.....٢٤٢

أخبار من مصادر سنية توضح وجوب المسح دون الغسل.....٢٤٥

الجمع بين الصلاتين.....٢٤٧

الأدلة من السنة.....٢٤٩

الأدلة من طريق أهل البيت (ع).....٢٥٠

الزواج المنقطع "المتعة".....٢٥١

الدليل القرآني.....٢٥١

٢٥٩.....	ما المقصود بالزواج المؤقت.....
٢٥٩.....	العناصر المشتركة بين الزواج الدائم و الزواج المؤقت.....
٢٦٠.....	عناصر الاختلاف بين الزوجين.....
٢٦١.....	عن أهل البيت (ع).....
٢٦٢.....	خاتمة.....
٢٦٥.....	أخيراً.....
٢٦٥.....	خطبة فاطمة (ع) شعلة الحق.....
٢٧١.....	المصادر.....
٢٧٣.....	الفهرس.....